

الْجَوَانِبُ الْإِعْلَامِيَّةُ

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
مرحلة الطفولة والجماعة العامة في مكة

دكتور

عبد الوهاب محيى

قسم الصحافة بأداب سواد
جامعة السبوط

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

٧٠

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
في مستندة الرئيس عبد المجيد تبون
٢٠٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۖ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا نَعْمَلُونَ
(٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) ﴾

صدق الله العظيم

الشعراء

٢١٤ — ٢١٧

الإهداء

إلى الذين يعترضون على أن هناك ما يسمى :
بالإعلام الإسلامي ..

لعل الله أن يهديهم إلى أن الإسلام :
دين الإعلام ..

ولعلنا لا نتوقف كثيراً عند حد الاختلاف حول
الألفاظ والمسميات ..

ونبدأ العمل بروح الإسلام ..
فيكتب الله لنا السعادة في الدنيا والآخرة .

عبد الوهاب محمد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على كل حال . الذى بحمده يستفتح كل أمر ذى بال ..
والصلاة والسلام والبركة على سيدنا محمد نبي الرحمة . وكاشف الغمة .. الذى
نسخت شر يعنه كل شريعة وشملت دعوته كل أمة . فلم يبق لأحد حجة دون
حجته فهو خير من صدع بأمر الله عز وجل . وخير من دعا إلى الله تعالى . وخير من
حمل رساله الله وبلغها إلى الناس . بوعى وبصيرة ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ،
وبالحق الحسن ، واللين والمودة ، وبالإصرار والعزيمة ، والمداومة التى لم تكن تهدأ
ولا تمل لحظة من ليل ، ولا ساعة من نهار .

فمنذ أن نزل الأمين جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فى
غار حراء آمراً إياه بأمر ربه عز وجل « اقرأ .. » فقال ما أنا بقارئ . فضمه وقال
« اقرأ .. » قال ما أنا بقارئ . فضمه وقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق
خلق الإنسان من علق » . منذ هذا الموقف إلى يوم أن نام النبي صلى الله عليه
وسلم على فراش الموت واختار الرفيق الأعلى . ونظر إلى من حوله محملاً إياهم
أمانة الإعلام والعمل بالاسلام قائلاً « الصلاة وما ملكت أيمانكم » . وكان بين
هذين الموقفين حياة حافلة عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت ثلاثة
وعشرين سنه . كلها إعلام بدين الله تعالى . وكلها تبليغ وكلها عباده وكلها
تعليم قولى وفعللى للبشرية فى كل مجال من مجالاتها وفى كل درب من دروب
الحياة حيث أرسى للبشرية أسس السعادة الدنيوية والأخروية .

وقد تحدث العلماء كثيراً عن صفات وعظمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى كثير من مجالات العلوم والفنون . وفى كثير من دروب الحياة فقد تحدثوا
عنه رجل بلاغة ورجل فصاحة . ورجل سلم ، ورجل حرب من أجل الحق

وتحدثوا عنه رجل إقتصاد . ورجل سياسة . ورجل اصلاح في كل شيء ، فهو القدوة الحسنة ، والأسوة المثالية في كل مضمار ، وكل مجال . وهو النور الذي يهتدى به الناس في كل زمان وكل مكان .

وقد آن لرجال الإعلام أن يتحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته قد مارس الإعلام كما لم ولن يمارسه أحد من قبل ، ولأن بعد مارس الإعلام بعبقريه فذه وطريقه لا تبارى . للإعلام عن أشرف رسالة . مستخدما مختلف أشكال الإتصال الممكنة بأبسط الوسائل المتاحة في عصره . ضاربا بذلك المثل الأعلى . في أن الوسيلة يجب ألا تقف حائلا دون الممارسة الإعلامية ، فإن كانت الرسائل المتاحة بسيطة وقليلة فيمكن أن تمارس الإعلام عن طريقها . وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطط إعلامية محكمة ومنظمة ودقيقة تتسم بعدم التناقض وتتصف بالإحكام والدقة والتنظيم . وبذلك وصل إعلامه إلى كل مكان على وجه الأرض . ولم يكن إعلامه قاصدا على المسلمين فقط . ولا على أهل مكة فقط . وإنما إلى كل البشر . عبر كل زمان وإلى كل مكان .

وقد سبق النبي صلى الله عليه وسلم أساتذته الإعلام في العصر الحديث في تلك الممارسة بصورة أخذت عنها البشرية جمعا . فلأن كانت الإذاعات تستخدم أعالى الجبال كأماكن لمحطات إرسالها حتى يصل مداها وثبها إلى أبعد مدى ممكن . فقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . حينما جهر بدعوته . حيث صعد جبلا عاليا من جبال مكة . جبل الصفا . لينادي على بطون مكة كلها . ويُعلمهم برسالته العظيمة . وهذا مثل شكلي لكيفية الممارسة الإعلامية وطريقتها . أما من حيث المضمون والأسلوب فقد كانت ممارسته الإعلامية النبوية أكثر إفادة وتأثيرا . وتعلما لكل رجال الإعلام في كل زمان ومكان .

فإذا كان أساتذته الإعلام في العصر الحديث يتفتنون — على سبيل المثال — في كيفية صياغة الرسالة الإعلامية . ومدى ملائمتها للوسيلة . وملاءمتها في ذات الوقت للجمهور المستقبل . فقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك . حينما كان يخاطب كل قوم بما يناسبهم . وكل عصر أو فترة زمنية بما تلائم مع طبيعتها . وكل مجتمع بما يليق به وبأهله — فأهل مكة له طريقة في التحدث إليهم . والفترة

السريّة من عصر البعثه - في بدايتها - كان له صلى الله عليه وسلم أسلوب إعلامي فيها يختلف عن الفتره العلنيه مع العلم بأن هذه وتلك في المجتمع المكى بذاته . كما كان له طريقه وأسلوب في التحدث إلى الأعراب الذين يتسمون بالغلظة والجفاف . تختلف عن طريقته وأسلوبه في المعامله والتحدث إلى غيرهم . وكان عنده صلى الله عليه وسلم للحكماء كلام . وللشعراء كلام . وللمحبى الاطالة في الحديث حديث . وكان له أسلوب في المعامله مع المنافقين في المدينة بعد الهجرة . كما كان له أسلوب في معاملة الأنصار . وكان له أسلوب في التعامل مع اليهود يختلف عن كل هؤلاء مع العلم بأن الأنصار والمنافقين واليهود هم أهل مجتمع واحد فهو بهذا قد سبق أساتذه العصر الحديث من الإعلاميين في حسن صياغة الرسالة الإعلامية ومدى ملاءمتها للجمهور . وحسن استخدام أشكال الاتصال الإعلامي المناسبه لتوصيلها مع قصور الامكانيات من حيث الوسائل المتاحة في ذلك العصر . لذا كان لها الأثر الذى حدث ويحدث الى يوم القيامه .

و يقول بعض الباحثين في العصر الحاضر: «لن نكون مبالغين في القول إذا اعتبرنا أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى جانب القوى الروحية التى اختصه الله بها عبقرياً إعلامياً . يتضاءل بجانبه جهابذه الإعلام في العالم منذ بدء الخليفة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها اكتشف أهمية الإعلام لنشر دعوته وممارس العمل الإعلامى بفنونه المختلفه . وأعدله الخطط العلمية الدقيقة بصورة أذهلت الخبراء . والضاربين في حقل الاتصال بال جماهير . نهج في دعوته منهاجاً إعلامياً خاصاً . ووضع لهذه الدعوة أصولاً تحوى من الأفكار ما هو بمثابة كنوز لم تكشف النقاب عنها حتى الآن بشكل كاف ذلك أن الحياة الإعلامية لصاحب الرسالة صلوات الله عليه تعوزها جهود الباحثين»^(١)

و يقول باحث آخر: «إذا كنا جاهدين على دراسة اكتشافات المفكرين المحدثين في حقل الإعلام والاتصال بال جماهير فإننا يجب أن نشجذ الهمم ونشجع كل جهد يبذل وكل بحث يقدم لدراسة كل عمل إعلامى . وان نقف طويلاً على كل خطوة خطتها الرسول صلى الله عليه وسلم لتوسيع أو تعميق رقعة دعوته . ذلك

(١) محبى الدين عبدالحليم ، الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العمليه (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠) ص ١٤٢ .

أننا إذا أعطينا هذه الدراسات حقها فإننا سوف نخلص إلى حقائق تتضاءل إلى جانبها اكتشافات هؤلاء العلماء والخبراء المحدثين . ولم نذهب بعيدا وأمامنا دائره المعارف البريطانية تصوغ الجهود والمنجزات العملاقة التي حققها الرسول الكريم في فتره زمنية وجيزه فقالت في ذلك : لقد أنجز الرسول في عشرين عاما من حياته ما عجزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى رغم السلطة الزمنية التي كانت تساعد جهودهم . وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنيين والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى» (٢)

وبهذا نرى أنه من الضروري أن نتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية الممارسة الصحيحة والصحية للإعلام . فهو الطريق المضيء . والنتج الصافي . والمعين الذي لا ينضب . حيث مارس صلى الله عليه وسلم الإعلام بفنونه المختلفه . بقصد إحداث التأثير ، ومن ثم حث الناس على الاستجابة . والأقدام على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو دين الله عز وجل . فلم يكن همّه توصيل المعلومة فقط وإنما كان حرصا على إحداث التأثير المطلوب لانقاذ البشرية . وهذا يفيد رجال الاعلام في ضرورة الحرص على التعرف على ردود الفعل التي تحدثها رسائلهم الإعلامية .

وقبل أن نستعرض في بحثنا هذا كيفية ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الإسلام في مكة نوضح أمرين هامتين :
أولا : أنه لا غارق بين مصطلح الدعوة الإسلامية . بالمفهوم الذي استخدم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم . ومصطلح الإعلام برسالة الإسلام ، حيث أن تعبير الدعوة الإسلامية في ذلك العصر كما يوضحه بعض العلماء هو : « عملية إحياء لنظام ما تنتقل الأمة به من محيط إلى محيط . والدعوة الإسلامية على هذا : حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم » (٣) .

(٢) حافظ محمود ، الاعلام العربى والاعلام المسيحيونى (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٧٣) ص ٥١ .

(٣) روف شلى ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٤) ص ٣٢ .

وإذا تأملنا هذا التعريف للدعوة الإسلامية نجد أنه هو الجهد الاعلامي . أو هو العملية الإعلامية التي تؤدي إلى نشر الرسالة عبر الزمان وإلى كل مكان . فهي تحافظ على امتداد نقل المعلومات بطريقة رأسية من جيل إلى جيل . وبطريقه أفقية إلى كل مكان . ويؤيد ذلك قول الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الإعلام « انتشرت دعوة الإسلام بالوسائل المعروفة في ذلك الوقت . ولكن كان القداماء منذ ظهور الرسول لا يعرفون هذا المصطلح الحديث . مصطلح الإعلام والاتصال بأنواعه الثلاثة : الشخصي والجمعي والجهادي . واستخدموا مكانه المصطلح المعروف عندهم . وهو مصطلح الدعوة » (٤) .

بذلك فلا فارق يذكر في استخدام مصطلح الدعوة الإسلامية بالمفهوم الذي كان معروفا في العصر النبوي وبين مصطلح الإعلام الإسلامي أو الاعلام بالرسالة الإسلامية وإن كان مفهوم الدعوة والدعاية قد أخذ مفاهيم أخرى بعد ذلك . وسنحدث عن ذلك تفصيلا في الفصل الرابع إن شاء الله .

ثانيا : أن الهدف من هذا الكتاب ليس قياس أعمال النبي صلى الله عليه وسلم على أساليب ونظريات الاعلام الحديثه . فهذا منطق معكوس . وإنما الهدف هو أن نقوم بعملية تأصيل للممارسة الإعلامية . لردّها إلى الأصل الذي لا يخطئ وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عصره . وأن نقول للعالم كله إن المسلمين لديهم أسسهم وقواعدهم وأصولهم الإعلامية السليمة القوية . ولهم شخصيتهم الإسلامية المستقلة . فهم ليسوا حيارى أوزائفين وراء الفكر الغربي ولا الشرقي . وإنما هم أهل أقدام راسخة ثابتة تستمد اصولها وعراقتها ورسوخها من رسالة السماء . من عند الله عز وجل . وليس عليهم إلا أن يتجهوا إليها ليستفيدوا منها . وليستنيروا بها .

ولئن تشابهت بعض النظريات الاعلامية الحديثه مع بعض الممارسات الإسلامية للاعلام . فالأولى أن نقول أن الإسلام هو الأصل . والدليل على ذلك هو قدمه التاريخي ، وأن ذلك نقل إلى الغرب عبر حركات الترجمة . التي نقلت

(٤) عبد اللطيف حمزة ، الاعلام في صدر الإسلام ، الطبعة الثانية (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٨) ص ١٠٤ .

تراث الإسلام إلى أوروبا . ثم تجاهلوا الاسلام بعد ذلك . ونسبوا ذلك إلى أنفسهم وإلى مفكرهم

فالهدف إذن معرفه كيفية ممارسة النبی صلی الله علیه وسلم للإعلام لتتأسى بها . ولنضع خططنا الإعلاميه الخاصه بكل شئون ودروب الحياه على نهجها . وهدى من نورها . فليس معنى الإعلام الإسلامی هو تعلم قواعد الدين فقط كما سنوضح فيما بعد .

وقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى سبعة فصول . يستطيع القارئ من خلالها أن يتعلم كيف يمارس الإعلام الاسلامی . ولوبأقل الوسائل الممكنه . وأبسط الأساليب والطرق .

فقد تحدث الفصل الأول عن صفات الرسول صلی الله علیه وسلم قبل الوحى . فعرضنا فيه للصفات المميزه له منذ ولادته وأثناء رضاعته . ثم للصفات المميزه له في صباه وشبابه في مكة وخارجها . والتي كانت بمثابة عوامل جذب للانتباه . ولفت الأنظار إليه صلی الله علیه وسلم . وبيان أنه ليس فردا عاديا منذ ولادته .

وفي الفصل الثانى تحدثنا عن إعداد الرسول صلی الله علیه وسلم لأن يكون اعلاميا قديرا . فتحدثنا عن إعدادة قبل البعثة . وعن عملية الإعداد في بداية البعثة . ليكون ذلك نبراسا لكيفية إعداد رجال الإعلام الإسلامی . وماهى الصفات التى يجب أن تتوافر فيهم . والتي يجب أن يتحلوا بها . ليكونوا رجال اعلام ناجحين .

وتعرضنا في الفصل الثالث للأهمية الإعلاميه للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر فتحدثنا عن الفارق بين النبی والرسول ، وعن صفات الأنبياء والرسل . ثم عن العلاقة أو الدلالة الإعلاميه بين كلمتى نبى ونبا وكلمتى رسول ورسالة .

ثم انتقلنا إلى عرض كيفية ممارسته الإعلاميه صلی الله علیه وسلم في مكة . فتحدثنا في الفصل الرابع عن أن نشر الاسلام جهد اعلامی . وعن علاقته الدعوه الاسلاميه بالاعلام الاسلامی . ثم تحدثنا عن الممارسة الاعلاميه للرسول في الفتره السريه ثم في الفتره العلنيه في مكة . حسب اقتضاء الزمان والمكان لذلك

موضحين ذلك بالأمثلة ليتعلم الإعلاميون كيفية الممارسة الاعلامية حسب طبيعته المجتمعية وحسب الظروف الزمانية . وهو ما يسمى بالظرف الاتصالي .

وفي الفصل الخامس عرضنا لممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم للإعلام بالإسلام خارج مكة في العهد المكي . حيث قابل وفد النصارى . وذهب الى الطائف وعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج والأسواق . وقابل وفد الأنصار وبايعهم ثم ما كان في الهجرة النبوية من أحداث إعلامية . وقدم الفصل السادس تتمة لذلك وهو إرسال الصحابة رضی الله عنهم في مهمات إعلامية خارج مكة في العهد المكي حيث أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الحبشة وأرسل مصعب بن عمير الى المدينة في مهمات محددة . ثم كانت هجرة الصحابة الى يثرب بعد ذلك .

وسنجد أن هذه الممارسة الاعلامية النبوية في مكة قد تمت وفق خطة إعلامية محكمة دقيقة وقوية ومتناسقة تستخدم رسالة الاسلام . حيث كل خطوه تخدم ماتقدم من أجله وتمهد في ذات الوقت للخطه التاليه لها . في اتساق ودقه وتنظيم يجب أن يستفيد منه رجال الاعلام في العصر الحديث . حيث يعيب اعلامنا رغم وسائله عمميات التناقض بين مختلف الوسائل عن الموضوع الواحد . حتى داخل الوسيله ذاتها نجد التناقض مما يؤدي إلى انعدام الثقه في الإعلام كله . وفي المضمون الذي يقدم فيه ، حيث تحت بعض البرامج على سبيل المثال على الحياء والفضيله ثم يُعرض فيسلم تليفزيوني يؤدي إلى نزع الحياء من الوجه ، و يؤدي الى تبرير السلوك الإجرامى والفاضح .. وهكذا فهل يثق المستقبل في مضمون البرنامج الداعى الى الفضيله . أم في مضمون الفيلم الداعى إلى الرزيلة ؟ !

وتحدثنا في الفصل الأخير عن أشكال الاتصال الإعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم في اعلامه بالإسلام في مكة .. حيث قدمنا لذلك بمقارنة مبسطه بين وسائل الاعلام وأشكال الاتصال ليتبين لنا كيف استخدم النبى صلى الله عليه وسلم الوسائل المتاحة في عصره للإعلام الأمثل بدعوته ورسالته . ثم عرضنا لأهمية الاتصال الذاتى في الإعلام الإسلامى . ثم للاتصال الشخصى والجمعى ودورهما في خدمة الإعلام بالإسلام في مكة .

آمل أن أكون قد حققت الهدف المطلوب .. وهو كيف نمارس الإعلام الإسلامي؟

وستتم الاجابة على هذا السؤال بعد أن نعرض في بحث قادم للممارسة التطبيقية للإعلام النبوي في المدنيه . وسيكون ذلك إن شاء الله في كتاب الأسس الاعلاميه في القرآن والسنة .

أما هذا الكتاب فإنه يبين لكل إعلامي في كل زمان وكل مكان أنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد مارس الإعلام برسالة الإسلام في مكة مثل هذه الوسائل البسيطة المتاحة في عصره وفي وسط هذه الظروف الزمانية والمكانية الصعبة . إذا كان قد مارس الإعلام الإسلامي رغم ذلك بإحقيق انتشار الاسلام الى كل مكان وعبر كل زمان ..

فأى تقصير هذا الذي نحن فيه ؟

إننا ببذء الوسائل الجماهيرية الحديثه والمتاحة في عصرنا . يجب أن ننشط لممارسة الإعلام الإسلامي بما يحقق إفادة البشرية . في دنياها وآخرها . حيث أن الإعلام الإسلامي غير قاصر على المفهوم التقليدي . وهو تعليم قواعد واركان الدين كما يظن البعض . كما أنه ليس قاصرا على الوسائل التقليديه أو يمانع في استخدام الوسائل الحديثه . بل العكس . فالاسلام هودين إعمال الفكر والعقل . وهودين الحركه والمرونة والنشاط أن الاسلام يعارض ما هو مضاد للعقيدة ذاتها أو ما يتعرض لقواعد الدين وفرائضه . أما استخدام الوسائل الحديثه فلاشئ فيه . حيث إن الوسيلة محايدة . وتنقل ما يقدم لها . فالمهم إذن هو مضمون الرسالة . وليتم نقل ذلك بأي وسيلة تحقق خدمه الجمهور وخدمة المجتمع . وتتمشى مع روح العصر ..

إن ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للإعلام بالإسلام رغم فقر الوسيلة وصعوبة الظروف الاتصاليه . لتقيم علينا الحجة . لأننا نمتلك الوسائل المستطوره التي توفر الجهد والوقت وتجذب المستقبل إليها . وتفيده بما تقدمه له من مضامين نافعه . فنحن إذا أحسنا استخدام الوسائل بما ينفع الناس بالفعل بناء على نهج الإسلام . واقتباسا من نوره كان إعلامنا إسلاميا . واستطعنا بذلك أن نرفع

عن البشرية أعباء المادية وطغيانها المدمر. حيث الإعلام الإسلامى موجه إلى كل الناس فى كل زمان وكل مكان لا إلى المسلمين وحدهم . ولا إلى مكان بعينه . ولا إلى زمان بعينه .

وحسبى فى هذا البحث أننى استعنت بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضربت الأمثله من حياته ، ومواقفه . فهو الأسوة والقدوة الحسنة للناس جميعا . وهو رسول الله الأمين . الذى لم يكذب قط . والذى شهد له بذلك أعداؤه وأصحابه وأهله . وهم أعرف الناس به . ولو كانوا قد علموا عنه موقفا واحدا يشوب سيرته أو يمس سمعته . لما وقفوا معه مساندين . ومؤمنين به وبرسالته .

آمل أيضا أن يستفيد من هذا كل مسلم غيور على دينه . فليس الحديث هنا لرجال الاعلام المعروفين بأن هذه مهنتهم فقط . إنما لكل مسلم حيث كل مسلم يجب أن يكون إعلاميا بالاسلام . وأن نعتز جميعا بشخصيتنا الإسلامية . التى تمتلك كنوزا لا تنفد .. ولا تخطيء لانها من عند الله عز وجل .. فلسنا حيارى ، ولا منقادين لأى فكر .. لأننا يقودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفكر الموحى إليه من الله عز وجل والله الموفق والمستعان .

د . عبدالوهاب كحيل

دجا فى ١٢ يوليو ١٩٨٦

صِفَاتُ الرَّسُولِ قَبْلَ الْوَحْيِ

صفات الرسول صلى الله عليه وسلم

قبل الوحي

أولاً : الصفات المميزة لمحمد منذ ولادته وأثناء رضاعته .

ثانياً : الصفات المميزة لمحمد في حياته وشبابه في مكة وخارجها .

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the

2. second part of the paper is devoted to a discussion of the

3. third part of the paper is devoted to a discussion of the

4. fourth part of the paper is devoted to a discussion of the

5. fifth part of the paper is devoted to a discussion of the

6. sixth part of the paper is devoted to a discussion of the

7. seventh part of the paper is devoted to a discussion of the

8. eighth part of the paper is devoted to a discussion of the

9. ninth part of the paper is devoted to a discussion of the

10. tenth part of the paper is devoted to a discussion of the

أولاً : الصفات المميزة لمحمد منذ ولادته وأثناء رضاعته

ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتيم الأب . وقد كانت ولادته على شوق كبير وهفهفه لدى زعيم قريش وسيدها المطاع فيها عبد المطلب . فقد كانت لهفته بالغة على أن يكون هذا المولود ذكراً ذلك أنه ابن ابنة الأصغر ، وأحب أولاده إلى قلبه والذي توفي شاباً قبل أن يولد له مولوده الأول . لذا كانت فرحة عبد المطلب بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لاتعد لها فرحة . فقد استقبل الخبر بالبشر والترحاب .

« وحمل عبد المطلب الطفل بين يديه ومش به حتى دخل الكعبة فعوضه وأثنى على الله ثم أرجع الطفل الى أمة . وفي اليوم السابع من ولادته ذبح عنه جزوراً ودعا أعيان قريش ليأكلوا . ولما أنتهوا من الطعام سأله : ما سميته ؟ قال : محمداً . ولم يكن هذا الاسم متداولاً ولكنه كان معروفاً — فقالوا : أرغبت عن أسماء آبائنا ؟ قال : أردت أن يكون محموداً في السماء لله وفي الأرض لخالقه » (١) .

و يذكر بعض المؤرخين أن عبد المطلب كان قد رأى في نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء ، وطرف في الأرض ، وطرف في الشرق وطرف في الغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كلهم كأنهم يتعلقون بها . فقص عبد المطلب رؤياه ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض . فكذاك سماه محمداً . وسمته أمه من قبل : أحمد فهو أحمد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

(١) عبد الغفار عزي وآخرون ، لمحات في السيرة النبوية وتاريخ الدعوة الإسلامية ، الطبعة الأولى (القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٨٢) ص ٣٧ .

(٢) عبد الحليم محمود ، القرآن والنبي (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) ص ٢٢١ .

وترعرع النبی صلی الله علیه وسلم فی کنف جده عبد المطلب والذی أرسله للرضاع فی بنی سعد کما كانت عادة العرب . وأن یرسلوا أولادهم للرضاع فی قبائل البدو حتی سن الثامنة أو العاشرة .

والمعروف غالباً أن الیتیم تكون تربیته أقل من غیره . إما لإهمال أمر تربیته . وأما لكثرة الخنو والشفقة علیه . وكلا الأمرین یفسدان التریبه یجعلان الطفل ینشأ نشأة غیر سوئیة .

أما النبی صلی الله علیه وسلم فع كونه ولدیتم الاب ثم ماتت امه بعد سنوات قليلة ، فاصبح یتیم الأبوین ، إلا انه مع ذلك كانت تربیته كأحسن ما تكون التریبه . ونشأته كأحسن ما تكون النشأة . فقد أدبه ز به سبحانه وتعالى بأدبه وشمله برحمته وحقه بعتایته . وتشهد بذلك صفاته صلی الله علیه وسلم فی صباه وفی شبابه قبل البعثه حیث لم یکن طفلاً عادیا أو شاباً عادیا أو رجلاً عادیا . وإنما كان علی قدر من الأدب الجم .. والصفات الجمیلة والخصال الحمیده .

ولو نظرنا إلى ما صاحب ولادة النبی صلی الله علیه وسلم من علامات وإشارات وأرهاصات . لوجدنا أنها كانت عوامل تجذب انتباه إلى هذا المولود وإلى زمانه . وكانت عوامل تنبيه للرهبان وأصحاب الكتب إلى إعاده استقراء كتبهم لكشف ما یغض علی العامة من أمر هذه الأرهاصات . وكانت أجراس إنذار لسدنة الآلهة والأصنام بأن یرحلوا وأن یتخلوا عن مناصبهم وأماكنهم تلك . وكانت إیذاناً بآنتهاء الديانات الفاسدة وعهدها وببداية الإسلام — الدين الصحيح — وعهده وعصره الممتد إلى قیام الساعة . وكانت آخر بلغتنا الإعلامية عوامل تهیه للرأى العام فی مجتمع العصر الجاهلی لتلقى الرسالة الجديدة وصاحبها . كما كانت عملية إعداد للنبی صلی الله علیه وسلم منذ ولادته للقیام بأعباء هذه الرسالة . التى وصفها الله عز وجل «إنا سنلقى علیك قولاً قلیلاً» (٢) .

ولأن الرسالة التى حملها النبی صلی الله علیه وسلم وظیفتها-تغییر الأنظمة المتعارف علیها والمتوارثه فی مجتمع العصر الجاهلی . لذلك بدأت تهیه الرأى العام لتلقیها منذ ولادة النبی صلی الله علیه وسلم واستمرت فی صباه وشبابه وحتى

(٢) سورة الزمل (٥) .

بعثته . ولأن هذه الرسالة كانت ثقيلة فإن عملية اعداد النبي صلى الله عليه وسلم لتحمل هذه الرسالة قد بدأت منذ ولادته واستمرت أيضا في صباه وشبابه ورجولته وبمعهته وبعد بعثته وحتى استتب أمر الدعوة وقيام الدولة الاسلامية شائعة قوية بكل أنظمتها وقيمتها وإعلامها المتكامل والقوى والمستمر الى يوم القيامه . صالحا لكل زمان وكل مكان وكل مجتمع على اختلاف الأزمنة واختلاف الأمكنة واختلاف المجتمعات . ورغم تقدم وسائل الاتصال والاعلام . إلا أن الإعلام الإسلامى الذى رسمه ومارسه النبى صلى الله عليه وسلم صالح من حيث مضامينه وطريقته لكل زمان وكل مكان .

وقد لعبت هذه الإرهاصات التى صاحبت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم دورها فى جذب الانتباه الى هذا المولود منذ يوم ولادته وإلى أن له شأنًا عظيمًا ، حيث أدت بأصحاب الكتب إلى التقليب فى كتبهم للإخبار بأنها علامات ولادة بنى آخر الزمان الذى أظل عصره . كما كشفت عن صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات زمانه وصفات رسالته منذ بداية حياته ونشأته .

« عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : والله إني لغلām يفعه^(٤) ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطلسه بيثرب * : يا معشر يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : و بلك مالك ! قال طلع الليلة نجم أحد الذى وُلد به »^(٥) .

وقد كان من الإرهاصات والعلامات التى لفت الأنظار إلى صفات النبي صلى الله عليه وسلم منذ نشأته . وأشارت إلى أنه طفل غير عادى . ما حدث مع مرضعته حليلة السعدية والتى جاءت مع صاحباتها إلى مكة يلتمسن الأطفال لارضاعهم . وكن يُعرضن عن اليتامى لأنهن كن يرتجحن البر من الآباء . لذا لم تقبل واحدة منهن على محمد (صلى الله عليه وسلم) .

(٤) « غلام يفعه » معناه قوى قد طال قده .

(٥) الأظم : الحصن .

(٥) أبو محمد عبد الملك بن هشام ، سيره النبي ، مراجعه وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ، كتاب التحرير الجزء الأول (القاهرة : مؤسسه دار التحرير للطبع والنشر . ١٩٧٣) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

«أما حلیمه فلم تحب طفلاً . لذا قالت لزوجها حين أجمع القوم على الانطلاق من مكة : والله إننى لأكره أن أرجع مع صواحبى ولم آخذ رضيعاً . والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ولأخذنه ! وأجابها زوجها الخارث بن عبد العزى : لا عليك أن تفعلی ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . وأخذت حلیمه عمداً وانطلقت به مع قومها إلى البادية وكانت تحدث أنها وجدت فيه منذ أخذته أئى بركة . سمعت غنمها وزاد لبنها . وبارك الله لها فى كل ما عندها .

وأقام محمد - صلى الله عليه وسلم - فى الصحراء سنتين ترضعه حلیمه وتحضنه ابنتها الشفاء ، ويجد فى هواه الصحراء وخشونة عيش البادية ما يسرع به إلى النمو ويزيد فى وسامة خلقه وحسن تكوينه . فلما تم له سنتان وأن فصاله ذهبت به حلیمه إلى أمه ثم عادت به إلى البادية ، رغبة من أمه - فى رواية - ومن حلیمه - فى رواية أخرى - عادت به حتى يغلظ ، وخوفاً عليه من وباء مكة . وأقام الطفل بالصحراء سنتين آخرین یرجّح جوابديتها الصحو الطلق لا يعرف قيدا من قيود الروح ولا من قيود المادة^(٦) .

وهكذا تحب أن الله عز وجل قد شاء لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينشأ نشأة مثلى فرغم كونه يتيمًا والمرضعات لم يكن يُقبلن على التيمم . إلا أن الله أراد السعادة لحليمه فرجعت هى وزوجها فأخذت الطفل اليتيم عمداً صلى الله عليه وسلم . وقد اكتسب النبي صلى الله عليه من رضاعته فى بنى سعد بن بكر الخشونة والشجاعة والفصاحة . أى اكتسب صفات جسميه وخلقيه وروحيه تؤهله خير تأهيل لتحمل الأعباء الجسام التى كانت تنتظره .

وقد رأت حلیمه بركة النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن أخذته على دابتها السقيمة الضعيفة ، والتى قويت فور حملها للنبي صلى الله عليه وسلم على ظهرها . كما رأت بركاته - صلى الله عليه وسلم - فى غنمها وعمل قومها جميعاً فأجبت بقاءه عندها بعد أن آن فصاله ، ولم تعد به إلى أمه إلا بعد أن حدثت حادثه شق الصدر التى رواها لها أحد إخوته من الرضاعة . فخافت عليه الشر فعاتت به إلى أمه فى مكة . لشده خوفها عليه .

(٦) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، الطبعة الرابعة عشرة (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٧) ص ١٢٧ .

و يدلنا حديث شق الصدر على ما حَقَّ الله سبحانه وتعالى به نبيه من صفات روحه جيله . حيث أرسل الملائكة يفسلون قلبه منذ حدوثه بماء الحكمة ويستخرجون منه الشوائب . حتى يشب صافيا . خاليا من كل دنس .

رُوِيَ أَنَّ نَفَرًا مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : نَعَمْ «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورُ أَضَاءِهَا قُصُورُ الشَّامِ ، وَاسْتَرْضَعَتْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخِي لِيْ خُلْفٍ بِيُوتُنَا نَرعى بِهَا لَنَا إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ بَطَسَتْ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ ثُلْجًا ، أَخَذَانِي فَشَقَا بَطْنِي ، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَاهُ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلِيقَةً سُودَاءَ فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الشَّلِجِ حَتَّى انْقِيَاهُ » قَالَ « ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لَصَاحِبِهِ : زَنَّهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنَتْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زَنَّهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنَتْهُمْ ، فَقَالَ : دَعْنِي ، فَوَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا » (٧) .

وقد حدثت حادثة شق الصدر هذه بصورة مرئية ومحسوسة انزعج منها أخوه من الرضاعة . وانزعجت لها حليلة وزوجها وعادا به على إثرها إلى أمه بحكة تخوفا عليه . ثم تناقل الناس هذه الرواية فيما بعد . وما ذلك إلا تعريفا به صلى الله عليه وسلم وبصفاته بين الناس في مجتمعه . وليكون معروفا بين قومه . فما كان أيسر ولا أسهل من أن يتم ذلك — أى تطهير قلبه وصدره — دون هذه الحادثة المحسوسة . لكن الله عز وجل أراد أن يشهد الناس جميعا في هذا المجتمع الذى لم يكن يؤمن إلا بما يرى من محسوسات . أراد أن يشهدهم بصورة محسوسة على نقاء قلب النبي صلى الله عليه وسلم وصفاء صدره . كما أراد أن يلفت أنظار الناس إلى أهمية النبي صلى الله عليه وسلم وإلى صفاته النقية منذ حدوثه . ومنذ نشأته الأولى .

وكان أهل الكتب من اليهود والنصارى يعرفون جيدا صفات النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت مذكورة في كتبهم ، تصفه وصفا جيدا سواء في صباه أو في شبابه أو في بعثته كما تصف زمانه ومكانه وأهله . ولا أدل على ذلك مما حدث من

(٧) أبو عبد الله الملك بن هشام ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

بعض نصارى الحبشة «والذين رأوا الطفل محمداً - صلى الله عليه وسلم - مع حليمة السعدية حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه . وقلبه ، ثم قالوا لها : لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا وبلدنا ، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره . فلم تكذب تنفلت به منهم » (٨) .

وتتابعت الإرهاصات الدالة على عظمة شأن النبي صلى الله عليه وسلم منذ صباه . والمشيير إلى اختلاف نشأته عن غيره من أقرانه من أبناء مكة وفتيانها وما كان ذلك إلا تمييزاً له صلى الله عليه وسلم . حتى إذا ما جهر بدعوته في بعد تأمل العرب تاريخه فوجدوا أنه بالفعل يختلف عن غيره من الصبية الذين نشأوا معه في صباه . ويختلف عن غيره من الشباب وعن غيره من سائر المكين ، الذين نشأوا وتربوا في نفس الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية والمناخية . مالبينة والظروف كلها موحدة إلا أن نشأه النبي صلى الله عليه وسلم منذ بدايتها كانت تختلف عن نشأة جميع من نشأوا وعاشوا في نفس الزمان والمكان وتعرضوا لنفس الظروف . بل وقد كان بعضهم يتمتع بكثير من المزايا التي لم تنح للطفل محمد (صلى الله عليه وسلم) من حيث وجود الأب . ومن حيث الثراء وكثرة المال . فقد ولد محمد يتيماً فقيراً في كفالة جده عبد المطلب . فع كونه عبد المطلب سيد العرب وزعيمها آنذاك إلا أنه كان فقيراً من حيث المال .

وقد استمرت هذه العوامل السابقة فترة طفولة النبي صلى الله عليه وسلم وتتابع أيضاً حتى شبابه فنها على سبيل المثال وفاة أمه وهو في سن السادسة ومن الملفت للنظر أيضاً أنها توفيت وهي في طريق عودتها إلى مكة ، ومحمد معها بعد أن قدمت به على أخواله في بني النجار « يقول ابن اسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة . توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدنية كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة » (٩) .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

كان عبد المطلب زعيم العرب وسيدھا المطاع — رغم كثره أولاده وأحفاده يرى أن محمد شأننا عظيماً . فكان يحنو عليه و يوليه رعاية ومكانة لم يولها لأولاده أنفسهم . من ذلك ما ذكره ابن اسحق أيضاً « أنه كان لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنييه إجلالاً له . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إن له لشأناً . ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع » (١٠) .

وتوفي عبد المطلب بن هاشم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمانى سنوات وكفله من بعد عبد المطلب عمه أبو طالب . الذي تولى ذلك عملاً يوصية أبيه ، كما يقول ابن اسحق « كان أبو طالب هو الذي يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، فكان إليه ومعه » (١١) .

ومما يدل على ظهور مكانة النبي صلى الله عليه وسلم و بروز صفاته منذ صباه أن رجلاً « من هب كان عائفاً — أى صادق الحدس والظن — فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . فأتاه أبو طالب بمحمد — وهو غلام — مع من يأتيه ، فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام ، على به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غييبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم !! ردوا على الغلام الذي رأيت آنفاً . فوالله ليكون له شأن » (١٢) .

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(١١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

ثانيا : الصفات المميزة لمحمد في صباه وشبابه في مكة وخارجها :

كانت هذه الصفات المميزة للرسول صلى الله عليه وسلم والمشيئة الى علو شأنه ومكانته منذ صباه في مكة . وقد حدثت أحداث مثلها خارج مكة أيضا مما يشير الى تأكيد ذلك لكفار مكة . وللمجتمع المكي كله أن محمدا يختلف عن غيره منذ صباه الى شبابه الى رجولته الى شيخوخته . وكان هذا بمثابة الإعلام المبكر بنبوته صلى الله عليه وسلم . كما كان من عوامل جذب الانتباه الى محمد صلى الله عليه وسلم منذ نشأته ، حيث شهد له بذلك الراهب بحيرى حينما رآه في ركب التجاره المسافرة الى الشام .

« قال ابن إسحاق : ثم إن أباطالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير ، صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يزعمون — فرق له أبوطالب وقال والله لأخرجن به معي . ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً فخرج به ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . إليه بصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببخيري — كانوا كثيراً ما يرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم — حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا . وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزل في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتقصرت أعضان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها . فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته . وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاما يامعشر قريش فأننا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرکم . فقال له رجل منهم والله يابخيري إن لك لشأنا اليوم . ما كنت تصنع هذا

بنا وقد كنا نغربك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا إليه . وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رجال القوم تحت الشجرة . فلما رأهم يُبحرئ لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى . قالوا : يا بُحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتىك إلا غلام وهو أحد ثنائنا . فتخلف فى رحالنا ، قال لا تفعلوا . أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من قريش مع القوم : واللآل والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم . فلما رأى بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً و ينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له يا غلام : أسألك بحق اللآل والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . وأما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألنى بالآل والعزى شيئاً . فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضها . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له سلنى عما بدالك : فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، من نومه وهيبته وأموره . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده . فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال ابني قال بحيرى ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً . قال : فإنه ابن أختى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال صدقت . ارجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه اليهود . فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغته شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده . فخرج به أبوطالب سريراً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارتهم بالشام قال ابن اسحاق : فزعموا أن زرياً وثماماً ودر يساً — وهم نفر من أهل الكتاب — قد كانوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فأرادوه فردهم عنه بحيرى .

فذكّرهم الله ما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم أجمعوا لما أراد وابه لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه» (١٣).

وتدل هذه القصة على أن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت واضحة ومعددة المعالم لدى أهل الكتاب . سواء كانت الصفات المصاحبة له أينما حلّ كالغفامة ونحوها . أو الصفات الجسمانية مثل خاتم النبوة أو اسم أبيه ونحو ذلك . وقد ذكر بحيرى ذلك وطلب بإلحاح أن يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم قومه إلى الطعام . وحذّره من اليهود . كما ورد أنه ردهم عنه وخوفهم عقاب الله سبحانه وتعالى ، إن أراد وابه شرًا .

وقد وردت هذه القصة برواية أخرى نذكرها لما فيها من إشارة علنية من بحيرى أمام تجار قریش إلى هذا هونى آخر الزمان . وهذه الإشارة لها أهميتها ودلالاتها . فالعرب يعلمون قدر بحيرى وأنه راهب وصاحب كتاب كما أنه لم يتعود إطلاعهم ولا الالتقاء بهم كل عام وهذا يدل على أن وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - معهم هذا العام قد شغله وشد انتباهه وأثار اهتمامه . مما جعله ينشغل بهم جميعا ويطلبهم للطعام صغيرا وكبيرا . حرّا وعبيدا . ثم يطلب حضوره معهم لما تخلف عنهم وقد أثار هذا دهشة بعض تجار قریش . كما أنه كان بمثابة تهية الأذهان لتقبل مقولة بحيرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صفاته .

وأما أهمية الوصف العلنى من بحيرى للنبي صلى الله عليه وسلم ولقدره وشأنه أمام تجار قریش فيرجع إلى أن هؤلاء التجار هم طبقة الصفوة من قومهم وهم الممثلون للرأى العام القائد المؤثر في المجتمع المكي وهو المجتمع الأول للرسالة ، حيث بُعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم . حتى إذا ما استغرب هؤلاء الصفوة ما يقوله محمدا عادوا بذاكرتهم إلى مقولة الراهب بحيرى والتي قالها منذ أن كان محمد غلاما حدثا . والمعلوم أن التجاره كان يخرج فيها أشجع الرجال وأكثرهم ميالا وأكثرهم شرفا ومجدا وقوة إلى جانب عبيدهم الذين يقومون على خدمتهم وحراستهم . وكان لهاتين الطبقتين من الناس تأثير كبير . فأما طبقة الشرفاء من

(١٣) أبو الفداء الحافظ ابن كثير البداية والنهاية : الجزء الثانى (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٨) ص ٢٨٤ .

أصحاب التجاره فهم الأغنياء الأقوياء أصحاب الجاه والمجد والشرف وبالتالي فهم أصحاب التأثير وأما طبقه العبيد فهم الطبقة المطحونة المغلوب على أمرها . والمتطلعة إلى الحرية .

فإذا ما ظهرت دعوة محمد فإن طبقه القاده أو المؤثرين من المكين الذين حضروا مقوله بحيرى إما أن يتأثروا و يصدقوا محمدا . وإما أن يعملوا فكرهم فيقفون وقفه المحايد . وإما أن يحاربوه وقد تزعزت عقيدتهم من الداخل لما سبق أن سمعوه من بحيرى منذ زمان طويل يُخبر فيه أن هذا هو نبي آخر الزمان ، وبالتالي فلا يكون لحربهم تأثير لأنهم يعلمون مدى صدق محمد من ناحيه . و يعلمون مدى كذبهم في تكذيبه من ناحية أخرى . وهؤلاء تأثيرهم في المجتمع المكى فهم طبقه القادة والأغلبيه الكيفية والمؤثرون في غيرهم ممن هم أقل منهم شأنا أو أصغر سنا . أو المنقادون لهم سواء كانوا أحرار أو عبيدا . ففكرة الرأى لهم تأثير كبير في المجتمع كما يذكر علماء الإعلام في العصر الحديث . حيث يرون أن « الزعيم أو القائد إنسان كسائر الناس له طباعه وأخلاقه ، و يشارك بنى وطنه في ثقافتهم إلى حد كبير . غير أنه يمتاز عليهم بقوه الشخصية والطموح والقدرة على التأثير في الجماهير ، إما بجهاده في الماضى أو أعماله الوطنية المجيدة أو فلسفته السياسية الجديدة ويمكن القول إن الزعيم رجل ذكى عرف اتجاهات الرأى العام وآمال مواطنيه وأمانتهم القومية ، فوقف منهم موقف القيادة لتوجيه الشعب إلى الطريق الذى يحقق له ما يبتغيه . وإذن فالرأى العام هو الذى يخلق الزعماء والقادة ، وهؤلاء هم الذين يقودون الرأى العام » (١٤) .

بذلك نرى أن لكلام بحيرى عن صفات محمد وشهادته له منذ صباه بأنه نبي هذه الأمة كان له اعتبار وأهميه أمام تجار قریش . فهم سادتها وهم زعمائها وهم قادة الرأى فيها ، وهم المؤثرون على غيرهم من المكين التابعين لهم سواء كانوا سادة أو عبيدا . فكما رأينا يؤثر الزعماء في الرأى العام في المجتمع بأكمله .

أما أهميه وصف بحيرى للنبي صلى الله عليه وسلم أمام طبقه العبيد المصاحبة للتجارة فيرجع الى أن هؤلاء العبيد سوف يسارعون الى اتباع محمد عند ظهور دعوته

(١٤) حسين عبد القادر، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الأولى (القاهرة : الانجلو المصرية : ١٩٥٧) ص ٢١ ، ٢٢ .

لأنهم قد تأكدوا من صدقها منذ أن سمعوا بحيرى ولأنهم يرون إلى الإفلات من العبودية والرق. ويحبون الحياة الحرة الكريمة في ظل مجتمع يتولى بين السيد والعبد.. كما أنهم سوف يتوسون بدور حملة الأخبار ونشرها في المجتمع المكي وغيره. وسوف يرددون شهادته بحيرى. للتدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة دعوته وأنها من عند الله. وقد تحقق هذا كله فيما بعد سواء على مستوى أشراف مكة أو عبيدها..

وسوف نروى قصة بحيرى بالرواية الأخرى التي ذكر فيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له بها علانية أمام قافلة التجاره لما لها من أهمية كما ذكرنا من قبل.

« قال الحافظ أبو بكر الخراشطي حدثنا عباس بن محمد الدوري قال حدثنا قراد أبونوح. قال حدثنا يونس عن أبي إسحاق، عن أبي بكر عن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبوطالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش. فلما أشرفوا على الراهب — يعني بحيرى — هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب. وكانوا قبل ذلك يرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال فنزل وهم يحلون رحالهم. فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذا سيد العالمين. وفي رواية البيهقي زيادة هذا رسول العالمين بعثه الله رحمة للعالمين.. فقال له أشياخ من قريش: وما عملك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبي، وإنني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هوى رعية الإبل — فقال أرسلوا إليه فأقبل وغمامة تظللهم — فلما دنا من القوم قال انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وحدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه. قال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا إلى الروم. فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا. قال فاستقبلهم فقال ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر.. فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإننا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا لا. إنما أخبرنا خبره إلى

طريقك هذه . قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده .. فقالوا لا . قال فبايعوه وأقاموا معه عنده قال : فقال الراهب أنشدكم الله أتيكم وليه ؟ قالوا أبوطالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبوبكر وبلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت «(١٥)» .

ولم تكن شهادة يُحيرى هي الشهادة الوحيدة من الرهبان — النصارى — أهل الكتاب ، أو من العرب . فقد شهد له بصفات النبوة أيضا ورقة بن نوفل . وهو من أهل مكة القارىء لكتب النصارى . والمقلب في الأديان . والمشهود له بين قومه بأنه من أهل البحث عن الحقيقة . مما يثبت لأهل مكة وللعالم أجمع من بعدهم أن صفات محمد صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الوحي . وكانت واضحة ومحددة المعالم في كتب الأديان السماوية السابقة .

فقد حدث أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم تاجرا في مال خديجة بنت خويلد وهو في سن الخامسة والعشرين وأرسلت معه غلامها ميسره فرأى عجبا في سفره مع محمد صلى الله عليه وسلم . وكان ميسره يسافر مع من يتاجر في مال خديجة . أى أنه سافر مع محمد ومع غيره .. ورأى عجبا في سفره مع محمد — وكان ذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عاما — لأنه بعث في سن الأربعين وكان عمره حين خرج تاجرا في مال خديجة خمسا وعشرين عاما . وروى ميسره لسيديته خديجة ما رأى من أمر محمد فروت ذلك لابن عمها ورقة بن نوفل فأخبرها بأن هذه الصفات إنما هي صفات نبي آخر الزمان .. وكان ذلك بمثابة الإنذار والاعلام بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ومن عوامل لفت أنظار أهل مكة إلى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت ذلك في كتب السيرة ..

«قال ابن اسحاق : كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم . وكانت قریش قومًا تجارا . فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال

(١٥) ابن كثير، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسره . فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج في مالها ذلك . وخرج معه غلامها ميسره ، حتى قدم الشام .

فتترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلّ شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسره . فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسره : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبتى .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسره ، فكان ميسره — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظللانه من الشمس ، وهويسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باع ما جاء به ، فأضعف أو قريبا ، وحذثها ميسره عن قول الراهب ، عما كان يرى من إظلال الملكين إتياءه . وكانت خديجة إمراة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله لها من كرامته ، فلما أخبرها ميسره بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له — فيما يزعمون — يا ابن عمّ ، إننى قد رغبت فيك لقربائك وسلطتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وحسن حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها . وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً . وأعظمهن شرفا . وأكثرهن مالا . كل قومها كان حريصا على ذلك منها لويقدر عليه .

وروى عن نفيسة بنت عليّة أنها قالت : أرسلتني خديجة خفية إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام ، فقلت له يا محمد : ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به . فقلت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والشرف والكفاية ألا تحيب ؟ قال : فن هي ؟ قلت خديجة (١٦) وقد تمت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة وتحدث أبوطالب فذكر أوصاف محمد سنذكرها فيما بعد .

(١٦) أبو محمد عبد الملك بن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

قال ابن أسحاق : كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالمعزى — وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس — ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب .. وما كان يُرى منه إذ كان الملكان يظلاله . فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر . هذا زمانه . فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ . فقال ورقة في ذلك :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فمقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتن على رجائى حديشك أن رأى خروجا
ما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يمجوا
بأن محمداً سيؤفينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحارب به خسارا ويلقى من يساله لُجوجا
فياليتنى إذا ما كان ذاكم شهدت وكنت أكثرهم ولوجا
ولوجا في الذى كرهت قريش ولو عجت بكتبا عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعا إلى ذى العرش إن سفلوا عُرجا
وهل أمر السفالة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمؤد يطمح الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفة حروجا (١٧)

وتدل هذه القصص الواردة في كتب السيرة النبوية على أنه صفات النبى صلى الله عليه وسلم كانت معروفة لدى أهل الكتب السابقة . فكان يعرفها الرهبان والمطلعون على هذه الكتب . كما تدل على أن هؤلاء قد أعلموا أهل مكة بها وأخبروهم عنها . وعرفوهم بصفات النبى صلى الله عليه وسلم . مما يدل على أن هناك تهية للرأى العام المكي بصفة خاصة . وللرأى العام في ذلك الزمان بصفة

عامه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم . كما تدل هذه الصفات أيضا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد زوّده الله عز وجل بصفات الإعلامى القدير منذ صباه إلى شبابه إلى رجولته . حيث أن الإعلامى يجب أن يكون له قدرة على جذب الأنظار . ولغت الانتباه لدى الأوساط التى سيقوم ببث رسالته الإعلاميه وسطها . وهذا ما أكدّه أبوطالب أثناء إلقاء خطبته حين إقامة حفل زواج محمد صلى الله عليه وسلم من خديجه رضى الله عنها . حيث أكد على الصفات المعنوية لمحمد صلى الله عليه وسلم وما لها من قيمة يشهد بها العرب جميعا لمحمد . مما جعل هذه الصفات المعنوية تغطى على فقره من الناحية المالية أو المادية .

ذكر ابن هشام أن أباطالب لما حضر مع الحمزة بن عبد المطلب ورؤساء مضر لزواج محمد من خديجة خطب فقال : « الحمد لله الذى جعلنا من ذريته إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، ومثضىء — أى : أصل — معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حفننه .. بيته . وشوكة حرمه . وجعل لنا بيتا محبوبا . وحرا آمنا ، وجعلنا الأحكام على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن به رجل إلا رجح . وإن كان فى المال قل ، فالمال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد . وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم . وقد روى أنه لما أتم أبوطالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت .. وفضلنا على ما عدت . فنحن سادة العرب وقادتها . وأنتم أهل ذلك كله ، لاتنكر العشيبة فضلكم . ولا يرذ على أحد من الناس فخركم وشرفكم . وقد رغبنا فى الاتصال بمحبلكم وشرفكم . فاشهدوا على معاشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله . على أربعمائه دينار . ثم سكنت ورقة وتكلم أبوطالب ، وقال : قد أحببت أن يشركك عمها . فقال عمها : اشهدوا يا معاشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد . وشهد صناديد قريش على ذلك » (١٨) .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

وقد أورد أبو طالب في خطبته هذه صفات للنبي صلى الله عليه وسلم المعنوية ، وعددها وبين فضلها على النواحي المادية . كما ذكر أنه له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . وأيده ورقة بن نوفل في كل ذلك .

كما تشير هذه القصة الى مدى عفة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما يجب أن يتحلى به رجل الاعلام ليكون مسموع الكلمة . فمع أن صاحبة خديجه قد دعت الى خطبتها دون مال كما ذكرنا من قبل . إلا أنه قد أصدقها صداقا بلغ أربع مائة دينار . أو بلغ عشرين بكرا كما أوردت الروايات . وهذه من الصفات التي زوده الله بها وهي عفة النفس عن مال الغير . والتي لازمتها طوال حياته . . حيث لم يكن عبثا على أحد ولا ثقيل على أحد . حتى أنه في أحلك الظروف يوم الهجرة لا يركب بعير أبدا بكرة إلا بعد أن يعرف ثمنه و يأخذه لنفسه بالثمن كما سنوضح ذلك فيما بعد . وذلك حتى يكون صاحب الرسالة الاعلامية له حرّيه القول . لا يتأثر بما يتلقى من مال . ونحن نعلم جيدا دور التمويل وعلاقته في مدى حرية المؤسسة الاعلامية في العصر الحاضر . فيقدر ما تكون المؤسسة الاعلامية . أو المرسل للرسالة الاعلامية قادره على الاعتماد على نفسها في الناحية المادية بقدر ما تكون لها حرية البث من حيث المضمون الاعلامي وكيفية توجيهه . وبقدر ما تكون خاضعة لجهة تمويلها بقدر ما تكون خاضعة من حيث المضمون الاعلامي لتلك الجهة . وسنرى أن هذا المبدأ الاعلامي الهام قد أرساه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل غيره من رجال الاعلام في أي عصر من العصور .

إعداد الرسول الأكرم ﷺ

أولاً : الإعداد قبل البعثة
ثانياً : الإعداد في بداية البعثة

أولا : الإعداد قبل البعثة :

أعدّ الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إعدادا يتناسب مع شرف وعظمة الرسالة التي كلفه بها وتحمله إياها . قال تعالى « إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً » (١) . ولأن المهمة عظيمة . والرسالة قدرها جليل عال . وإبلاغها يتطلب جهداً غير عادي فقد أعدّ الله عز وجل لها من يتحملها من هو أهل للإبلاغها . زمن هو أهل لأن يكون أسوة حسنة . وقدوة صالحه . ليس فقط لأهل مكة . وليس فقط لأصحابه وفي حياته . وإنما للبشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان . لأنها الرسالة الخاتمة ولأنه صلى الله عليه وسلم آخر الرسل .

وبذلك فقد أعدّ سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إعداداً يتناسب مع هذه الرسالة العظيمة . فزوده بما ذكرنا من قبل من صفات اتصف بها في طفولته وفي صباه وفي شبابه قبل بعثته وكانت بمثابة عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه ، لتكون شاهدة له إذا ما جهر بدعوته . وبلغ رسالته . وقد شهد له بذلك الرهبان والكهان وأهل الكتب والباحثون في الأديان السابقة .

ولم تكن هذه الصفات فقط عوامل لفت الأنظار الى ما وراء شخصية محمد صلى الله عليه وسلم منذ صباه الى شبابه . وإنما كانت هناك عوامل أخرى أعدّها الله عز وجل بها . منها ما كان قبل البعثة ومنها ما كان في بداية البعثة . وسوف نتحدث عن كل واحدة من هاتين بالتفصيل .

فالإعداد الذي كان قبل البعثة كان إعداد يميزه عن أقرانه من أطفال مكة وشبابها . ويجعل الأصابع تشير إليه شاهدة له بأن له شأنًا عظيمًا . خاصة وأن اليهود والنصارى كانوا يخبرون الناس في ذلك الوقت بأن نبيا سيبعث . هونبي آخر الزمان قد أظلم زمانه . وأنه مبعوث من هذا المكان (مكة) .

(١) سورة المزمل (٥) .

وأما عوامل الإعداد في بداية البعثة فكانت ليتحمل محمدا هذا الأمر المستغرب لأنه بشر من الناس . ولأنه كسائر البشر يغضب و يرضى فلا بد من إعدادة إعداداً يؤهله لتحمل نقطة التحول الهائلة هذه في تاريخ البشرية كلها .

كان العرب في الجاهلية - قبل الاسلام - يعيشون مجتمعا قريبا . له عاداته وله تقاليده . له جوانب حسنة وجوانب سيئة . وقد كانت الجوانب السيئة تغلب على الجوانب الحسنة . فقد كانت الشجاعة على سبيل المثال من الصفات الحسنة إلا أنه كان من الجوانب السيئة سوء استخدام هذه الشجاعة في عمليات الإغارة والقتل والسلب والنهب والسبي وهكذا .

« كانت الحياة الاجتماعية عند ظهور الإسلام شيئا مؤسفا حقا ، فقد كان العامة لا يتمتعون بحقوق سياسية ولا اجتماعية ، ولأن هذا كان من حق الأغنياء والأقوياء والأشراف . وإذا كان هناك قانون فقد كان لمصلحة جماعة دون أخرى ، وكان دائما في مصلحة الأقوياء ، والأغنياء والأشراف » (٢) .

أما عن الناحية الدينية فالمعلوم أن العرب كانوا يعبدون الأصنام و يقدسونها . و يلتبسون منها البركة . و يذبحون لها . و يقيمون الأعياد والزينات حولها ، و يظنون انها وسيلتهم الى الله . وأنها تقربهم الى الله زلفى وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه . و يضعون مثيله حول الكعبة . ليكون قربانا لهم .

وهكذا كانت حياتهم حروب وقتل ونهب . ورقص وخر ونساء . وتجارة الى الشام والى اليمن . وقانون يحمي الأغنياء دون الفقراء . والسادة دون العبيد . ثم لا خوف من آله . فهي أحجار لا تضر ولا تنفع و يزعمون أنهم يستطيعون ارضاءها بما يقدمون لها من الذبائح والقرايين . ومن الاقامة حولها . والتضرع لها .

فأين كانت نشأة محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ؟ وما كان موقفه مما كان يرى قومه وأهل عشيرته عليه ؟ إنه من أهل الحرم ولكنهم عبدة الأصنام ، التي لاتزيد عن كونها أحجار . أنهم مثل غيرهم يقدمون لها القرابين و يذبحون لها . لقد نشأ في هذه البيئة . وتربى في هذا المجتمع ومع ذلك تفرّد عنه ، فلم يكن

(٢) عمر أبو النصر ، قصة العرب قبل الاسلام (بيروت : مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة ، ١٩٧٠) ص ١٢٨ .

مثله . لأن الله عز وجل أعده بصفات أخرى منذ نشأته . من طفولته الى شبابه الى رجولته . فلم يؤذ أحدا . ولم يسجد لصنم . ولم يشرب الخمر . ولم يتمتع بامرأه . لا تحل له . لقد أعده الله عز وجل قبل البعثه بصفات أهمها : رجاءه العقل . وحسن الخلق . والصدق والأمانه . والشجاعة والإقدام . وأختياره من أعرق البيوت في مكة . وستحدث عن ذلك تفصيلا .

١ - رجاءه العقل :

أعد الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأهم صفة يجب أن يتزود بها رجل الإعلام التقدير . وهي رجاءه العقل . فع ما نعلم من تأثير البيئه على نشأه الإنسان وعلى إكسابه طريقة معينه في التفكير تتناسب مع هذه البيئه . إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتأثر بالمجتمع الذي نشأ فيه . ولم يكن منقادا لغيره من العظماء أو الأشراف أو الساده ، الذين نشأ وتربى بينهم وفي كنفهم ورعايتهم وتحمت أعينهم . فقد تربى أولا في كنف عبدالمطلب ثم في كنف عمه أوطالب . وكان لهؤلاء جلساؤهم من أشراف مكة وسادتها . وكان محمدا يراهم يسجدون للأصنام ويشربون الخمر . ويقسون على العبيد . ويشقون على الضعفاء . ويستحلون النساء واللهم . وغير ذلك . ومع ذلك عصمه الله عز وجل وزوده ب رجاءه العقل وحسن التفكير . فلم يتأثر بشيء من ذلك . بل ورأى أن هذا باطلا وعيبا .

فيرى علماء الاجتماع في العصر الحديث أن المجالس مجانس . وأن الفتى يشيب على ماشب عليه . وكما قال الشاعر العربي .

مشا الطاووس يوما باعوجاج فقل مشيته بنوه
فقال : علام تنحرفون قالوا سبقت به ونحن مقلدوه
أما تدري أبانا كل فرد يحاكي في الخطا من أدبه
وينشأ ناشيء الفيتان منا على ماكان عوده أبوه

وهذا يدل على أثر البيئة والنشأة على الفرد وطريقه تفكيره . وأنها تنعكس عليه بصورة مباشرة . ونحن نرى هذا جليا . فالطفل الذي يولد في الاتحاد السوفيتي يصبح شيوعيا . والطفل الذي يولد من أبوين مسيحيين يصبح مسيحيا وهكذا إلا في القليل النادر . وهذا من حيث النزعة المذهبية . أما من حيث العادات والتقاليد والاجتماعيات فيتعلمها الفرد وتصبح شيئا أساسيا في تكوينه . ويسلكها بصورة أنوماتيكية .

فلماذا مارأى محمدا صلى الله عليه وسلم منذ صباه أن الأصنام التي يعبدها قومه هي أحجار لا تنفع ولا تنفع . فلم يقيم لها وزنا ولم يقدها ولم يسجد لها قط . فهذا يدل على عقلية راجعه وبصيره نافذه زورث الله عز وجل بها إعداداً له لتحمل الرسالة العظيمة وللقدره على إبلاغها للناس كافة عامه . في كل زمان وكل مكان .

« عن زيد بن حارثه رضي الله عنه قال : كان صنم من نحاس يتمسح به المشركون إذا طافوا يقال له أسأف ونائله . فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفئت معه . فلما مررت مسحته به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمسه » . قال زيد فطعننا فقللت في نفس لأمرته حتى أنظر ما يكون ، فسحته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تته ؟ قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط ، حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه » (٣) .

وقد ورد في قصة بحيرى . أنه لما أطعم ركب التجار الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم معهم في صباه . وهم في طريقهم إلى الشام . قال له بحيرى : « يا غلام أسألك بحق اللآت والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . وإنا قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما زعموا — : لا تسألنى باللات والعزى شيئا . فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها . فقال بحيرى : فبإله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . فقال له : سلنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيبته وأمره . فجعل رسول الله صلى

(٣) أبو الفداء الحافظ ابن كثير ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

الله عليه وسلم يجبره . فيوافق ذلك ما عند مجيرى من صفته . ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه « (١) » .

وهذا يدل دلالة قاطعة على كراهية محمد صلى الله عليه وسلم للأصنام منذ صباه .. فلم يسجد لها — ولم يلتبس منها البركة لعدم اعتقاده بنفعها . فقد رأى برجاجة فكره وحصافة عقله أنها لا تنضر ولا تنفع .

« ومن الواجب أن ننبه إلى أن ثناء القرآن الكريم على أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، في آيات مبكرة جدا في النزول وهي آيات سورة القلم : (ن . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرأ غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم) و يدل دلالة حاسمة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتورط في عادة أو تقليد جاهلي ينبوعه الذوق السليم ، والخلق الكريم ، ولا يتسقى مع انصرافه إلى الله وحده واعتكافه ورياضته الروحية ، من مثل أكل الميتة وشرب الخمر ، ومقارفة الزنا والقمار وتقريب القرابين للأوثان . والاشتراك في حفلات وطقوس عبادتها وتكريمها ألغ « (٢) » .

ومن الأشياء الدالة أيضا على رجاجة عقل النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة . ما زوده الله عز وجل به وأعدّه به من تمسك بالنسك . ومخالفته لقومه في ذلك . حيث كان أهل مكة يرون أنهم أهل الحرم ، وأنه ليس من الضرورة بمكان أن يقفوا على عرفة طلبا للمغفرة في الحج . فكانوا يقفون بالمزدلفة ليلة عرفة .. أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يقف مع الناس بعرفات مخالفا بذلك عادات مجتمع الجاهلية ومنكرا عليهم .

« عن عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقا من الله عز وجل .

(٤) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٥) محمد عزة دروزه ، سيره الرسول ، الجزء الأول ، طبعه ثانيه (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٥) ص ٣٩ .

قال البيهقي : معنى قوله على دين قومه ما كان بقى من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . ولم يشرك بالله قط . صلوات الله وسلامه عليه دائما .

و يفهم من قوله هذا أيضا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له — ورواه الإمام أحمد عن يعقوب عن محمد بن إسحاق به . ولفظه : رأيت رسول الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه ، وأنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقا من الله . وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضللت بعيرالي بعرفة فذهبت أطلبه فإذا النسي صلي الله عليه وسلم واقف .. فقلت إن هذا من الحمس . ما شأنه ههنا ؟

والحمس هم قريش ومن ولدت وكنانة وجديلة سُموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم ، أى تشددوا . والحماسة الشجاعة ، كانوا يقفون في المزدلفة . ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم » (٦) .

وكان من رجاحة عقل النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ما حكم به في وضع الحجر الأسود مكانه عند إعادة بناء الكعبة . وقد فرحت قريش كلها بحكمه الذى حقن الدماء . « قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبناؤها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها . حتى بلغ البناء موضع الركن . فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوروا أو تحالفوا ، وأعدت للقتال فقررت بنوعيد الدار جفنة مملوءة دما .. ثم تحالفوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسموا لعقة الدم فكثت قريش على ذلك أربع ليال أوخسا . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم — وكان عامئذ أسنّ قريش كلها قال : يامعشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم فيه . ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا . هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر . قال :

(٦) ابن كثير ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «هلموا إلى ثوبا» فأتى به . وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوا جميعا » ففعلوا ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه وكانت قريس تسمى رسول صلى الله عليه وسلم الأمين ..

وفي رواية أخرى زيادة على ذلك أن أهل مكة كانوا بعد ذلك لا ينحرون جزورا إلا التمسوه صلى الله عليه وسلم فيدعولهم فيها » (٧) .

وهذه أمثلة قليلة لرجاحة عقله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة نتبين منها أن الله عز وجل قد أعده وزوده بهذه الصفة ليكون إعلاميا قديرا بخير رسالة حملها بشر إلى البشرية جميعها في كل زمان وكل مكان .

٢- حسن الخلق :

من الأشياء المسلّم بها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حسن الخلق ، لين الجانب ، حلو الحديث ، حيث شهد له بذلك أعداؤه وأصحابه وكل من عرفه وراه أو خالطه من البشر . وحيث وصفه ربه عز وجل بذلك . في كثير من مواضع القرآن الكريم . قال تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» (٨) وقال تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (٩) .

وقد كانت هذه الصفات بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . وتكليف الله عز وجل له بإبلاغ الرسالة . فكيف كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ؟ . إن الروايات التاريخية تثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان حسن الخلق منذ نشأته . والواقع يجبرنا دائما أن الطبع يغلب التطيع فلو أنه — حاشاه — كان خلقة غير حسن قبل الرسالة لتغلب ذلك على طبعه بعد الرسالة . ولظهر ذلك عليه في المواقف العصيبة التي تعرض لها في مكة .. وفي الهجرة . وفي مواقفه مع اليهود .

(٧) المرجع السابق ص ٣٠٣ .

(٨) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٩) سورة التوبة (١٢٨) .

ولكن صبر النبي صلى الله عليه وسلم على الأذى طوال ثلاثة عشر عاماً في مكة . مع أنه من أشرافها وسادتها . ومع ما كان يلقي من حماية عمه عبدالمطلب والحزمه وبنوهاشم جميعاً له . ومع رؤيته لما يلقي أصحابه من ألوان العذاب . ومع ثقته من أنه على الحق وأعداؤه على الباطل . كل ذلك يدل على حسن خلق أصيل نشأ وتربى عليه . وأعداه الله عز وجل به منذ صباه إلى شبابه إلى رجولته إلى شيخوخته . . ليكون سلاحاً له كرجل إلهام قدير . يبلغ الناس برسالة ربهم سبحانه وتعالى . فهي رسالة عظيمة القدر . وهو مأمور بإبلاغها إلى امتداد زمني ومكاني لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى . حيث هي آخر الرسالات السماوية . وهو صلى الله عليه وسلم آخر الرسل .

وفي حسن خلقه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يقول ابن هشام في سيرته . « فشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة . وأحسنهم خلقاً . وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً . وأعظمهم حلماً . وأصدقهم حديثاً . وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً . حتى ما اسمه في قومه إلا (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة » (١٠) .

وبذلك يتضح لنا أن حسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعداه الله عز وجل به منذ طفولته ونشأته . فقد نشأ حسن الخلق . ودللت المواقف المتعددة على ذلك . حيث أن الآيات القرآنية الواردة في صدد أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ، متنوعة الأساليب والمناسبات . فمنها ما هو في معرض التنويه والتخصيص في الخطاب . ومنها ما هو في معرض أحداث السيرة النبوية في عهديها المكي والمدني . والآيات لا تفرق بين ما قبل البعثة وما بعدها ، كما لا تفرق بين عهدي مكة والمدينة ، وكثير مما هو في معرض أحداث السيرة إنما هو في صدد ما ظهر منه بعد البعثة من أخلاق وفضائل ومواقف .

(١٠) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

غير أن هناك أولاً تنويهاً وثناً مبكراً جداً في أوائل منازل من القرآن الكريم . وهو آية سورة القلم « واثق لعل خلق عظيم » (١١) .

كما أن هناك آية نزلت في أواسط العهد المكي تضمنت حكمة الله في اصطفاء رسله ، في معرض الرد على زعماء قريش . وتخص النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة الأولى . وهي آية سورة الأنعام : « وإذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته » (١٢) .

فهاتان الآيتان يمكن أن تكونا تعبيرين قويتين لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ومواهبه واستعداداته الروحية والذهنية بوجه عام . وبالنسبة إلى ما قبل البعثة في الدرجة الأولى ، كما أنها يصح أن تكونا مسوغين قويتين للقول بأن الأخلاق والفضائل النبوية التي أشارت إليها الآيات القرآنية في مناسبات أحداث السيرة راجعة في الأصل إلى هذه الأخلاق والمواهب والاستعدادات التي نضجت في النبي صلى الله عليه وسلم قبل اتصاله بوحى الله وقبل أن يتلقى رسالته وآياته .

والإطلاق في الآيتين يعنى سعة الشمول من دون ريب ، وليس من وصف يمكن أن يكون أقوى وأصدق وأوسع مدى مما فيها . فتعبير « الخلق العظيم » يشمل كل عمل وميزة وعادة ومظهر يتصل بخلق شخصي أو اجتماعي أو إنساني أو عائلي ، ويطبعه بطابع العظمة والسمو والتميز كما لا يخفى (١٣) .

و يؤيد ذلك أيضاً ما جاء في وصف السيدة خديجة رضى الله عنها له ولأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، حينما جاءها خائفاً . لما نزل عليه الوحي أول مرة ، وقص عليها ما رآه وما سمعه . وقال لها « إني خشيت على نفسي أن أكون شاعراً أو مجنوناً . فقالت : أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم . ما كان الله ليصنع بك ذلك مع ما علم منك من صدق حديثك . وعظم أمانتك وصلة رحمك » وفي رواية أخرى

(١١) سورة القلم (٤) .

(١٢) سورة الأنعام (١٢٤) .

(١٣) محمد عزة دروزه ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

أنها قالت له « والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١٤) .

ولوتأملنا بعض المواقف من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته منذ صباه ، لوجدنا أنها كلها تدل على حسن خلقه . وعظيم أدبه . وبعده عن اللهو . وتوضعه . وهذا كله في النهاية يدل دلالة قاطعة على أن الله عز وجل اختاره وأعدّه إعدادا يتناسب مع الرسالة التي سيتحملها منذ صباه ومنذ نشأته الأولى .

ومن ذلك ما حدث معه في طفولته من حفظ الله عز وجل له في صغره وأمر جاهليته ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد رأيته في غلمان قريش ينقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرّى ، أخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكنى لا كم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك . قال فأخذته وشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزارى على من بين أصحابي » (١٥) .

وقد ورد أيضا مثل هذا الحديث في قصة بناء الكعبة . « عن ابن عباس عن أبيه رضى الله عنها أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت . قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة . وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخى (محمدا) . وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة . فإذا غشينا الناس أنزرننا . فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي ، قال فخر وانبطح على وجهه ، فحُثت أسعى وألقيت حجري وهو ينظر إلى السماء ، فقلت ما شأنك ، فقام وأخذ إزاره قال « إني نهيت أن أمش عريانا » . قال وكنت أكنمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون » (١٦) .

ونرى أن القصصتين السابقتين لهما دلالة واحدة . هي أن الله عز وجل قد حفظ نسبته من صفات الأمور مع كونه كان في حد ذاته من ناحية .. ومع كون هذا الفعل وهو انكشاف العورة كان شيئا مألوفا في ذلك المجتمع ، حتى من كبار

(١٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى (الطبعة الحسينية المصرية ، مجهول السنة) ص ٤٧ ، ٤٨ .

(١٥) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

السنن . فقد كان غير أهل مكة يطوفون البيت في ثياب « الخمس » وهم أهل قریش لعقيدتهم أنهم مطهرون « فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الخمس ، وهم قریش وما ولدوا ، ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة . طاف عريانا ، ولو كانت امرأة . ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعوضه أو كله وبعد هذا اليوم لا أحله » (١٧) .

الى هذا الحد كانت مثل هذه العادة معهوده وغير مستغربة ولا مستقبة في ذلك المجتمع المكي الجاهلي . ومع ذلك حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم من أن تنكشف عورته ليكون محمود السيرة دائما . وليشبه على حسن الخلق . وليتعلم منذ صباه أن مثل هذا المسلك ليس من مكارم الأخلاق ولا من محاسنها . حتى وإن كان سائدا أو مألوفا في المجتمع الذي نشأ فيه . إلا أنه لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم .

وقد ربى الله عز وجل أنبياءه على عادة الحياء والستر هذه . وعدم انكشاف عوراتهم أمام الناس إلا للضرورة تتناسب مع تدعيم مركزهم وبيان إكرام الله عز وجل لهم . وقد حدث مع موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وما يؤيد ذلك . « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى كان رجلا حَيِّيا . وذلك مما قالوا وكان عند الله وجيها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن موسى عليه السلام كان رجلا حَيِّيا ستيرا لا يُرى من جلده شيء استحياء منه ، فأذاه من آذاه من بنى اسرائيل . فقالوا : ما يتسر هذا التستر إلا من عيب في جلده . إما برص وإما أذره ، وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر . فجعل يقول : ثوبى حجر . ثوبى حجر . حتى انتهى إلى ملائكة بنى اسرائيل . فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل . وأبرأه مما يقولون . وقام الحجر . فأخذ ثوبه فلبسه . وطلق بالحجر ضربا بعصاته فوالله إن

(١٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

بالحجر لئلا يأتوا من أثر ضربه ثلاثاً . أو أربعاً أو خمساً — قال فذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) (١٨) .

وهذا يدل على أن الله عز وجل يعد أنبياءه بحسن الخلق ومن حسن الخلق الحياء . إن لم يكن بالشىء المتعارف عليه في مجتمعاتهم . فقد كان موسى عليه السلام كذلك .. ومن القصص السابقة نتبين أن الله تعالى قد أثبت بها لنبي إسرائيل مدى حيائه موسى وحسن خلقه . وأنه لم يكن يخالف ما كانوا عليه من عدم الحياء وكشف العورة لئيب فيه وإنما هكذا أذبه ربه عز وجل .

ومن القصص السابقة أيضاً نتبين أنه إذا كان موسى هكذا وهو نبي فإن الله عز وجل قد أعد محمداً صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الإعداد منذ طفولته .

ومن حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم الذى أعده الله عز وجل به منذ صباه وطفولته . أنه لم يله قط . ولم يستمع إلى هوى ولم يشرب الخمر قط . حتى وهو شاب أو طفل . مع أن ذلك لم يكن عيباً في المجتمع الذى كان يعيش فيه . وإنما حفظه الله تعالى استعداداً للرسالة العظيمة التى سيتحملها ويكلف بها بعد ذلك ، وحتى لا يؤثر عليه مثل هذا النقص الذى لا يتناسب مع الكمال الذى يقتضيه مقام الرسالة العظيمة .

«عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهيمون به من النساء إلا ليلتين . كلتا هما عصمنى الله عز وجل فيها . قلت ليلة لبعض فتيان مكة — ونحن في رعاء غم أهليها — فقلت لصاحبي أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفيتان . فقال بلى . قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت فيها عزفاً بالغرايل والمزامير . فقلت ما هذا ؟ قالوا تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر . وضرب الله على أذنى . فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذى رأيت . ثم

(١٨) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث (القاهرة ، دار التراث العربى ، مجهول السنة) ص ٥٢٠ .

قلت له ليلة أخرى أبصر لى غنمى حتى أسمر. ففعل.. فدخلت. فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة. فسألت فقيل نكح فلان فلانة. فجلست أنظر وضرب الله على أذنى. فوالله ما ايقظنى إلا مسّ الشمس. فرجعت الى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت لاشيء. ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمبنى الله عز وجل بنبوته» (١٩).

وهذا يدلنا أيضاً على أن حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان إعداداً من الله تبارك وتعالى له. وليس من تلقاء نفسه. فهو صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر. فقد حدثته نفسه أن يلهو وأن يستمتع باللهو كغيره من أبناء عصره، غير أن الله قد عصمه ومنعه من ذلك كما ذكره صلى الله عليه وسلم في الحديث. إعداداً له. لتكون شخصيته متميزة عن شخصية غيره من سائر أبناء مجتمعه الذين تربى بينهم ونشأ وسطهم، فهو قد تربى على الكمال. ونشأ على العصمة. ذلك أن «مقام الرسالة من الرفعة والعظمة لا يسامى. و يقتضى من المؤهلات الشخصية والخلقية والعقلية والروحية ما لا يمكن أن يوجد إلا فيمن وصلت فيه هذه المؤهلات إلى الكمال، والتعبير الوارد في الآية (الله أعلم حيث يجعل رسالته) تقرير ربانى بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى الذروة من عظمة الخلق وقوة الروح وصفاء النفس وكبر القلب، ورجاحة العقل، فاستأهل بذلك أن يكون موضع اصطفاء الله ورسالته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولأن نقول إن السيد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الذى وصلت به أخلاقه، وروحه وعقله وفضائله ومواهبه إلى ذروة الكمال الإنسانى — أقوى وأعظم بكثير من أن نقول إنه خلق قبل الأكوان. وإن الأكوان قد خلقت لأجله، وإنه أبوها الأكبر.. الخ. لأن هذه الأقوال إلى ما فيها من تعارض مع طبيعة الأشياء ونصوص القرآن، فيها إيهام بأن له صفة جزئية إلهية جعلته منذ الأزل في هذه الصفات والأخلاق ولم يكتسبها اكتساباً. كما يكتسب الناس أخلاقهم وفضائلهم» (٢٠).

(١٩) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثانى، مرجع سابق، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢٠) محمد عزه دروزه، مرجع سابق، ص ٥٨.

وقد انعكست كل هذه الصفات الخلقية الجميلة التي أهد الله عز وجل بها نبيته صلى الله عليه وسلم على معاملاته مع سائر أفراد مجتمعه . فكان محبوباً عند الناس جميعهم . من كبيرهم إلى صغيرهم .. من عظيمهم إلى حقيرهم . ومن غنيهم إلى فقيرهم .. فقد كان يحنو على الفقراء . ويحب العبيد ، ويشفق عليهم . وكانوا يبادلونه حباً بحب . ولأدل على ذلك من قصته مع خادمه ومولاه « زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي . والذي كان مملوكاً للسيدة خديجة رضى الله عنها فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها واعتقه .. جاء أبوه فخبره النبي بين البقاء عنده أو الذهاب مع أبيه .. فاختار البقاء . فتبرأ أبوه منه ، فأعلن محمد صلى الله عليه وسلم على ملا من الناس تبنيه له حسب العادة المعروفة . فصار يدعى زيد بن محمد . وكان ذلك قبل البعثة . وظل يسمى بهذا الاسم إلى أن أبطل القرآن تقليد التبني وتبعاته .. فصار يدعى زيد بن حارثة » (٢١) .

وليس أدل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم من أن يختار خادمه البقاء معه . على أن يعود إلى أبيه . و يعيش بين أهله وعشيرته وقبيلته . ولا يخفى أهميته ذلك عند العرب .. خاصة وأن زيد بن حارثة من قبيلة لها شأنها بين العرب . ومع ذلك اختار أن يبقى خادماً لمحمد صلى الله عليه وسلم — وما ذلك إلا لحسن خلقه وحسن معاملته التي أهد الله عز وجل بها .

٣ — الصدق والأمانة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعرف في قومه قبل البعثة بالصدق والأمانة . وكان مشهوراً بهاتين الصفتين .. مشهود له بها . حيث كان يُلقب بالصادق الأمين .. وقد لازمت هاتين الصفتين محمداً صلى الله عليه وسلم منذ حدوثه سته إلى شبابه إلى رجولته . حتى إنه يوم أن جهر بدعوته التي كلفه الله عز وجل بإبلاغها . أشهد الناس على نفسه أولاً ثم على أنفسهم ثانياً . وحدث ذلك أمام جمع غفير من بطون مكة كلها ليكونوا شهوداً عليه وعلى أنفسهم . وسألهم عن مدى صدقه أو بالأحرى عن مدى ثقتهم في صدق حديثه ومقولته . وضرب لهم مثلاً مستغرباً .

(٢١) الرجوع السابق ، ص ٣٧ .

وشهدوا له بالصدق حتى ولو قال ما قال . وقد حدث ذلك حين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بدعوته . وسنذكر هذه القصة هنا مختصرة للدلالة على شهادة أهل مكة ومجتمعها بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته قبل البعثة . ثم نعود إليها لنرى ما فيها من مظاهر التبليغ الإعلامي وذلك في موضعه فيما ستقدم إن شاء الله .

« قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نعيم عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢٢) ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صبيحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيبه إليه . وبين رجل يبعث رسوله . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤى ، أرايت لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا نعم .. قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب : تبالك سائر هذا اليوم لهذا جمعنا » (٢٣) .

والقصة تدل على مدى اعتراف واقراء أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق وذلك لأنهم لم يجربوا عليه الكذب قبل ذلك طول حياته بينهم قط . وقد أشهدهم على أنفسهم بسؤاله لهم . « أرايت لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » . فيجيبونه بغير تردد نعم . وبذلك شهدوا له بالصدق وبالأمانة .

وقد بادروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشهادهم عليه وعلى صدقه قبل أن يسألهم عن أى صفة أخرى من الصفات . فلم يسألهم عن مدى شجاعته ولا كرمه ولا غيرها من الصفات التي عرفوها عنه .. واشتهر بها بينهم . من حسن الخلق أو نحوها . وإنما سألهم أولا عن الصدق . لأنه سيخبرهم خبرا غريبا يحمل تغيير الحياة التي يعيشونها .. ويحمل تغييرا للمعتقدات التي يعتقدونها . وللديانة التي يدينون بها . لذا أشهدهم على صدقه أولا . وضرب لهم المثل أو سألهم السؤال

(٢٢) سورة الشعراء (٢١٤) .

(٢٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

المناسب لواقع المجتمع والبيئة والاهتمامات التي يهتمون بها . وهتزون خوفا منها . وهو توقع وقوع الحرب أو إغارة الخيل من سفح الجبل عليهم . وهذا يدل على مدى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من حصافة ورجاحة عقل واستعداد للعمل الاعلامى العظيم منذ بداية البعثة . حيث المعرفة بما يهيم الجمهور المستقبل وما يهز تفكيره وجدانه . و يلت نظر . ويجذب اهتمامه .

وبعد أن شهدوا له بالصدق . و بأنهم يصدقونه إن أخبرهم حتى بهذا الخبر الغريب الذى ذكره لهم .. بلغهم دعوته ورسالته التى كلفه الله عز وجل بإبلاغها لهم . وما يمننا هنا هو اثبات أن المجتمع المكى قد شهد له بالصدق .. لأنه لم يجرب عليه الكذب قبل ذلك طوال حياته قبل البعثة . وقد شهدوا على ذلك ، فلإن كذبوه ووصفوه بالكذاب فإنما يكذبون أنفسهم فى وصفهم له بالصدق . وهو هنا صلى الله عليه وسلم يلزمهم الحجة . و يقيم عليهم الدليل .. قبل إبلاغهم . وهى صفات الاعلامى القدير التى أعده الله عز وجل بها .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مشهورا بالأمانة أيضا . وكان كما ذكرنا من قبل يُلقب بالصادق الأمين . وذلك قبل البعثة . ولأدل على ذلك من حفظهم لودائعهم عنده - أى أهل مكة - حتى وهم يناصبونه العدا ، بعد البعثة . كانوا يحفظون ودائعهم عنده .. فحينما هاجر من مكة الى المدينة ترك على بن أبى طالب ليرد الودائع .

ومعنى أن يحفظ أهل مكة ودائعهم عنده . وهم يناصبونه العدا . أنهم لم يجربوا عليه خيانة قط . فلورأوا منه خيانه ولومرة واحدة فى حياته قبل أو بعد البعثة . لما تركوا ودائعهم عنده . ولو كانت الأمانة صفة طارئة عليه بعد البعثة .. لما تركوا أيضا ودائعهم عنده . وإنما فعلوا ذلك لتفتتهم المطلقة فى أمانته منذ صباه . ومنذ أن عرفوه .. ومن بداية نشأته صلى الله عليه وسلم . وهذه صفات أعده الله عز وجل بها ليحمل أمانة الكلمة وأمانة الرسالة التى سيكلف بها .

وقد حدث ذلك . حيث كان يجتمع كفار مكة ليقولوا عنه إنه كذاب أو ساحر أو مجنون ، ثم يرد بعضهم على بعض . بأنهم ما جربوا عليه كذبا قبل ذلك قط . ولم يجربوا عليه خيانه قط .

« وقد شهد عطاء مكة وسادتها بأن النبي صلى الله عليه وسلم صادق وأمين .
 فهذا هو النضر بن الحارث .. أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول لكفار
 مكة حينما اجتمعوا ليخطفوا إحدى حملاتهم الدعائية ضد النبي صلى الله عليه
 وسلم . وضد دعوته : يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيت له بحيلة
 بعد . قد كان محمدا فيكم غلاما حدثا . أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا .
 وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاء به . قلتم
 ساحر . لا والله ما هو بساحر . فقد رأينا السحرة ونفثهم عقدهم .. وقلتم كاهن .
 لا والله ما هو بكاهن . فقد رأينا الكهنة وتخالجهم . فما هو بزمته ولا وسوسته
 ولا تخليطه يا معشر قريش فانظروا شأنكم . فإنه والله لقد نزل بكم أمر
 عظيم » (٢٤) .

ومن الأمثلة الدالة على أمانة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ما حدث
 من تجارته في مال خديجة رضي الله عنها . وإعجابها بأمانته . وقد كانت خديجة
 امرأة ذات مال . قد تاجر في مالها الكثيرين من التجار ذوي الخبرة .. ومع أن
 محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن مثلهم في الخبرة بالتجارة وأحوالها وأمورها . إلا
 أن أمانته وصدقه . قد فاق خبرة هؤلاء . وأدهش ما حققه من كسب خديجة
 صاحبها المال والخبرة في هذه الأمور . ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد حقق
 بأمانته ما لم يحققه وما لم يبلغه غيره من ذوي الخبرة .

« قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد ، امرأة تاجرة ذات شرف
 ومال . وتستأجر الرجال على مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته . وكرم أخلاقه بعثت إليه .
 فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجرا إلى الشام . وتعطيا أفضل ما تعطى غيره من
 التجار . مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها .
 وخرج في مالها ذلك . وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام . فنزل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة . قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع

(٢٤) عبد الوهاب كحيل ، الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية
 الآداب ، جامعة اسبوط ، سنة ١٩٨٠ ، ص ١٧١ .

الراهب إلى ميسرة . فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة . فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلته — يعنى تجارته — التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري . ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة . فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة وأشتد الحر ، يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعيره . فلما قدم مكة على خديجة بإها . باغت ما جاء به فأضعف أو قريبا . وحذثها ميسرة عن قول الراهب وما كان يرى من إطلال الملائكة إتياء . وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة . مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت له — فيما يزعمون — يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه . وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا . وأكثرهن مالا .. كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه . فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك لأعمامه .. فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد . فخطبها إليه . فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة . وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت « (٢٥) » .

وهكذا نرى مدى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وما أعدّه به ربه سبحانه وتعالى من الصفات العظيمة — الصدق والأمانة — منذ حدثه سنة وبداية نشأته . ليكون معروفا بذلك لأهل مكة وسائر مجتمعاتهم من كبيرهم إلى صغيرهم . ومن غنتهم إلى فقيرهم . وحتى لا يتطرق الشك إلى أحد منهم في مدى صدق رواياته التى ستروى لهم بعد ذلك . فهو صادق بشهادتهم . وهو أمين بمعايشتهم . ومعاملتهم . وكلهم قد رأى منه وسمع عنه . وكلهم قد وثق في حديثه وعظم أمانته . وشهد له بذلك .

(٢٥) ابن كثير ، البداية والبدية ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

و يدللنا هذا على أن رجل الاعلام يجب أن يتحلى بالصدق في حديثه كله ليكون حديثه مقنعا . ولتكون رسالته صادقه . وليكون الجمهور على يقين من صدق قوله ورسالته . كذلك يجب أن يتحلى بالأمانة لأن الرسالة الاعلاميه ذاتها أمانه يجب أن تؤدى . وما أعظم أمانه الكلمه . أن حفظها والحرص على صدق وسلامه أدائها أعظم أمانه يجب أن يحرص عليها المسلم . لذا كان إعداد الله لرسوله بالصدق والأمانة منذ نشأته ..

٤ - الشجاعه :

يتطلب إعداد رجل الاعلام التقدير ، بعض الصفات التى تدعم ماسبق أن تحدثنا عنه من صفات . مثل رجائه العقل وحسن الخلق والصدق والأمانة . وأهم هذه الصفات . الشجاعه ، ذلك أن هذه الصفات السابقه ، دون أن يتصف صاحبها و يتحلى بالشجاعه . فإنها لا تؤدى الغرض المطلوب منها . كما أنه لا يتأتى له أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل أو الأفضل .

وإذا كانت أى رسالة تحتاج إلى الشجاعه إلى جوار هذه الصفات السابق الحديث عنها . فإن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . بما لها من وزن وثقل عقائدى ، ودينى واجتماعى . تحتاج الى الشجاعه أكثر من غيرها . ذلك أنها تنكر عقائد المجتمع المكى وتعييب عاداته وتقاليده .. وتسفه الكثير من آرائه . وتنبى عن المروزول والمذموم من أفعاله . وبالتالى فإنها ستجد حربا نكراء . ولابد لحامل هذه الرسالة من أن يكون شجاعاً . فى الجهر بها ، وفى إبلاغها ومساندتها . وعدم التراجع فى الموقف صامدا من أجلها .

وقد أعد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالشجاعه منذ حدوثه سنة . فهو لم يُعرف بالشجاعه بعد البعثه . إنما عُرف بها منذ نشأته . وكان لهذا أهمية كبيره . حتى يفكر من يتصدى له فى أمر شجاعته قبل أن يتصدى . وقيل أن يقف فى وجهه . فهو أمام رجل شجاع يجهر بدعوته فى ثبات وصلابه وعزم واقدام . وهوادة لالتين .

وقد كانت شجاعه النبي صلى الله عليه وسلم التى اعده الله بها قبل البعثه وبعدها . شجاعه الرجل الحكيم . جميل الخلق . حلوا الحديث . فهو يستعمل الحكمة

في حينها ويستعمل الخلق دائما . ويستعمل الشجاعة . وهذا نرى أن الشجاعة ليس المقصود بها الجهل أو الإغارة . أو الاندفاع دون تفكير ولا روية . وإنما هي الصلابة في الحق . وهي إعمال العقل مع عدم التخوف من بشر . وهي إدراك العواقب ومعرفة النتائج . وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا مادفعنا الى الحديث عن رجائه عقله وحسن خلقه وصدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم . قبل أن نتحدث عن شجاعته وأقدامه وعزمه وصلابته في الحق . وبذلك يمكننا القول بأن الشجاعة التي أعدها الله عز وجل بها تبىه صلى الله عليه وسلم هي شجاعه نادره . يمكن القول بأنها شجاعه معنويه وماديه في آن واحد . حيث تجمع بين الحكمة والأقدام . وكانت هذه صفاته منذ نشأته كما ستوضح لنا فيما بعد .

وإذا كنا فيما مضى قد رأينا مواقف الحكمة التي ظهرت من محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرح أشراف مكة بتحكيمة بينهم في وضع الحجر الأسود مكانه حين بناء الكعبة وارتضوا بحكمه ونفذوه ولم يعترض عليه أحد منهم . كما رأينا مواقف المتعددة الذاله على حسن الخلق والأمانة والصدق . فيجب أن نستعرض بعض المواقف التي ظهرت فيها شجاعته صلى الله عليه وسلم كفتى من فتيان مكة .

كان من عوامل تكوين الشجاعة كصفة أساسية من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ طفولته . رضاعته في بني سعد بن بكر . ذلك أن الرضاعة والنشأة في البيئه البدوية تفرس الشجاعة في نفس الطفل منذ أن يشب وينشأ . « فقد كانت عادة أشراف مكة أن يدفعوا بأبنائهم إلى المرضعات يُربّين أولادهم في الصحراء . حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة . ابتغاء إجاده العربية والتفصح فيها . والتمتع على شظف العيش وخشونته . وكان بنو سعد شهيرين بفصاحتهم » (٢٦) .

وبذلك أقام محمد صلى الله عليه وسلم في بني سعد الى الخامسة من عمره ينهل من جو الصحراء الطلق روح الحرية والاستقلال النفسى ، ويتعلم من هذه

(٢٦) جلال مظهر، محمد رسول الله (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧١) ص ٤١ .

القبيلة لغة العرب مصفاة أحسن التصفية . وتركت هذه السنوات الخمس في نفسه أجل الأثر وأبقاه (٢٧) .

ومن الأشياء التي كان يحرض العرب عليها لغرس الشجاعة في أطفالهم منذ حدثه أسنانهم - إلى جانب الرضاعة في البيث البدوي - رعى الغنم . فقد كانوا يرون أن في هذه المهمة تعليم للصبر والشجاعة . حيث القيام بحراسة الغنم من الذئاب والهاوآء التي يمكن أن تغير عليها . وكذلك حراستها من السرقة ونحوها وهذا تدرب على الشجاعة والصبر . وقد تدرب النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المهمة منذ أن كان صبيا . حيث ذكر بعض المؤرخين أنه رعى الغنم . وهو في فترة رضاعته في بنى سعد بن بكر (٢٨) وذكر بعض المؤرخون أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قد رعى الغنم بعد ذلك .

غير أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قد رعى الغنم « عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم) فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم كنت أراها على قرار يطل لأهل مكة » (٢٩) .

« قال السهيلي بعد ذكر صحاح الأحاديث التي ثبت فيها أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم : وإنما جعل الله هذا في الأنبياء مقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق . ولتكون أهمهم رعاياهم . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعنى في منامه) أنه ينزع على قليب (بئر) وحولها غنم سود وغنم عفر . قال ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا والله يفقر له . ثم جاء عمر ، فاستحالت غربا (يعنى الدلو) فلم أر عبقر يا يفقر فرته . فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية . إذا الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم » (٣٠) .

(٢٧) محمد حسين هيكل ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢٨) انظر ابن هشام ، الجزء الأول مرجع سابق ، ص ٧٧ ، ١٧٨ .

(٢٩) أبو عبيد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، صحيح البخارى الجزء الثانى (القاهرة : دار الحديث ، مجهول السنة) ص ٣٣ .

(٣٠) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

ونشأ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شجاعا ، فصيح اللسان ، قد تعود شظف العيش . وتركت هذه البيئه التي هيأها الله سبحانه وتعالى له أثرها على شخصيته . فكان ذامهابة ومكانه بين قومه وأهله وعشيرته . حتى إنهم كانوا حريصين على حضوره معهم في المواطن الهامة . ومنها حضوره حرب الفجار . وحضوره حلف الفضول .

وحرب الفجار التي شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بسبب عدوان وقع في منطقته الحرم — والكلمه تعنى ذلك — وكانت بين قريش وبعض حلفائهم من ناحية . وبين بعض قبائل قيس وغيلان من ناحية . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حضر هذه الحرب مع عمومته . وربي فيها بأسهم . وقال ما أحب أني لم أكن فعلت . كان عمره إذ ذاك نحو عشرين سنه .

وفي رواية ابن هشام عن هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أنبل على أعمامى . أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها (٣١) .

وكان حلف الفضول بعد حرب الفجار كما نخب بذلك كتب السيره . وأيا كان السبب المؤدى إليه . إلا أنه المتفق عليه بين المؤرخين وبعضهم أن هذا الحلف كان هذه رد الظلم عن المظلوم سواء كان من أهل مكه أو من غيرهم . وقد كان المجتمعون في هذا الحلف هم زعماء مكه . « حيث دعا إليه الزبير بن عبد المطلب . واجتمعت فيه هاشم وزهره وتم بن مرة . في دار عبد الله بن جدعان . فصنع لهم طعاما . وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه مابل بحر صوفه . ومارسى ثبير وحراء مكانها . وعلى التأسى في المعاش . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق هذه الحلف الذى حضره مع عمومته « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لودعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوم . » وقد كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنه « (٣٢) .

(٣١) محمد عزه دروزه ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣٢) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

وهكذا نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على درجة من الأهمية لدى أعمامه وإبناء قومه . وكل المجتمع المكي . منذ نشأته الأولى . فكل هذه المواطن التي ذكرناها . والتي كان له شأن فيها . لا يكون الشأن فيها إلا لمن كان على درجة من الشجاعة والإقدام . فقد كان في حرب الفجار يرمى بالسهم . ويزود عن أعمامه ويمنعهم وينبل عنهم . وكان في حلف الفضول معدوداً من الحاضرين لهذا الحلف . وكان المعروف عند العرب أن مثل هذه المجالس والمواطن لا يحضرها إلا صاحب العقل وصاحب الحكمة وصاحب الشجاعة في ذات الوقت . وهذا تأهيل وإعداد أعد الله عز وجل به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وزوّده به منذ حدثه سنه . ليكون معروفاً بين قومه بمثل هذه الشجاعة والقوة التي تحكمها رجاحة عقله وحسن خلقه . والتي تؤهله لحمل مثل هذه الرسالة .

٥ - نسبه وأصلاته :

قال ابن اسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه « أنا أعربكم . أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر » (٣٣) .

ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى . فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب ونسب عبد المطلب معروف في كتب السيرة وكتب التاريخ . أنه متصل بأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام . فهو خيار من خيار . وقد حفظ الله عز وجل نسبه وأصله . من أن يذنس بما كانت جاهلية العرب - قبل البعثة - تزج تحته من سوء الخلق وشرب الخمر والزنا وأنواع الزواج المتعددة ونحوها . فقد كان بنو هاشم بين قبائل العرب عامه وبين المجتمع المكي خاصة معروفون بأنهم أهل طهر وأهل عفاف .

ولعل أقرب القصص الدالة على ذلك - تلك القصة المشهورة - عن عبد الله بن عبد المطلب . حين دعت امرأة من بنى أسد أن يقع عليها . حين أعجبت برجولته وهيئته . فرفض ذلك . وقد منعه الله عز وجل حماية لنسب نبيه صلى الله عليه وسلم (٣٤) .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٣٤) انظر ابن هشام ، الجزء الأول ، ص ١٦٨ .

و يدل ذلك على أن الله عز وجل قد عصم نسبه الشريف من أن يدخل فيه شيء يشوبه . أو يذتسه . أو يدع فرسه لمعترض أن يعترض عليه وحاشا لله أن يختار رسولا يحمل أمانة كلمته ورسالته إلى البشر ، ونسبه دون ذلك . فقد اصطفاه الله تعالى . خيارا من خيار .

وكانت نشأة النبي صلى الله عليه وسلم نشأة أصيلة في بيثة عريقة هي بيت الزعامة والسيادة على مكة كلها . مع ما كان معروفا عن مكة وبيوتها وقبائلها من العزة والشرف . إلا أن عبد المطلب وآبائه من قبله . وأولاده من بعده . هم سادة هذا المجتمع كله . وما ارتضاهم هذا المجتمع سادة له لكثرة ما لهم . أولقوة بأسهم . وإنما ارتضاهم لشرفهم . ولأصالتهم . وحكمتهم . واتسامهم بالصدق والطهر والعفاف . ولأنهم لم يؤثر عنهم ما يمس كرامتهم . أو يقلل من مهابتهم أو يسوء سمعتهم . فهم أهل الشرف وأهل الكرم . وأهل الحرم وأهل الشجاعة . وأهل المروءة . وهم الذين كانوا يتشرفون بالنسب إلى البيت الحرام أكثر من النسب إلى غيره .

فهذا هو عبد المطلب في عام الفيل . لما يش من أبرهة ورأى تصميمه على هدم الكعبة . يأمر قريش بأن تخرج من مكة إلى الجبل لتحتمي به . ثم يقوم إلى الكعبة فيأخذ بحلقة بابها ويدعو الله ويستنصره على أبرهة وجنده وينشد في ذلك قائلا :

«لأهلهم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليهم وعالمهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبيلتنا فأمرمما بدالك» (٣٥)

كانت هذه هي البيثة التي نشأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم . ولد فيها وتربى وترعرع في كنف سيدها عبد المطلب . وفي كنف عمه أبوطالب الذي حل محل جده عبد المطلب . قوم لهم أصل ونسب بين العرب وقبائلها . فهم سادة عصرهم . وهم أهل الحرم و به يُعرفون في كل مكان .

(٣٥) المرجع السابق ، ٥١ .

وقد كان لرضاعة النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد بن بكر دور كبير في إعداده من حيث الفصاحة . والخصافة . وهي تكله لعروته وأصالته بين العرب . « فقد كان من أسباب دفع قر يش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع لينشأ الطفل في الأعراب . فيكون أفصح للسانه . وأجلد لجسمه . وأجدر ألا يفارق الهيئه المعديه . كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا وتمعزروا واخشوشوا . وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه — حين قال : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله . فقال : « وما يعنى . وأنا من قر يش . وأرضعت في بني سعد ؟ » .

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان . كان يقول : أضربنا حب الوليد . لأن الوليد كان لحنًا . . وكان سليمان فصيحًا . لأن الوليد أقام مع أمه . وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية . فتعربوا . ثم أذهبوا فتأدبوا » (٣٦) .

وهكذا نجد أن الله عز وجل قد أعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح ليواجه به أهل مكة وغيرهم . ممن يتطلب الأمر مواجهتهم حينما يجهر بدعوته ، فالذى يقف في مواجهة محمد صلى الله عليه وسلم . عليه أن يعلم أنه أمام رجل له أصل ونسب . رجل من أفضل العرب فهو صاحب فصاحة . وصاحب شجاعة وله ماض يدل على ذلك خير دلالة . وهو أمام رجل له عشيره وقوم يقفون خلفه . يقومون دونه . ويحرسون على حمايته وسلامته . من كل من أراد أن يبطش به . أو أن ينال منه . وكان هذا سلاحا لازما وماضيا الى جانب تلك الاسلحة التي أعد الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ظهر أثر هذا الإعداد الربانى للنبي صلى الله عليه وسلم في ممارسته للإعلام بالرسالة . وتبليغه إياها . فقد تكاملت هذه الصفات كلها . من رجاحة العقل وحسن الخلق . والصدق . والأمانة . والشجاعة . وعراقة الأصل والنسب . كل صفة من هذه الصفات كان لها دورها وتأثيرها واضحا . تكاملت كلها . لتظهر لنا محمدا صلى الله عليه وسلم رجل إعلام قدير بخير رسالة كلف بها بشر على وجه الأرض . الى أكبر جمهور يمتد طولا وعرضا على وجه البسيطة في عصره

(٣٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجاني ، الجزء الأول (القاهرة : المكتبة التوفيقية ، ١٩٧٨) ص ١٦٧ .

و يتجاوزوه الى كل الأزمان القادمة حتى تقوم الساعة . والى كل مكان فى الدنيا بأسرها . وبكل الوسائل الممكنة للإبلاغ بهذه الرسالة .. الى كل زمان وكل مكان . ولكل عصر ومصر .

وقد كان هذا الأعداد الذى تحدثنا عنه بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم . إنما هو أعداد مبدئى له قبل البعث . ولم يكن هذا كل الإعداد الذى أعده الله سبحانه وتعالى به . وإنما كان هناك إعدادا خاصا . واكب فتره نزول الوحي . وبداية البعث . كان إعدادا يتناسب مع هذه الفتره .

وهذا نرى أن هذا الإعداد الذى كان قبل البعث . إنما كان تمهيدا وتبئيه للإعداد التالى له . والذى أعده الله به مع بداية نزول الوحي . حتى يتحمل ذلك ويستعين به عليه . وحتى يكون لديه طاقة تؤهله لذلك . وتجعل منه رجلا له صفات معينه . تجعله محل احترام مجتمعه كله بسائر طبقاته ومحل ثقته . وأهلا لمحبه .

كان بعد ذلك الإعداد الخاص الذى يناسب فترة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . وهوما سنتحدث عنه فى الصفحات القادمة إن شاء الله . ليستسنى لنا الحديث عن ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الله عز وجل فى مكة ثم فى المدينة . ثم عبر الأزمنة والأماكن كلها . قدوه حسنه . وأسوة مباركه . يفلح كل من يقتدى ويتأسى به صلى الله عليه وسلم وما للمسلمين من أسوة فى ممارساتهم الإعلاميه سواه . ومن العيب بكان أن نستلهم نظرياتنا من الشرق أو الغرب ونحن نمثل الكثر الذى لا يفنى .. والأسوه التى لا تحطىء . والقدوه التى لا يضل من اقتدى بها . وهورسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : الإعداد في بداية البعثة :

كانت عملية إعداد النبي صلى الله عليه وسلم ليتحمل أعباء الإعلام برسالة الله عز وجل - في بداية البعثة تختلف قليلا عن عملية الإعداد في العصر السابق للبعثة والذي سبق الحديث عنه . وقد كان هذا الاختلاف يرجع الى عملية التغير الزماني ذاتها . فالإعداد في العصر السابق للبعثة إنما كان الهدف منه كما رأينا عمليه إثارة انتباه المجتمع المكي حول شخص محمد صلى الله عليه وسلم منذ نشأته . وبيان أنه ليس فردا عاديا . وأنه متميز منذ صباه عن أقرانه وعن سائر أفراد المجتمع الذي نشأ فيه . وترعرع وسطه .

أما عملية إعداد النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام بالدعوة في بداية البعثة ، فقد كانت تختلف عن مجرد إثارة الانتباه الى شخصه . وإنما تعدت ذلك إلى نوعين من الإعداد . كل منهما يكمل الآخر أما النوع الأول فهو إعداد البيئة المناسبة والمناخ الملائم من حيث الزمان والمكان ، حتى تصبح البيئة مناسبة ومهيأة لأن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بممارسة الإعلام بدين الله عز وجل ورسالته . وأما النوع الثاني من عملية الإعداد في بداية البعثة فهو إعداد شخص النبي صلى الله عليه وسلم لتحمل أعباء الإعلام برسالة الله تعالى . وهذا الإعداد في هذه المرحلة مبني في ذاته على الإعداد السابق الحديث عنه وهو الإعداد قبل البعثة . وما اتصف به من صفات ميزته عن غيره من أفراد المجتمع المكي . ولفتت إليه انظار هذا المجتمع . وجعلته مثار إعجاب وأكبار الكبير والصغير والحر والعبد في هذا المجتمع .

وتفيد دراسة هذه النواحي من حيث إعداد الإعلامى . وإعداد المجتمع الذى يمارس فيه رسالته الإعلامية . تفيد في بيان أن الإعلام ليس بالشئ الذى يمارس هباءً . أو بطريق عشوائيه . وإنما يجب أن يرتكز على دراسات واعية ومستنيرة للمجتمع والجمهور . ويجب أن تتم عمليه إعداد وافيته ومدرسة للقائم بالإعلام .

حتى يستحق الاعلام بعد ذلك أن يوصف بأنه إعلام إسلامي . بمعنى أن الإسلام قد علّم كيفية إعداد الإعلامى وتعليمه طرق الاعلام وكيفيته ووسائله وأساليبه . كما علّم كيفية دراسة المجتمع . واعداده لتلقى الجهد الاعلامى . حتى يكون مؤثرا ومشيرا للاستجابة . فالمجتمع إذا ما فوّجىء برسالة إعلامية دون أن يكون قد تمت تهيأته لتلك الرسالة . فإنها تلقى الإعراض من جانب أفراد المجتمع قاطبة ولو كانت تلك الرسالة فيها فائده وانقاذه من الهلاك ، وسوف نرى أن عملية اعداد المجتمع المكى لتلقى الرسالة أدت إلى إيمان بعض الأفراد برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأول وهلة هؤلاء الأفراد وإن كانوا قلة من الرجال والنساء والصبيبه والاحرار والعبيد إلا أنهم كانوا الإعلاميين الأوائل الذين ساندوا النبى صلى الله عليه وسلم وقاموا معه بمجهود الإعلام برسالة الله عز وجل . كما أن هذا الإعداد أدى إلى أن المقاومين للرسالة التى كان يدعو اليها محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون — على الأقل بينهم وبين أنفسهم من ناحية وبينهم وبين بعضهم من ناحية أخرى مدى كذبهم .. ومدى صدق محمد صلى الله عليه وسلم ومدى صحة إعلامه ورسالته .

وستعرض لكل من هذين النوعين من الإعداد بشىء من الإيجاز لبيان مدى افاده ذلك ، وللوقوف على أهميته . حتى يمكن أن نستفيد به فى عملية إعداد رجال الاعلام الإسلامى فى العصر الحديث .

١ — تهيئة البيئة المناسبة والمناخ الملائم .

حدثت فى المجتمع المكى قبل الاسلام — والمسمى بالعصر الجاهلى — بعض الارهاصات التى كانت تشير الى أن تغيراً ماعلى وشك الحدوث فى هذا المجتمع . فع أن هذا المجتمع كان يضح بالفوضى . ويتلأ بأحداث الغزو والسلب والنهب والسبى . والرقيق والنساء والخمر . إلا أن اشخاصا قد برزوا فى هذا الوقت السابق قليلا لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم والمصاحب له — أنذروا بأن هذا عصر نبى قد أظلم زمانه . وبأن هذه العقائد التى يدينون بها إنما هى باطله . وبأن آلتهم هذه لاتضر ولاتنفع والعجيب أن هؤلاء الأشخاص الذين أنذروا بذلك لم

يكونوا من المهملين في قومهم . وإنما كانوا من أهل المجد أو من أهل الكهانة .
ومعروف أن هذا المجتمع كان يقيم للكهانة وزنا ويحيطها بهالة من القدسية والمهابة
والعظمة . كما كان بعض هؤلاء الأشخاص أيضا من أهل الكتاب سواء من
اليهود ، أو من النصارى . وقد كان العرب يعلمون أن أهل هذه الكتب هؤلاء
لديهم علم من علوم الأولين ليس لغيرهم . فكانوا يقفون أمام كلامهم احتراما
ومهابة . ولا يسهون شيئا منه .

وقد رأينا من قبل ما كان من مجيرا — الراهب . الذى كان على طريق
الشام — وما أخبره عن محمد صلى الله عليه وسلم . ورأينا ما كان من غيره أيضا
من أهل الكتاب . كما تعرضنا لبعض ما ذكره ورقة بن نوفل .

وقد كانت هذه الارهاصات كلها لإعداد المجتمع المكي لتلقى هذه الرسالة
التي سيحملها إليه محمدا صلى الله عليه وسلم . وحتى لا تكون مفاجأة غير متوقعة
له . أو غير سابق إنذار . فهذه النذر قد سبقت وتكررت منذ سنوات قبل البعثة
وحتى بدايتها وبداية عصرها الزاهر .

كان أول هذه الارهاصات التي بدأت تأخذ دورها في إعداد البيئه الملائمه
للإعلام النبوى . هو ما حدث من هواتف الجن تُنبئ الكهان بأن تغيرا ما حدثا في
هذا الزمان . وأن هذا زمان نبي يبعث . وقد حددت هذه الهواتف صفات هذا
النبي وزمانه ومكانه . وقد أخبر هؤلاء الكهان المجتمع المكي بذلك . مما أدى الى
التقرب والانتظار لذلك النبي ورسالته .

« قال محمد بن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه
أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها — هذا الحى من ثقيف — وأنهم
جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية . أحدبني علاج . وكان أدهى العرب
وأمكرها . فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟
قال بلى . فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يبتدى بها في البر والبحر .
ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء . . لما يصلح الناس في معاشهم هي التي
يرمى بها . فهو والله طى الدنيا . وهلال هذا الخلق . وإن كانت نجوما غيرها .
وهي ثابتة على حالها . فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق . فما هو ؟

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم — يقال لها الغيطلة — كانت كاهنة في الجاهلية . جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقص تحتها ، ثم قال : أدرما أدر ، يوم عقر ونحر ، قالت قر يش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقص تحتها ثم قال : شعوب ما شعوب ؟ تصرع فيه كعقب الجنوب . فلما بلغ ذلك قر يشا قالوا ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب . فمرفوا أنه كان الذي جاء إلى صاحبه .

قال ابن اسحاق : وحدثني علي بن نافع الجرش أن جنبا — بطنا من بطون اليمن — كان لهم كاهن في الجاهلية . فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب . قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جبله . فنزل إليهم حين طلعت الشمس . فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه النساء طويلا . ثم جعل ينزوا . ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه . وطهر قلبه وحشاه . ومكنه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشد في جبله راجعا من حيث جاء (٣٧) .

وقد تعددت هذه الإرهافات التي كانت بمثابة الإعداد للمجتمع المكى في كثير من الأماكن . منذره ومهيأة هذه البيئة لظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها على سبيل المثال مارواه سواد بن قارب الدوس والذي كان كاهنا في الجاهلية وأسلم . وروى ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه « بينا عمر بن الخطاب جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب — هو سواد بن قارب الدوس — يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد ، ولقد كان كاهنا في الجاهلية . فسلم عليه الرجل . ثم جلس . فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال له : فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في . واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ ولّيت ما وليت . فقال عمر : اللهم غفرا . قد كنا في جاهلية على شر من هذا .

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

نعبد الأصنام ونعتق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام . قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية . قال فأخبرني بما جاءك به صاحبك . قال جاءني قبل الإسلام بشهر أو شيعه — أى دونه — فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها . إياها من دينها . ولحقها بالقلاص وأحلامها .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قریش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا . فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه .. إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه . وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه ، يقول : يا ذريح ، أمرنجيح . رجل يصيح . يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح بلسان فصيح . يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيش بإحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى مامؤمنوا الجن كأنجاسها

قال ابن اسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب « (٣٨) » .

ولم تك تلك الارهاصات التي حدثت لإعداد البيئه المكيه لتلقى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والتمهيد لها . قاصرة على إخبار الجن والكهان . فقد أخبر بذلك أهل الكتب السماويه من اليهود . والذين كانوا على علم بالكتب السابقه . والذين كان لهم اعتبارهم واحترامهم عند العرب في الجاهليه قبل الاسلام . وقد أخبر الكشيريون من هؤلاء بأن زمان نبي آخر الزمان قد أطل . وأن شمس قد طلعت . وبشروا به . وأخبروا بصفاته وزمانه ومكانه . ونسبه . وما يدعوا إليه . حتى أصبح ذلك واضحا للعرب . وأصبح المجتمع كله بيئه ممهده لذلك . ومن أمثله ذلك ما أخبر به أحد أحبار يهود بني قريظه . وكان سببا في اسلام بعض

(٣٨) ابن هشام ، السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجاني ، الجزء الأول ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

الصحابه الذين سمعوه . وعاشوا معه . وعرفوا منه صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

« قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظه قال : قال لى : هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية ، وأسد بن عبيد نفر من بني هذيل . اخو بنى قريظه . كانوا معهم في جاهليتهم . ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قلت لاقال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام . يقال له : ابن الهيبان . قدم علينا قبل الاسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا . لا والله ما رأينا رجلا قط تصلى الخمس أفضل منه . فأقام عندنا فكنا إذا قحط علينا المطر . قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسقى لنا . لا والله ، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة . فنقول له كم ؟ فيقول : صاعا من تمر . أو مئتين من شعير . قال : فنخرجها . ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا . فيستسقى الله لنا . فوالله ما يبرح مجلسه ، حتى تمر السحابة وتسقى . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حضرته الوفاة عندنا . فلما عرف أنه ميت . قال : يا معشر يهود . ماترونه أخرجتني من أرض الخمر والخير . إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم . قال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف — أى أنتظر — خروج نبي قد أظلم زمانه . وهذه البلدة مهاجرة . فكنت أرجو أن يبعث ، فاتبعه . وقد أظلمكم زمانه . تسبقني إليه يا معشر يهود . فإنه يبعث بسفك الدماء . وسبى الذراري والنساء ممن خالفه . فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — وحاصر بني قريظه . قال هؤلاء الفتيه . وكانوا شبابا أحداثا . يا بنى قريظه . والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان . قالوا ليس به . قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته . فنزلوا وأسلموا . وأحزروا دماءهم وأموالهم وأهلهم . قال ابن اسحاق : فهذا مما بلغنا عن أخبار يهود » (٣٩) .

وكانت العلاقات الدالة على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم والبشارة به في المجتمع المكي قد ظهرت منذ عهد عبد المطلب حيث بشرته به كاهنه قريش لما قص

عليها رؤيا رآها « قال عبد المطلب للكاهن لما قالت له : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رآه من حدثان الدهر شيء ؟ فقال لها عبد المطلب : إنى رأيت الليله وأنا نائم في الحجر كأن شجرة تنبت .. قد نال رأسها الساء . وضربت بأغصانها المشرق والمغرب . وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا .. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها . وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا ، وارتفاعا . ساعة تحفى وساعة تزهر . ورأيت رهطا قد تعلقوا بأغصانها . ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها . فإذا دنوأمها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهها ولا أطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم . فرقت يدي لأتناول منها نصيبا . فنحنى الشاب . فقلت لمن النصيب ؟ فقال النصيب هؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها . فانتبهت مذعورا فزعا . فرأيت وجه الكاهن قد تغير .. ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس » (٤٠) .

وقد أخبر بعض أهل العلم بالكتب أيضا عبد المطلب بمثل هذه البشرى ولكن بصورة أوضح حيث ذكر له سيف ذى يزن الحميرى صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأسمه . ومكان هجرته وما سيلقاه . وذلك حين قدم عليه عبد المطلب في وفد من قومه مهتئين له بالملك . وكان ذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين « أدنى سيف ذى يزن عبد المطلب من مجلسه وأخلاه . وقال : يا عبد المطلب إنى مفض إليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكنى رأيتك معدته فاطلمت طليعه . فليكن عندك مطو يا . حتى يأذن الله فيه . فإن الله بالغ أمره . إنى أجيد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما . وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيله الوفاء للناس عامه . ولرهطك كافة . ولك خاصة . فقال عبد المطلب أيا الملك مثلك سرتو بر ، فما هو فد أؤك أهل الوبر زمرا بعد زمرة ؟ قال : إذا ولد بتهامة . غلام به علامة . بين كتفيه شامة . كانت له الإمامه ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب — أبيت اللعن — لقد أبت بخير ماأب به واقد . ولولا هيبه الملك

(٤٠) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثانى، ٣١٧.

وإجلاله واعظامه . لسأنته من بشارته إتيى ما ازداد سرورا . قال ابن زى بن هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد . واسمه محمد . يموت أبوه ويكفله جده وعمه . . ولد ناه مرارا . والله والله باعته جهارا . وجاعل له منا أنصارا . يعز بهم أوليائه . ويذل بهم أعداءه . . ويضرب به الناس عن عرض . ويستبيح بهم كرائم الأرض . يكسر الأوثان ويخمد النيران . يعيد الرحمن ويدمر الشيطان . قوله فصل وحكمه عدل . يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينطه . فقال عبد المطلب : أيها الملك - عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملك وطال عمرك . فهذا نجارى فهل الملك سارلى بأفصاح . فقد أوضح لى بعض الايضاح . فقال ابن زى يزن : والببيت ذى الحجب والعلاقات على النقب . أنك يا عبد المطلب لجده غير كذب . فمخر عبد المطلب ساجدا . فقال ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا ما ذكرت لك . فقال أيها الملك : كان لى ابن . وكنت به معجبا وعليه رفيقا . فزوجته كريمة من كرائم قومه . آمنه بنت وهب . فجاءت بغلام سميته محمدا . فأت أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . قال ابن زى بن . أن الذى قلت لك كما قلت . فاحتفظ بابنك . واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء . ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . واطوما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك . فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة . فيطلبون له الفوائى . وينصبون له الحبال . فهم فاعلون أو ابناؤهم . . ولولا أنى أعلم أن الموت محتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيشرب دار مملكته . فإنى أجد فى الكتاب الناطق . والعلم السابق . أن يشرى استحكام أمره . وأهل نصرته وموضع قبره . ولولا انى آقيه الآفات . وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حدائه سنه أمره . . ولأوطأت أسنان العرب عقبه . ولكنى صانف إليك ذلك عن غير تقصير من معك « (٤١) » .

وقد كان نتيجة لكثرة تردد هذه البشارات ، أن أصبح المجتمع المكى كله معدا لاستقبال ذلك ذلك النبى ومهيئا له ومن ذلك أن بعض من علموا كانوا يسمون أولادهم باسم محمد . أملا فى أن يكون هو النبى المنتظر .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

«سئل محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن خثعم بن سعد : كيف أسماك أبيك محمدا ؟ فقال سألت أبي عما سألتني عنه فقال : خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم . وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد . ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن . ونحن نريد ابن جفنه ملك غسان . فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات . فتحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هي بلغة هذه البلاد . فقلنا نعم نحن قوم من مضر . قال من أي المضرين ؟ قلنا من خندف . قال أما إنه سيبعث وشيكا نبي خاتم النبيين . فسارعوا إليه وخذوا يحظكم منه ترشدوا . فقلنا ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال فرجعنا من عند ابن جفنه فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمدا . يعني أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده» (٤٢) .

وقد كانت مثل هذه العلامات والدلالات سببا في إسلام كثير من عظماء العرب . وتصديقهم لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . مثل عمرو بن مرة الجهني والذي رأى رؤيا وهو يهيج في مكة في الجاهلية . يروى ذلك فيقول : «خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في نومي وأنا بمكة . نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب . وأشعر جهنم . فسمعت صوتا من بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء . وسطع الضياء . وبعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء أضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن . وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فانتهيت فزعا فقللت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحق من قر يش حدث — وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا . جاءني رجل يقال له أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت . فقال : «يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة . أدعوهم إلى الإسلام . وأمرهم بحقن الدماء وصللة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام . وحج البيت . وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا . فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جنهم» فقللت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . آمنت بما جئت من حلال

(٤٢) الرجوع السابق ، ص ٣٣١ .

وحرام . وإن رغم ذلك كثيرا من الأقسام . ثم أنشدته . أبياتا قلتها حين سمعت به .
وكان لنا صتم . وكان أبى سادنا له . فقامت إليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي صلى
الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وإنسى لأهله الأحجار أول تشارك
وشتتت عن ساق الأزار مهاجرا إليك أجوب القفر بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفسا وولدا رسول ملك الناس فوق الحباثك (٤٣)

وكان مما زاد في تهينة المناخ لأن يكون المجتمع المكي مهيبا للإعلام النبوي أن
كثيرين من المنتسكين من أهل مكة . والذين كانوا قد تأثروا بمثل هذه
العلاقات — بدأوا في طلب الحقيقة . وساورهم الشك في عبادة الأصنام . ومن
أمثلة هؤلاء القس بن ساعده الإيادي . وورقه بن نوفل . وزيد بن عمرو بن نقييل .
ونضرب في هذا المجال مثالا لما حدث لزيد بن عمرو بن نقييل . وقد عرضنا من قبل
لمواقف ورقة بن نوفل وتبشيريه لخديجه بالنبي صلى الله عليه وسلم .

خرج زيد بن عمرو بن نقييل يطلب دين إبراهيم عليه السلام . ويسأل
الرهبان والأخبار . حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها . ثم أقبل فجال الشام كله .
حتى انتهى إلى راهب بميفعه — أرض مرتفعة — من أرض البلقاء . كان ينتهي إليه
علم أهل النصرانية فيما يزعمون . فسأله عن الخنفية دين إبراهيم . فقال : إنك
لتطلب ديننا ما أنت بواجد من يملكك عليه اليوم . ولكن قد أطل زمان نبي يخرج
من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الخنفية . فالحق بها . فإنه
مبعوث الآن . هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئا
منها . فخرج سريرا . حين قال له ذلك الراهب ما قال . يريد مكة . حتى إذا
توسط بلاد لحم . . عدوا عليه فقتلوه (٤٤) .

وهذه أمثلة تدل على أن المجتمع المكي قد هيأه الله عز وجل . وجعل منه بيئة
معدة . ومناخا مناسباً . لأن يمارس النبي صلى الله عليه وسلم إعلامه بدين الله عز
وجل .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٤٤) ابن هشام ، السير النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

٢ - الإعداد الشخصى للرسول فى بداية البعثة :

أعدّ الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى بداية بعثته بصفات جسميه وروحيه . يمكن أن نطلق عليها مجتمعه بالصفات الشخصيه . وهذه الصفات كانت من عوامل التحمل وتمكين النبى صلى الله عليه وسلم من ممارسة الإعلام بدين الله . وتحمل رسالته . . ذلك أن هذه الرسالة لعظمتها . وفضلها . وما لها من شأن لا يبارى ولا يجارى ، كان لابد لها من شخصيه عظيمه تتحملها . وهذه الشخصيه لابد من إعدادها إعداد جيدا . يتناسب مع قيمة هذه الرسالة . وعلى مراحل متعدده . فقد رأينا أن الله عز وجل قد نشأ نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على صفات جميله . وخصال حميده . وخلق حسن . يختلف عما كان عليه المجتمع المكى . ليثير الانتباه إليه كما عرفنا من قبل . ومع اقتراب وقت القيام بالمهمة الإعلاميه . كان الإعداد الشخصى للبنى صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه المراحل الخاصه بإعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم . يجب أن يتعلم رجال الإعلام فى العصر الحديث أن الإعلام لا يمارس هباءً . أو بطريقه عشوائيه . كما أنه جهد لا يقوم به أى فرد دون إعداد . وهذا الإعداد نفسه يجب أن يتناسب مع قيمة وحجم الرسالة التى سوف يقوم بها الإعلامى . وما لها من شأن . ذلك أن الدين الاسلامى كله إنما هو التعلم والاستفاده . وعلى البشر أن يستفيدوا كل فى مجاله - من هذا الدين . . ومن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم . وما حدث فيها . فقد كان فى قدرة الله عز وجل أن يجعل نبيه قادرا على ممارسة هذا الإعلام بهذا الدين دون خطوات الإعداد التى رأيناها هذه . أى بالفطره . ولكن الله تعالى يُعلم عباده و يضرب لهم الأمثله اللازمه لهم فى حياتهم بالنبى صلى الله عليه وسلم نفسه . فكما حدث فى حادث الهجرة من مكه الى المدينه : أن جعل الله نبيه ينتقل بحذر . ويختبىء فى الغار ويركب الجمل أو الناقة . ويسلك طريقا غير مألوف . وكان فى قدره الله تعالى أن ينقله من مكه الى المدينه فى لمح البصر ودون عناء .

كما حدث في ليلة الاسراء والمعراج . ولكن الله عزوجل يربى عباده و يعلمهم الجهاد . وكيفية الإعداد . حتى يسيروا على نهج ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

وقد تمثل إعداد النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القيام بمجهد الإعلام بالإسلام . في أنه حُتِبَ إليه الخلاء .. والتنسك في الغار والإنقطاع عن الناس . وفي الرؤيا الصالحة . بالإضافة الى أنه كان صلى الله عليه وسلم أميالا يقرأ ولا يكتب . الا أنه كان فصيحاً بليغاً حسن البيان . وهذه صفات روحية وجسميه معا . لذا أطلقنا عليها الصفات الشخصية أو الإعداد الشخصي للنبي صلى الله عليه وسلم . وقد حدثت هذه في بداية نزول الوحي أو قبله بوقت قليل . لتكون مهياة له لتحمل أعباء الإعلام بالإسلام .

« قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، قال حدثنا الفرج بن فضالة ، قال حدثنا لقمان بن عامر قال : سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » . ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس ولشهار ذكره وانتشاره . فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب . ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بنى اسرائيل . يدل هذا على أن بينها من الأنبياء من بشروا به أيضاً » (٤٥) .

وتذكر كتب السيرة أن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهو في سن الأربعين . وهذا هو سن اكتمال العقل ونضوجه . ويعتبر هذا السن أول ما أعد الله به نبيه في فتره بداية الوحي للقيام بمجهد الإعلام بالإسلام وهو اكتمال العقل ونضجه . بعد أن عُرف في المجتمع المكى بأسره بما عرف به من صفات طوال هذا العمر الماضي له من قبل وسط هذا المجتمع وأهله .

« قال ابن هشام : فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .. وكافة للناس بشيراً .. وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به . والتصديق له ، والنصر له على من

(٤٥) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٣٠٦ .

خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم . فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه . ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري » أنقل ما حلتكم من عهدي « قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق من خالفه . وأرادوا ذلك إلى من آمن بهم . وصدقهم من أهل هذين الكتابين » (٤٦) .

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى علامات النبوة شيئا فشيئا . حينما بلغ هذا السن من عمره — وهو سن الأربعين — الذي نزل عليه الوحي فيه كما ذكر من قبل . وكانت هذه الأشياء التي يراها . واحده بعد الأخرى . هي عوامل الإعداد لتحمل الإعلام بالاسلام بطريقة تدريجية . ومن ذلك على سبيل المثال « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته . وابتدأه بالنبوة . كان إذا خرج لحاجته . أبعد حتى تحسرت عنه البيوت . و يفضى إلى شعاب مكة ويطول أوديتها . فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله فيتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله . وعن يمينه وشماله وخلفه . فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يبعث . ثم جاء جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو مجراء في شهر رمضان » (٤٧) .

وبذلك نرى أن الله عز وجل بدأ في إعداد رسوله في بداية فتره البعثة حتى لا يكون ذلك الأمر مفاجأ مذهلة له . أو شديدة الوطأة على نفسه .. ومن هذا الإعداد أيضا . أن الله عز وجل حبس إليه الخلاء . وكثره التبعيد حتى تصفوا روحه ونفسه . وليكون أهلا لتلقى رساله الله تعالى والإعلام بها .

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا . فكان في ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين . فإذا قضى رسول الله صلى الله

(٤٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي البرجاني ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

عليه وسلم جواره من شهره ذلك . كان أول ما يبدا به — إذا انصرف من جواره —
الكعبة — قبل أن يدخل بيته . فيطوف بها سبعا . أو ما شاء الله من ذلك . ثم يرجع
إلى بيته . حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من
السنة التي بعث الله تعالى فيها . وذلك الشهر شهر رمضان . خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم — إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله . حتى إذا كانت
الليلة التي أكرم الله فيها برسالته ورحم العباد به . جاءه جبريل — عليه
السلام — بأمر الله تعالى « (٤٨) » غير أن رواية أنه كان معه أهله الواردة هنا مردود
عليها .

وقد جمع كل ذلك من الصفات الجسميه والروحيه التي أعده الله عز وجل بها
نبيه في بداية قتره نزول الوحي . حديث البخارى الذى روته السيدة عائشه رضى
الله عنها حيث قالت : « أول ما بُدئ به رسول الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصالحه في النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه
الخلاء . وكان يغلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد الليالى ذوات العدد —
قبل أن ينزع إلى أهله ، و يتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجه فيتزود لمثلها . حتى جاءه
الحق . وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال
فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ . قلت ما أنا
بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ
فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة . ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك
الذى . خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجه بنت خويلد رضى الله عنها ، فقال
زملونى زملونى . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجه وأخبرها الخبر : لقد
خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا . إنك لتصل
الرحم . وتحمل الكل وتكسب المعدوم . وتقري الضيف . وتعين على نوائب
الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم
خديجه . وكان امرأ تنصر في الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب

(٤٨) الربع السابق . ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

من الإنجيل بالعبرانية . ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قد عمى . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ، فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جذعا . ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ف فقال رسول الله : أوخرجنى هم . قل نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحى « (٤٩) » .

وكان مما أعد الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم أيضا لتلك المهمة الاعلامية العظيمة . أنه كان أميا . لا يقرأ ولا يكتب . وما كان هذا إلا من عوامل الإعجاز . فمع أن الرسالة عظيمة . وشأنها جليل إلا أن مبلغها وحاملها أمى لا يقرأ ولا يكتب . فمن أين جاء إذن بها . لا مصدر لها إلا أنها من الله عز وجل .

وقد كانت صفة الأمية هذه للبنى صلى الله عليه وسلم مذكورة في كتب السابقين . من اليهود والنصارى . وقد سألوها عنها ضمن الصفات التى سألوها عنها من صفاته صلى الله عليه وسلم . فلما عرفوها عرفوا وأقروا وأعلنوا أنه نبي آخر الزمان . وقد تكرر هذا في أكثر من موضع . منها ما حدث مع كسرى لما سأله أبوسفيان عنه . ومنها ما حدث من قصة العباس بن عبد المطلب وأبوسفيان أيضا في اليمن وسألهم أهل الكتاب عن ذلك لما بلغهم خبر ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن . وقد ذكر هذه القصة ابن كثير في سيرته وسنذكرها كمثال على ذلك . وأشير هنا إلى أنه مع اميته إلا أنه كان فصيحاً بليغاً كما سنذكر فيما بعد . وهذا هو المهم في الإعلامى حسن البيان والفصاحة .

« عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم أبوسفيان بن حرب . فقدمت اليمن فكنت أصنع يوما طعاما وأنصرف بأبى سفيان والنفر و يصنع أبوسفيان يوما . و يفعل مثل ذلك . فقال لى في يومى الذى كنت أصنع فيه . هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى

(٤٩) أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٦ ، ٧ .

بيني وترسل إلى غداءك؟ فقلت: نعم. فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إليه الغداء. فلما تغدى القدم قاموا واحتبسني. فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله. فقلت: أتى بني أخى؟ فقال أبوسفيان إيتاي تكتم؟! وأى بنى أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد؟ قلت وأتهم على ذلك؟ قال هو محمد بن عبد الله. فقلت قد فعل؟ قال بلى قد فعل. واخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه: أخبرك أن محمدا قام بالأبطح فقال: «أنا رسول الله أدعوكم إلى الله عز وجل» فقال العباس: قلت: أجده يا أبا حنظلة صادقا. فقال: مهلا يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول هذا أبدا. إني لأخشى أن يكون على ضرر من هذا الحديث يا بني عبد المطلب. إنه والله ما برحت قریش تزعم أن لكم هبة وهمة. كل واحدة منها غاية. لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت: نعم قد سمعت قال فهذه والله شؤمتكم. قلت: فعلها يمتننا. قال: فلما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن. ففشا ذلك في مجالس الين. وكان أبوسفيان يجلس مجلسا بالين يتحدث فيه خبر من أخبار اليهود. فقال له اليهودى ما هذا الخبر؟ بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال؟ قال أبوسفيان صدقوا وأنا عمه. فقال اليهودى أخو أبيه؟ قال: نعم! قال فحدثنى عنه. قال لا تسألنى ما أحب أن تدعى هذا الأمر أبدا، وما أحب أن أعيبه وغيره خير منه. فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه، ولا يحب أن يعيبه. فقال اليهودى ليس به بأس على اليهود وتورا موسى. قال العباس: فننادانى الخبر. فجيئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد. وفيه أبوسفيان بن حرب والخبر. فقلت للخبر بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا زعم أنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأخبرك أنه عمه وليس بعمه. ولكن ابن عمه. وأنا عمه وأخو أبيه. قال أخو أبيه؟ قلت أخو أبيه. فأقبل على أبى سفيان فقال: صدق؟ قال نعم صدق.. فقلت سئلتى فإن كذبت فليرد على. فأقبل على فقال: نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قلت لا. وإله عبد المطلب، ولا كذب ولا خاف، وإنه كان اسمه عند قریش الأمين. قال فهل كتب بيده؟ قال العباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده. فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبى سفيان يكذبنى ويرد على. فقلت لا يكتب. فوثب الخبر.

ونزل رداؤه وقال : ذبحت يهود . وقتلت يهود . قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا . قال أبوسفيان : يا أبا الفضل : إن اليهود تفزع من ابن أخيك . قلت قد رأيت ما رأيت . فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به . فإن كان حقا كنت قد سبقت وإن كان باطلا فمك غيرك من اكفائك ؟ قال لا أؤمن حتى أرى الخيل في كداء . قلت ما تقول ؟ قال كلمه جاءت على فئ إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء . قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمه ؟ قال إى والله انى لذاكرها . فالحمد لله الذى هدانى للإسلام» (٥٠) .

كان من عوامل اعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يكون إعلاميا قديرا أنه لم يكن من طلاب الرياسة . ولا من محبي الزعامه ولا القيادة السياسيه . فلم يشتهر بذلك في المجتمع المكي ولم يعرف به . وإنما اشتهر بما سبق الحديث عنه من صفات اجتماعيه نبيله . تؤهله لأن يكون معروفاً . متفردا في مثل هذه الصفات الجميله . مسموع الكلمه . لئن الجانب . محبوبا لدى الجميع . من صغير الى كبير . ومن غنى إلى فقير . ومن حرا إلى عبد .

«فمع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من بطن ذى مكانة محترمه . وعصبيتته عزيزه . إلا أنه لم يكن من الزعماء البارزين في بيئته . ولم يكن من الزعماء السياسيين الذين تولوا أحد المناصب السياسيه لدولة مكة . وكان هذا من أسباب وقوف زعماء قريش منه موقف الاستكبار والأنفه . ترفعا عن اتباع شخص ليس له زعامه توجب الطاعة . وتبررا لاتباع . حيث كان للزعامه أثر ودور قويان في بيئته النبي صلى الله عليه وسلم وعصره قبل البعثه .

ولذلك قالوا «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (٥١) ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف بكرم الخلق ورجاحة العقل . وكان مشهورا عند أهل مكة كلهم بالصادق الأمين . إلا أنه لم يكن بارزا قبل البعثه في مجال الزعامه بروزا يلفت النظر كأبى سفيان بن حرب وأبى جهل

(٥٠) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٥١) سوره الزخرف (٣١) .

وغيرهما من زعماء مكة وحكامها . وكان هذا مما جعل القرشيين يحتقرون عليه وخصاه زعمائهم . و يمجّبون لعدم نزول القرآن على عظيم من عطاء مكة أو الطوائف واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشرف الرباني دونهم» (٥٢) .

ورجل الاعلام في حقيقة الأمر لا يحتاج إلى أن يكون زعيما سياسيا . أو صاحب سلطه وقوه وسطوة حتى يطاع . وإنما يحتاج لأن يكون محبوبا لدى الجمهور المستقبل لرسائله الاعلامية . وبقدرا الحب المتبادل بين رجل الاعلام وجمهوره بقدر ما يكون قادرا على تفهم هذا الجمهور . وبقدر ما يكون الجمهور بدوره متفهما للرسالة الاعلامية ومتحبا لها . وهذا يؤدي الى حسن الارسال . وحسن صياغة الرسالة الاعلامية . وحسن اختيار الوسيلة المناسبة للجمهور . وحسن استقبال الجمهور لهذه الرسالة أيضا . مما ينتج عنه التأثير بالرسالة من جانب الجمهور المستقل . وبالتالي تحدث الاستجابة ورد الفعل الذي يكمل الدائرة الاتصالية الاعلامية . و يدفع عجلتها الى الدوران المستمر .

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب زعامة سياسية في مكة . أو حتى قد عُرف بحبه للرياسة أو السلطه . لظن الناس في ذلك المجتمع أنه ينشد المجد والزعامة والرياسة . وأنه يزعم الرسالة من أجل الملك أو الرياسة . أما كونه لم يكن معروفا بذلك مع كونه ابن سادة قرين وأصحاب المجد والشرف والزعامة فيها . فهنا كان مثار العجب . وكان علامة تعجب واضحة اندهش لها المجتمع المكّي كله . وأدت هذه الدهشة الى أن يتساءل البعض . و يفكر البعض . و يؤمن البعض برسائله . وأيضا يقف البعض موقف المحاييد من الدعوه وصاحبها . وما يشه من رسائل اعلاميه بهذا الدين . فقد تحفظ الكثيرون ازاءها كما سنرى فيما بعد .

وقد ظن بعض أهل مكة أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — إنما بدعوته هذه ينشد الشرف و يطلب الرياسة والزعامة . فمروضها عليه . لكنه صلى الله عليه وسلم . أعرض عنها . و بين لهم أن هذه ليست مطلبه . فاتجهوا الى طلب الطب

(٥٢) عبد الغفار عزيز وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

له . ثم واجهوه بالحرب علانية . ولكنه صاحب رساله حق لا يهزمه حرب .
ولا تغريه زعامه ..

و يدلنا هذا على أن رجل الإعلام لا يقف في مكانه — الإعلامى — عن طريق القوة أو السلطة . وليست هذه من مؤهلاته . وإنما مؤهلاته إنما هي صفات أخرى . كحسن الخلق ولين الجانب والفصاحة والصدق والأمانة والوقوف إلى جانب قضية الحق . مع كونه لين الجانب حلو الحديث .

وقد رأينا أن الله عز وجل قد أعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات وأكثر منها قبل بعثته . وزاد عليها أنه كان صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب مع كونه فصيحاً حسن البيان . حلو الحديث . وهذا كان من المؤهلات العظيمة له صلى الله عليه وسلم كرجل اعلام بدين الله عز وجل فقد كانت أحاديثه ولا زالت كلمات مضيئه يعجز أصحاب الألسنة والبيان عن مجاراتها أو محاكاتها . لافي عصره ولا في غير عصره صلى الله عليه وسلم . وقد عجب أصحابه من ذلك . فسألوه فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت في بني سعد بن بكر » (٥٣) .

وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا . لكنه كان بفصاحته وعرويته وبلاغته . وحسن منطقته وبيانه إعلاميا قديرا . « فلعل حكمة الله قضت أن تحمل هذه الرسالة الإنسانية الى الناس جميعا ، شخصية ، لم يدخل على فطرتها الصافية إلا تعليم ربا . كما تستطيع أن تحمل رسالة الإنسانية السمحة نقية صافية من كل شائبة من تعليم الناس وقيم الأرض ، لتلقى مع الفطرة الانسانية » (٥٤) .

والى جانب هذا الاعداد وهذه الصفات الالهية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التى أعده الله عز وجل بها وزوده إياها . كان اعداد البيئه والمجتمع . وتهيئه

(٥٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .
(٥٤) محمد على الهاشمى ، شخصيه الرسول وبعثته في القرآن الكريم ، الطبعة الثالثة (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٣) ص ٢٤ .

المناسخ المناسب والذي يحوى جمهور المستقبلين للرسالة . كل هذه العوامل كانت
خيرا اعداد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون اعلاميا قديراً يدين ولدين الله عز
وجل . على امتداد الزمان الى يوم القيامة . وفي امتداد المكان الى كل مكان في
الأرض . ولصالح العباد جميعا مسلمين وغير مسلمين في دنياهم وآخرتهم . وليتعلم
المسلمون كيفية إعداد رجل الإعلام الاسلامى . وقد أدى ذلك الى أن يقوم
الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهد الاعلامى بالرسالة الاسلاميه . كخير ما قام
ويقوم به اعلامى على وجه الأرض كما سنرى فى الفصول القادمة أن شاء الله .

الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل

- أولاً : محمد النبي الرسول .
- ثانياً : الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل بالنسبة للبشر .
- ثالثاً : الفارق بين النبي والرسول .
- رابعاً : صفات الأنبياء والرسل .
- خامساً : العلاقة الإعلامية بين نبي ونبي ورسول ورسالة .

أولا : محمد النبي الرسول

كان اسم محمد من الأسماء الغريبة على المجتمع المكي . فلم يكن من الأسماء المتداولة في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام . لذا كان من المثير للانتباه أن يسمى عبدالمطلب حفيده محمدا . وكان هذا مدعاة لأن يسأله بعض العرب . لم أسميته محمدا ؟ أرغبت عن أسماء آبائه ؟ فقال عبدالمطلب : أردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الأرض لخلقه .

ولما حان وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحجار مكة وأشجارها تسلم عليه بصفة النبوة . حيث تذكر كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته كان لا يمر بمجرة ولا شجرة إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله (١) .

وكان أول ما نزل من الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الله عز وجل « إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته خديجة فزعا مما رأى وقال لها زملوني ، زملوني . دثروني دثروني . وحدث ما ذكر من قبل من أن خديجة ذهبت به لابن عمها ورقة بن نوفل . وكان رجلا باحثا في الأدب . على علم بالكتب . فقال إنه والله الناموس الذي نزل على موسى . وأخبرها أنه نبي آخر الزمان .

وكانت السورة الثانية من القرآن التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب تسلسل ترتيب السور في القرآن الكريم . هي سورة المزمل . وبعدها

(١) انظر سيره النبي لابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

(٢) سورة القلم (١-٥) .

أى الشالسه سوره المدثر. وسنعود إلى تحليل هذه السور القرآنيه الثلاثه من حيث كونها رساله إعلاميه. ومن حيث ما فيها من أوامر بالإعلام وكيفيته ووسيلته وأسلوبه. ولكن في هذا الموقف سنكتفى منها بخطاب الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسول ولفظ النبى. وبالأمر بالإعلام.

ففى بداية سورة القلم يأمره الله عز وجل بالقراءه باسم ربه الذى خلق. وفى بداية المزمّل يأمره بقيام الليل والاستعداد لما سيلقيه عليه من قول ثقيل «إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً» أى عظيم الشأن. ثم يخاطبه ويخاطب قومه الذين أمره بالصبر على أذاهم ومقابلتهم بالحسنى وإن أساءوا. وتوعد المكذّبين منهم بالعذاب. بعد ذلك يصفه الله سبحانه وتعالى بصفة الرسالة «إنا أرسلنا إليك رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً».

وفى سوره المدثر يأمره الله عز وجل بالإنذار. «يا أيها المدثر قم فأنذر. وربك فكبر وثيابك فطهر». والإنذار هنا فى اللغة بمعنى الإعلام. والتبليغ بهذه الرسالة التى أشار اليه بها فى السورتين السابقتين القلم والمزمّل. ولعل هناك علاقة بين بداية سوره المزمّل وهى السوره الثانيه من القرآن العظيم وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما عاد فزعا لما رأى جبريل لأول مره فقال لخديجه زمّلونى زمّلونى.

وقد تعدد خطاب الله تعالى فى القرآن الكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم بنداء يا أيها النبى. ويا أيها الرسول. وبالصفا محمد رسول الله. ويأمر المسلمين باحترام صفته ونبوته (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تمهروا له بالقول كجهير بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى فهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) (٢) وبهذا نرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد كان متفرداً فى تسميته وسط المجتمع المكى بهذا الاسم. وكان نبياً نبأ السماء. ورسولاً برسالة الله عز وجل كما سماه ربه سبحانه وتعالى وخاطبه بذلك فى القرآن الكريم.

(٣) سوره الحجرات (٢-٤).

ولم تكن تسمية نبي أو رسول قاصرة على محمد صلى الله عليه وسلم وحده
دون من أرسلهم الله تعالى . ولكنها كانت صفتهم جميعا . لأن الله تعالى قد أوحى
إلى أنبياء وأرسل رسلا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن محمدا تفرّد بأنه
آخرهم . وكان منهم من يسمى نبيا فقط . ومنهم من هو نبي رسول . ومنهم اثنان
فقط اجتمعت لهم صفات النبوة والرسالة الى جانب الملك وهما داود وسليمان .
وكان النبي يرسل نبيا فقط أو نبيا رسلا ، أو نبيا ملكا لمقتضى الحال من
حيث الزمان والمكان والرسالة والجمهور .

وستتحدث هنا عن الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسول بالنسبة للبشر . وعن
الفارق بين النبي والرسول . وعن صفات من يختاره الله تعالى لهذه المهمة . ثم
العلاقة بين النبي والنبأ والأنباء بمعنى الإخبار . والرسول والرسالة بمعنى توصيل
معنى معين مكتوب أو مسموع الى جمهور معين في زمان معين . ولأحداث تأثير معين
بهدف معين وهو الجهد الإعلامي . لنعلم أن الجهد الإعلامي ليس جهدا مستحدثا
ولا وليد عصرنا .

ثانيا : الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل :

خلق الله عز وجل الأرض وعثرها بالبشر . « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفه » (٤) وخلق هؤلاء البشر أو الخليفة التي عثرت الأرض بطريقه اصطفاها واختارها سبحانه وتعالى لهم . حيث جعل لهم طبائع معينه . تقتضى هذه الطبائع أن يكونوا مخطئين . وأن يكون من عاداتهم نسيان أوامر الله عز وجل . مما تتطلب اصلاح أحوالهم وتذكيرهم دائما . وله سبحانه وتعالى في ذلك حكم عظيمه . لا يعلمها إلا هو لذا لما تساءل الملائكة عن سبب تعمير الأرض بهذه الخليفة أجابهم ربهم جل وعلا بأن له حكم في ذلك . « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون » (٥) .

وكانت البداية الآدمية على الأرض أن جعل هذه الطبائع متأصلة في آدم ذاته . إذ عصى أمر ربه . فأخرج من الجنة . فاعترف بذنبه وتاب الى ربه . فقبل ربه عز وجل توبته وأوبته . وعفاه عنه . وتقبل منه . ولم يرجع إبليس إلى ربه ولم يتب . وخرج آدم وإبليس من الجنة ونزلا إلى الأرض ، هذا تائب مغفور له . وذاك مذنب مقرر على معصيته وذنبه مغضوب عليه . قال تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها فيما فإما يأثينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٦) .

(٤) سورة البقرة (٣٠) .

(٥) البقرة (٣٠) .

(٦) البقرة (٣٣-٣٩) .

وهكذا أصبح آدم وذريته على وجه الأرض . لهم طبيعة خلقهم الله عز وجل عليها تحتاج الى التذكير ليعودوا عن أخطائهم . ويستغفروا من ذنوبهم . ويرجعوا إلى ربهم . هذا من جانب . ومن جانب آخر فإن لهم عدو قد أخرج من الجنة بسببهم وحكم عليه بالنار لذا فهو مترصد لإغوائهم وإيقاعهم في الأخطاء والذنوب والآثام . وهو إبليس . وقد ذكر الله عز وجل موقف إبليس من آدم وذريته . حينما تاب الله على آدم . طلب إبليس من ربه مطلباً وهو أن يظل مُنظراً إلى يوم القيامة . وقد سجل الله عز وجل هذا الحوار وأسبابه ونتائجه . قال تعالى : «إِذ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ، فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ : رَبِّ فَاَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمُوتُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ » (٧)

ومن هنا كانت حاجة البشر الى من يذكرهم بعداوه إبليس . والى من يحارب كيد الشيطان وذريته . والى من يعود بالبشر الى ربهم عز وجل . ولأن الله تعالى أعلم بحال عباده . فقد كان يرسل إليهم من آن لآخر من يذكرهم . كل قوم يرسل إليهم من يصلح لهم وبما يصلح لهم ، وكل زمان يرسل له من يصلح له . وبما يصلح له . وهذا أدى إلى الفارق بين مُرْسَل وآخر . فأرسل الله تعالى الى بعض الأقوام أنبياء . وإلى بعضهم أنبياء ومرسلين . وإلى بعضهم أنبياء ملوك كل على حسب أحوالهم . ومن هنا أيضا كان الفارق بين النبي والنبي الرسول . والنبي الملك .

فالمعروف أن عملية الاتصال الاعلامي تتكون من طرفين رئيسيين هما المرسل والمستقبل . وتتم العملية الاتصالية بوجود رسالة لدى المرسل يريد أن ينقلها الى المستقبل باستخدام وسيلة اتصال تتلاءم مع طبيعة الرسالة من ناحية ، وتناسب

مع المستقبل من ناحية أخرى . وبقدر حدوث التوافق بين المرسل والمستقبل بمعنى فهمه لطبيعته ولغته وعاداته وتقاليده ، بقدر ما يمكن أن يصوغ رسالته الإعلامية بطريقته تناسب ذلك المستقبل . وأيضا بقدر ما كان المرسل متفهما لرسالته متحمسا لها ومتفهما للوسائل المتاحة والمناسبة لمحتويات الرسالة وللمستقبل بقدر ما أتاحت للعملية الاتصالية عوامل النجاح .

« من هذا يتضح أنه لكي يحدث اتصال لابد من حدوث تفاعل بين المرسل والمتلقى و بين المرسل والرسالة . وهذا التفاعل يتم في إطار اجتماعي معين يترك تأثيرا على كل من المرسل والمتلقى و يتحكم في نوعية الرسالة » (٨) .

وإذا ما حدث هذا التفاعل بين أطراف العملية الاتصالية هذه . فأصبح المرسل مدركا لأهمية قيامه بالاتصال متحمسا لها .. وأصبح أيضا يعرف ماهي وسائل الاتصال المتاحة والميسورة من حيث الاستخدام وكيفية . وملاءمتها للرسالة وللمستقبل . إذا ما حدث ذلك إلى جانب معرفة المرسل معرفة دقيقة وواعية بمن هو المستقبل . وما هو الهدف من الاتصال . إذا حدث هذا كله أمكن التأثير في المستقبل . وتحقق الهدف من الإتصال . وظهر رد الفعل المكمل للدائرة الاتصالية .. والدافع لعجلة الاتصال الى دوام الدوران والاستمرارية .

« إن هدف الفرد الأساسى من القيام بالاتصال هو في الواقع تغيير العلاقات بينه وبين الظروف المحيطة به بحيث يقلل بقدر الإمكان من احتمال أن يصبح هدفا للتأثير الخارجى فقط ، ويزيد من قدرته في أن يصبح قوة مؤثرة أى أن هدفنا الأساسى من الاتصال هو أن نصبح عوامل أقوى مؤثرة . أى أن نؤثر في الآخرين وفي الظروف المادية المحيطة بنا . وأن يصبح لنا صوت في الطريقة التى تدارها الأمور . باختصار ، نحن نتصل لنؤثر . ونؤثر بهدف » (٩) .

وهذا نجد أن أى عملية اتصال ناجحة ، أو بالأحرى حتى تتم بنجاح لابد من أن تهيأ لها إمكانيات أو عوامل ذلك النجاح بمعنى مراعاة الظروف التى تتم فيها هذه العملية . وإعدادها إعدادا جيدا يتناسب مع قدر أو قيمة الهدف المراد تحقيقه

(٨) جيان أحمد رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ط ٢ (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٨) ص ٥٥ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

من وراء تلك العملية الاتصالية . فالأصلح كما رأينا يتم من أجل التأثير . والتأثير في حد ذاته يتم من أجل هدف معين .. فيقدر ما يكون الهدف نبيلًا وهامًا . بقدر ما يجب أن يكون الإعداد عظيمًا وقويًا .

ونحن نعلم أن رسالات الأنبياء والمرسلين هي عملية اتصالية على درجة من السبل والأهمية لاتعلوها بل ولاتصل إليها درجة .. فهي لإصلاح حال البشر في دنياهم وآخرهم . ولإصلاح حالهم بينهم وبين بعضهم وبينهم وبين ربهم سبحانه وتعالى . وهي للتعليم والتهديب والإصلاح النفسى والروحى .. قال تعالى « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » (١٠) وبين الله عز وجل الغاية العظيمة من إرسال رسله . والهدف السامى من الرسائل التى يحملونها فقال : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١١) . وقال تعالى مبينًا جزاء من اتبع هؤلاء الرسل واهتدى برسالاتهم « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون » (١٢) .

والى جانب هذه الآيات التى تبين الهدف من رسالات الله عز وجل جملة نجد العديد من الآيات التى تفصل ذلك مثل قوله تعالى « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » (١٣) . وقوله تعالى « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال المأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين .. قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون » (١٤) .

- (١٠) سورة الحديد (٢٥) .
- (١١) سورة الأنبياء (٢٥) .
- (١٢) سورة الأنعام (٤٨ ، ٤٩) .
- (١٣) سورة إبراهيم (٥) .
- (١٤) الأعراف (٥٩ - ٦٢) .

وهكذا أرسل الله عز وجل رسله وأنبياءه جميعا برسالاته إلى البشر . بمهمة التذكير بأوامر الله عز وجل . والنهي عن محارمه . ولتذكيرهم بكيد إبليس اللعين لهم . عدوهم القاتم والمستمر والمترصدهم على الأرض . الذي لا يكل ولا يمل دفعهم إلى الغواية والمعصية ..

وكان كل رسول وكل نبي يحمل رسالة إعلامية إلى قومه من قبل الله تعالى . هذه الرسائل تتفاوت من زمان إلى زمان . ومن مكان إلى مكان . حسب طبيعة الزمان والمكان .. وحسب طبيعة الجمهور الذي تنزل إليه هذه الرسالة . وحسب الهدف المقصود منها .. والأهمية المحددة لها ..

ومن هنا كان الفارق بين المهمة التي يكلف بها النبي والرسول . ومن هنا تفاوتت الأهمية المنوط بها كل منهم .. فمنهم من كان يوحى إليه . وتكون وسيلته في الإبلاغ هو القدوة والأسوة والمثل الصالح . وهو النبي ومنهم من كان يوحى إليه ويأمره الله تعالى بالإبلاغ والأمر والنهي . وبذلك اختلفت المهة الإعلامية لكل نبي ورسول . غير أنه كانت هناك أهمية إعلامية بالضرورة وتعلق بهداية البشر . ولعل توضيح الفارق بين النبي والرسول يبين لنا ذلك .

ثالثا : الفارق بين النبي والرسول :

« النبوة خبر السماء من عالم الغيب . وهي أيضا تلقى الوحي بالانسلاخ من الحالة البشرية الى الملائكية . في لحظة من اللحظات . يحصل له فيها شهود الملائكة الأعلى وسماع الكلام الرباني .

والنبي : إنسان يتلقى الوحي من الله .. أو يعلمه صناعة .. وإذا كلف هذا النبي بالتبليغ كان رسولا ..

والرسول : هو النبي الذي أنزل الله عليه كتابا . أو علمه شريعته . وكلف بالتبليغ . وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا .. والفرق بينها العموم والخصوص ، واعتراض البعض على هذا فزعم أن كل نبي رسول .. وكل رسول نبي والأصح التفريق لما ورد في حديث الشفاعة الذي وصف نوحا بأنه أول الرسل . وقد سبقه آدم وشيث وإدريس وهم من الأنبياء » (١٥) وإن كان الأصح أن آدم وإدريس من الأنبياء الرسل كما سيوضح فيما بعد .

و يرى البعض أيضا أن النبي هو «إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرى ولكنه لم يكلف بالتبليغ . وأما الرسول فهو : إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرى ، وأمره بتبليغها .. فالرسالة إذا أعلى مرتبه من النبوة لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا . وعدد الأنبياء لا يحصى إذ يزيد عددهم — على ما جاء في بعض الآثار مائة وعشرين ألفا . أما الرسل فهم قلة ، والذين ذكروا في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلا وهم خمسة وعشرون وكلهم من الرسل وهم : آدم نوح ، إبراهيم ، اسماعيل ، اسحق ، يعقوب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكريا ، يحيى ، إدريس ، يونس ، هود ، شعيب ، صالح ، لوط ، إلياس ، إيليسع ، ذو الكفل ، عيسى ، ومحمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

(١٥) آدم عبدالله الألويزي ، تاريخ الدعوة الى الله بين الأسس واليوم ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٩٧٩) ص ٣٦ ، ٣٧ .

وهؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلا بمعنى أنه يتعين التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم . لأنهم ذكروا في القرآن الكريم . أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم جملة . بمعنى أن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز . لأن الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » (١٦) .

وقد جمع الله هؤلاء الرسل في آية كريمة ذكر منهم فيها ثمانية عشر والسبعة الباقون ذكروا في آيات متفرقة من كتاب الله الكريم . أما الآية الكريمة فقوله تعالى « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم .. ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجري المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين .. واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آياتهم وذرياتهم وأخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » (١٧) .

وأما الباقون الذين ورد ذكرهم في آيات متفرقة فهم إدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ومحمد صلى الله عليه وسلم » (١٨) .

ويؤيد ما سبق ما أورده ابن كثير في تفسيره لقوله الله عز وجل « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » . قال ابن كثير « أى من قبل هذه الآية يعنى في السور المكية وغيرها وهذه تسميه الأنبياء الذين قص الله عليك أساءهم في القرآن وهم : آدم وادريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس . واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى

(١٦) سورة النساء (١٦٤) .

(١٧) سورة الأنعام (٧٣ - ٨٧) .

(١٨) محمد علي الصابوني ، النبوة والأنبياء (الاسكندرية : دار الفتح الاسلامي ، ١٣٩٠ هـ) ص ١١ ، ١٢ .

عليه وآله وسلم . وقوله : « ورسلا لم نقصصهم عليك » أى خلفا آخرين لم يذكروا في القرآن » (١٩) .

و يؤيد أيضا ما سبق من أن الأنبياء عددهم أكثر بكثير من الانبياء المرسلين ما ورد في الحديث الذى رواه « أبو ذر قال : قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال « مائه ألفا وأربعة وعشرون ألف » قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال « ثلاثمائة وثلاثة عشر جيم غفير » قلت : يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال « آدم » قلت يا رسول الله نبتى مرسل قال « نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا » ثم قال يا أبا ذر . أربعة سر يانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهود وادريس . وهو أول من خط بالقلم . وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر . وأول نبي من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى . وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك » (٢٠) .

والدليل على أن النبي المرسل هو الذى يوحى الله سبحانه وتعالى إليه و يأمره بالتبليغ قوله تعالى بعد أن ذكر بعضهم وبين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يذكر له بعضهم في الآية السابق الحديث عنها قوله تعالى في وصفهم « ورسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيم » (٢١) .

وقوله تعالى في وصف وظيفه النبي والأنبياء السابقين له « ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا » (٢٢) .

وقوله تعالى آمرانيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والذى وصفه في القرآن في مواضع متعددة بلفظ النبي وفي مواضع متعددة بلفظ الرسول : « يا أيها الرسول

(١٩) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٨٥ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٥٨٥ ، ٥٨٦ .

(٢١) سورة النساء (١٦٥) .

(٢٢) سورة الأحزاب (٣٨ ، ٣٩) .

بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» (٢٣) .

وحيث أن داود وسليمان عليهما السلام قد ورد ذكرهما ضمن الأنبياء المرسلين . وورد أن الله تعالى أعطاهما الحكم والمملك الى جانب النبوه والرسالة . فقد تفردا باجتماع صفات النبوه والرساله والمملك لهما . فهما أنبياء مرسلون ملوك . وقد ثبت أنهم من الانبياء المرسلين في الحديث السابق وثبت لهما الملك والحكم في قوله تعالى « وداود وسليمان إذ يمشيان في الحرث إذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعهم لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون . وسليمان الريح عاصفه تجرى بأمره الى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يفوضون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين» (٢٤) .

وقوله تعالى على لسان سليمان في القرآن الكريم « قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الأصفاد . وهذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وأن له عندنا لزلفى وحسن مآب» (٢٥) .

وهكذا رأينا فارقا بين النبى والرسول . ومن هذا يتضح أن الله عز وجل خلق الخلق وهو علمهم بهم وبأحوالهم . فكان يرسل لهم الأنبياء أو الانبياء المرسلين . أو الأنبياء المرسلين الملوك . كل حال على ما يقتضى من زمان ومكان وجمهور من البشر مستقبل للرساله . ومن هذا يجب أن نستفيد من تعليم الله عز وجل لعباده في

(٢٣) سورة المائدة (٦٧) .

(٢٤) سورة الأنبياء (٧٨ - ٨٢) .

(٢٥) سورة ص (٣٥ - ٤٠) .

ذلك . حيث يُعلم عباده أن كل رساله تصلح لجمهور معين في زمان معين وعلى لسان رجل يحملها له صفات معينه .

وتبين منه أيضا أن ارسال رجل الاعلام أو إعداده انما هو جهد يحتاج الى دقه وفطنه و يرتبط بالرساله ذاتها وبالجمهور وبالزمان وبالمكان وباللغه والوسيله .. حتى يتم التأثير المطلوب .. ولأدل على ذلك من أن بنى اسرائيل كانوا أكثر البشر عصيانا لله عز وجل فأرسل الله تعالى إليهم عددا كبيرا من الأنبياء والمرسلين . حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى يرويه أنس بن مالك « بعثت على أثر ثمانيه آلاف نبي . منهم أربعة آلاف نبي من بنى اسرائيل » (٢٦) .

وفي هذا دلالة على أن الإعلامى إنما يُعد بدقة وبعد دراسة الجمهور المستهدف . والمهدف المطلوب من الرساله . حتى يتم التأثير المطلوب . وفيه دلالة أيضا على أن هذه النظريات الاعلاميه ليست بالنظريات المستحدثه على ألسنه ولبورشرام أو شانون أو ويفر أو غيره من الأمر يكان أو المحدثين .. وانما هى قديمه . أرسى القرآن الكريم دعائمها وبينها ووضحها . لمن أراد أن يتعلمها . فهى ليست وليده عصرنا وليست بالشئ المستحدث .

(٢٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٥٨٦ .

رابعاً : صفات الأنبياء والرسل .

إذا كانت رسالات الله عز وجل على هذا القدر من الأهمية والعظمة التي لاتصل إليها عظمه أية رسالة مهما كانت . فإن الله تعالى قد اختارها من يحملها ويبلغها بطريقه مقبولة .. وطريقه يجب أن نتعلمها حتى تصل رسائلنا الاعلامية الى مستقبلينا بطريقه محبوبة . قال تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٢٧) .

ومن تتبعنا للآيات القرآنية أيضاً نجد أن الله عز وجل قد أعد القائم بالاتصال - المرسل - واختاره اختياراً دقيقاً وزوده بصفات لاتتوافر لغيره من أبناء قومه . كما أنه يختار رسوله من أبناء قومه . وذلك يدلنا على مدى معرفته بالمستقبلين لرسالته وخصائصهم وطبائعهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وما يحبون وما يكرهون . والطريقه المثلى لا بلاغهم وأيضاً الوسيلة المناسبة لهم . ومن ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون » (٢٨) . فالمرسلون إذن من أهل القرى التي أرسلهم ربهم إليها . وهم على علم بأهلها وما يناسبهم من أسلوب ووسيلة صالحة لتبليغ رسالة ربهم سبحانه وتعالى . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن اعبدوا الله » (٢٩) وقوله تعالى : « ولقد أرسلنا إلى نوح أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله » (٣٠) فهؤلاء الرسل بل وكل الرسل من أقوامهم وعلى علم بهم . قال تعالى : « فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » (٣١) فالمرسلون من أقوامهم و يفعلون فعلهم من الناحية

(٢٧) سورة الأنعام (١٢٤) .

(٢٨) سورة يوسف (١٠٩) .

(٢٩) سورة المؤمنون (٢٣) .

(٣٠) سورة النمل (٤٥) .

(٣١) سورة المؤمنون (٣٢) .

البشريه .. أى يسلكون سلوكياتهم من حيث الحاجة الى المأكل والمشرب والنوم وغيرها . وقال تعالى : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا » (٣٢) .

وأرسل الله عز وجل رسله كذلك على علم بالوسيلة الصالحة لكل قوم من الأقوام التى يرسلون إليها .. وذلك لسهولة الإبلان ولتكون العملية الإيصالية كاملة الأطراف . مترابطه الأجزاء . مما يوفر لها الجو الملائم . والمناخ الصالح . وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهذى من يشاء وهو العزيز الحكيم » (٣٣) وهذا يؤدى الى نجاح الرسالة . والى تمام العملية الاتصالية بنجاح . حيث تؤثر التأثير المطلوب .. مما يؤدى الى تحقيق الهدف الأسمى وهو هداية البشريه الى عبادة الله عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٣٤) .

مما سبق يتضح لنا أهمية إعداد المرسل . ومدى توقف نجاح العملية الاتصالية الاعلامية على ذلك . ويتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أعد رسله إعدادا دقيقا ومحكما للقيام بمهمته تبليغ الرسالة الإلهية إلى البشر كل رسول الى قومه بالوسيلة المناسبة والأسلوب المناسب . فهم لا يختلفون في جوهر الرسائل التى يحملونها . وإنما الاختلاف في كيفية واسلوب الإبلان حسب اختلاف الأقوم التى يقومون بإبلانها . فكل الرسل كما ذكرت الآيات سابقا تدعو إلى عبادة الله عز وجل والى هداية البشريه . وكلهم مبشرون ومنذرون .

ومن هنا نعلم أن جوهر الرسالة الاعلامية يمكن أن يصاغ بأكثر من اسلوب . وبأكثر من شكل من أشكال التحرير الاعلامى ليتناسب في كل مره مع الجمهور ومع الوسيلة وبالاسلوب الأمثل لتبليغ الرسالة .. ولتكون أكثر تأثيرا وقبولا . حتى

(٣٢) سورة الفرقان (٢٠) .

(٣٣) سورة إبراهيم (٤) .

(٣٤) سورة الذاريات (٥٦ - ٥٨) .

تحقق هدفها المطلوب . وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد سبق أساتذه الاتصال بصفة عامه وأساتذه الاعلام بصفة خاصة إلى تعليم النظريات الإعلامية السليمة . من عهد نوح إلى عهد هود إلى عهد صالح إلى عهد إبراهيم إلى عهد موسى إلى عهد عيسى إلى عهد محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم . كلهم أرسلهم الله تعالى وأعدهم وعلمهم كيفية الإبلاغ وطريقة الإعلام بالرسالة الإلهية .. بالأسلوب والوسيلة المناسبة لكل أمة من الأمم وكل قوم من الأقوام .

وعلى ذلك فالأنبياء والمرسلون قوم من البشر يختارهم ربهم عز وجل يعدهم اعدادا يتناسب مع حمل الرسالة التي سيكلفهم بها . وقد رأينا مما سبق أن هناك فارقا بين النبي والرسول . حيث النبي يوحى إليه ربه سبحانه وتعالى ولا يأمره بالإبلاغ .. وإنما تكون وسيلته في ذلك هو عمله مما يوحى به إليه ربه من عمل صالح . فهو قدوة وأسوة .. وهو منفذ لشريعته سابقه أوحى الله عز وجل بها إلى رسول قبله فهو يذكر قومه بها عن طريق الممارسة والعمل والقدوة .. أما النبي الرسول فهو من يأمره الله تعالى بالإبلاغ بالقول والعمل والأسوة . وبكل الوسائل المتاحة في زمانه وعصره .

وكان هذا يتطلب صفات خاصة يجب أن يتحلى بها ذلك الذي يختاره الله تعالى لشرف رسالته . وليكون اعلاميا بها . من أهمها العمل الصالح . كما رأينا اعداد النبي محمد صلى الله عليه وسلم منذ طفولته إلى صباه إلى شبابه . إلى رجولته إلى كبر سنه . حيث لم يؤثر عنه كذب ولا خيانة ولا نقض لعهد . ولا ميلا إلى المحرم ولا السفه ولا الابتذال . في عصر لم تكن فيه مثل هذه الأشياء بالعيوب أو بالمستحسن من القول أو الفعل .

كان من أهم صفات الأنبياء والمرسل أيضا الصبر . لذلك يذكر الله عز وجل يذكر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك . بأن هذا من أهم صفات الأنبياء والمرسل من قبله . وقد تحلوا بها . وساروا عليها « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار . بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » (٣٥) .

كما بين الله سبحانه وتعالى أن صفات الأنبياء والرسل ليست كصفات الملائكة . وإنما لهم صفات البشر . وذلك حتى يكونوا حجة على البشر . لأن لهم مثل صفاتهم واحتياجاتهم المادية والبشرية . وقد وضع الله عز وجل ذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما احتج عليه قومه بأنه من البشر مثلهم له مثل صفاتهم . فبين الله تعالى أن هذه صفات الأنبياء والرسل جميعا وليست صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقط . « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب » (٣٦) .

وهذا يتضح أن صفات الرسل والأنبياء لا تختلف عن صفات البشر من حيث كونهم آدميين لهم نفس إحتياجات ومتطلبات البشر من حيث الأزواج والذرية ، غير أنهم يختلفون عن البشر العاديين من حيث كونهم لا يأتون بشيء من عندياتهم . وإنما من عند الله عز وجل « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله » فما كانوا يبلغون به أقوامهم من رسالات إنما هو من عند الله عز وجل .

وبذلك نرى أن صفات الأنبياء والرسل تنقسم الى قسمين أوجانبين . جانب يتفوقون فيه مع البشر الذين نشأوا بينهم من حيث التكوين والبنية والهيئة والاحتياجات الجسمانية والشهوات وغيرها وذلك ليكونوا حجة على غيرهم . وليكونوا على علم ومعروفه كامله بالجمهور الذي أرسلهم الله عز وجل إليه وبحاجاته النفسية والمادية وما يميلون إليه وما يندونه ونحو ذلك ليستعينوا بذلك على ابلاغ رسالاتهم .. وليؤدوا مهمتهم الإعلامية الربانية على خير وجه .

والجانب الآخر من صفات الأنبياء والرسل هو الإعداد الروحي الذي زودهم الله عز وجل به من الصفاء النفسى والروحى والصدق والصبر والأمانة .. والبعد عن سفاسف الأمور ونحوها . مما يجعلهم القدره على أداء المهمة الاعلامية الربانية التى هم مكلفون بها على خير وجه .

وهذا يفيد القائمين على أمور الإعلام فى العصر الحديث فى كيفية تخير رجال الإعلام وكيفية إعدادهم . فالرسالات السماوية إنما هى لتعليم البشر فى كل زمان وكل مكان . وفى كل مجالات الحياه .. كل ما يسعدهم فى دنياهم وآخرهم .

(٣٦) سورة الزعد (٣٨) .

خامسا : العلاقة الاعلامية بين نبأ . ورسول ورسالة :

تستخدم المصطلحات الاعلامية كلمات نبأ بمعنى الخبر . وكلمه رسالة للدلالة على المضمون الاعلامى الذى تقوم وسيلة الاعلام بنقله . سواء كان هذا المضمون مطبوعا أم مسموعا أم مرئيا . . او بأى شكل من أشكال الاتصال الاعلامى . كما تستخدم كلمه المرسل للدلالة على القائم بالاتصال الاعلامى . ويعتبر المرسل والرساله — أهم عنصرتين من عناصر عمليه الاتصال الاعلامى . حيث هى المرسل والرساله والمستقبل والوسيله ورد الفعل .

ولوتأملنا هذه العناصر الخمسة للعمليات الاعلامية لوجدنا أن أربعة عناصر منها تحتوى على معنى كلمه الرسالة والمرسل . . والعنصر الخامس وهو الوسيله إنما هو لخدمه الرسالة أيضا حيث يقوم بنقلها فى الاتجاهين سواء من المرسل الى المستقبل أو العكس من المستقبل الى المرسل فى صوره رد الفعل الذى يكمل الدائره الاتصاليه . وبذلك تأخذ الوسيله أشكالا متعددة ومتنوعه . هى فى النهايه تخدم هذا الاتصال الاعلامى . حيث تحمل الرسالة فى أى اتجاه من الاتجاهين .

أما بقيه العناصر الأربعة الأخرى وهى المرسل والرساله والمستقبل ورجع الصدى أورد الفعل إنما هى تحوى كلمه الرسالة وتتضمنها . فالمرسل هو القائم بارسال الرسالة . والمستقبل إذا ما فهم الرسالة وتأثر بها فإنه يندفع الى الاستجابه فى صوره رد الفعل وهو بذلك يتحول الى مرسل أى قائم بارسال رساله الى المرسل الأول . الذى يصبح مستقبلا وتأخذ رساله المرسل — رد الفعل — صوره الرسالة . . لكن فى الاتجاه المضاد للاتجاه الأول . وبذلك يكون رد الفعل ذاته رساله معبره عن وجهه نظر المستقبل فى الرسالة الأولى . وموضحه مدى تأثره وانفعاله بها . مما يؤدى بالمرسل الأساسى الى تعديل رسائله فى المرات القادمة على ضوء — رساله — رد الفعل التى تلقاها من المستقبل والوسيله بأنواعها وأشكالها المختلفه والمتنوعه —

والتي تنوعت وتعددت بفضل التقدم العلمى . و بفضل مخترعات العصر من مطابع الى موجات صوتيه متنوعه تنقل الصوت والصورة الى أقمار صناعيه . حطمت بذلك حواجز الزمان والمكان . وحولت العالم الى قرية صغيره . يرى من فى أقصاه و يسمع ما يحدث و يدور فى أقصاه من الجانب الآخر وفى ذات الوقت بنفس الوضوح فى حاله إذا ما أريد ذلك من جانب القائمين على الاتصال .

أدى كل ذلك إلى استمرار العمليه الاعلاميه .. ودوران عجلتها على الدوام بكل أشكال الاتصال المختلفه بدءاً بالاتصال الذاتى ومروراً بالاتصال الشخصى والجمعى وانتهاءً بالاتصال الجماهيرى . حيث يستخدم الاعلام فى العصر الحاضر كل أشكال الاتصال المختلفه والمتنوعه ..

نخلص من كل ذلك إلى أن الاعلام فى العصر الحاضر يقوم أويبنى نماذجه على استخدام مصطلحات أو كلمات المرسل والرسالة فى معظمه . كما رأينا . بكل أشكاله المختلفه . حتى فى اشكال الاتصال الذاتى . يرى اساتذه الاعلام أن هناك الارسال والاستقبال داخل مغ الانسان . وذلك حينما يقوم بعملية التفكير ذاتها . فإنهم يجعلون عملية تلقيه للمعلومات عن طريق الادراك وعن طريق المنبهات التى يتعرض لها سواء كانت منبهات داخلية أو خارجية إنما هى عبارة عن عملية استقبال للمعلومات يتم من خلالها « استقبال هذه المنبهات فى شكل نبضات عصبية تنتقل الى العقل . ثم يختار العقل بعض هذه المنبهات و يفكر فيها . ولكن اتخاذ القرار عما سيتم اختياره يتطلب حدوث عملية تمييز . يلها عملية إعادة تجميع للمنبهات التى تم اختيارها فى مرحلة التمييز ثم يتم ترتيب المنبهات فى شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالاتصال . وبعد تجميعها بهذا الشكل . يتم فك كود رموز المنبهات التى تم تمييزها . و يقوم القائم بالاتصال بتحويلها الى رموز فكرية . هذه المرحله ضروريه لكى يصبح للمنبهات معنى . بعد اختيار هذه المنبه ينتقل الفرد الى مرحلة التفكير والتخطيط وترتيب الأفكار . فى هذه المرحله يتم إعادة ربط الدلالات التى تصل إليه بالمعرفه والخبره السابقه .. ثم يتم تجميع وتقييم المعلومات التى لها علاقه أوصله بالمسأله التى تهمة . و يقوم باعداد رسالة لارسالها أو نقلها تلى هذه المرحله مرحلة التأهب للظهور التى تتاح فيها الفرصه للأفكار . حتى تنمو

وتتطور لتأخذ أشكالاً واتجاهات يمكن أن تتحقق منها الفائدة ، وذلك حسب نموذج بر كرو و يزمان للاتصال الذاتي» (٣٧).

إذا كانت هذه هي أهمية الرسالة والمرسل في عملية الاتصال الذاتي فإن لها دوراً أكبر في عمليات الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري بلا شك . حيث يتضح دورها في الإرسال المباشر . وبالرسالة المحسوسة التي تستخدم وسائل الإعلام المتنوعة والمختلفة والتي لا يستغنى عنها إنسان في الوقت الحاضر . نظراً لما أصبحت تشكله في حياة مواطن العصر الحديث من أهمية .

أما كلمته النبأ فتستخدم في الإعلام في العصر الحديث بمعنى الخبر . والإنباء بمعنى الإخبار . ولا تخفى أهمية الخبر في وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة . حيث نرى ونلمس أن كل أشكال التحريك الإعلامي هي في الأصل خبر . وحيث أصبح الخبر هو العمود الفقري للإعلام الحديث .

وقد ذكر أساتذته الصحافة المعاصرين أن الصحف تعتمد على الخبر اعتماداً رئيسياً . ومنه تستمد الأشكال التحريرية الأخرى مادتها . فيرى الأستاذ أديب مروه أن الخبر هو « المادة التي تقوم عليها الصحافة بجميع ألوانها المعروفة . ولولا الخبر لما عرفت المواد الصحفية الأخرى » (٣٨) . و يرى الأستاذ وليم الميري أن « الخبر هو عصب الصحافة الحديث . وأن الصحف تتألف من شيتين ورق وجبر وأخبار » (٣٩) .

و يقول الأستاذ جلال الدين الحمامصي « إذا كنا قد عرفنا أن كل شيء يكتب في أية صحيفة إنما يعتمد على بذره واحد . فلا جدال إذن في أن القسم الذي تخرج منه هذه البذور جميعاً يعتبر في الواقع وحقيقة الأمر أهم الأقسام جميعاً . ونعني بذلك قسم الأخبار . ذلك لأنك لن تجد حرقاً مكتوباً في الصحيفة إلا ومصدره هذه البذرة . فالمقال الافتتاحي مصدره الخبر . والتحقيق الصحفي الذي

(٣٧) جيان رشتي ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٣٨) أديب مروه ، الصحافة العربية : نشأتها وتطورها (بيروت : مجهول الناشر ، ١٩٦١) ص ٣٤ .

(٣٩) وليم الميري ، الأخبار بمصادرها ونشرها (القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٩٦٨) ص ١٣ .

يشغل الفراغ الكبير في الجريدة مصدره ومادته الخبر. وموضع اليوم يستند الى الخبر. والصورة خبر. والعنوان مستمد من الخبر. بل أن الإعلان نفسه هو عند الكثيرين من القراء إن لم يكن كلهم خبر هام، ينه إلى سلعة أو حدث تجارى في سوق البيع والشراء. وكم من قراء يبدأون أول ما يبدأون بقراءة أخبار الإعلانات الصغيرة عن المزايا. والوظائف الخالية وغير ذلك هذا بالإضافة إلى الأنباء الخارجية التى تتدفق على الصحف عن طريق المراسلين ووكالات الأنباء العالمية والمحلية» (٤٠).

وبذلك نجد أن كلمه نبأ بمعنى الخبر لها وزنها وأهميتها في عالم الإعلام اليوم حيث تعنى معظم المضامين التى تبثها وسائل الاعلام الجماهيرية والتي تحملها على هيئة رسائل إعلامية من وإلى كل مكان في العالم.

وقد سبق القرآن الكريم وسنه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاهتمام بهذه الألفاظ الدالة على هذه المعاني في حد ذاتها. سبق هذين المصدرين أساتذة العصر الحديث، مما يدل على أن الأسس الاعلامية ليست وليده هذا العصر. ولأن ابتكار هؤلاء الأساتذة وإنما سبقهم الاسلام إليها. وسبقهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بها. وفي فمارستها.

ولأدل على ذلك من أن الله عز وجل قد سعى من حملوا أمانة الكلمة والبلاغ من البشر بالانبياء والرسول. فلفظ نبى مشتق من النبأ. ولفظ رسول مشتق من الرسالة وله صلة بالمرسل. وسوف نستعرض التعريفات اللغوية العربية لهذه الكلمات - نبى ونبأ ورسالة ورسول للوقوف على مدى صلتها بالمعنى الاعلامى السابق الحديث عنه. ومعنى اتفاقها مع هذا المعنى أن الاسلام هودين الاعلام. وأن النبى صلى الله عليه وسلم هو رجل اعلام قد سبق كل رجال الاعلام في العصور اللاحقة، ذلك أن التاريخ يشهد بذلك. لأن القرآن وعصر النبى صلى الله عليه وسلم أقدم تاريخيا من نظريات الاعلام ومؤلفاته الحديثه. وأقدم من هذه التقنيات التى وضعت في هذه العصور الأخيرة. وهذا يدل على أن الاسلام أسبق من هؤلاء وأن هذه النظريات يجب أن تؤصل وترد إلى أصولها الصحيحه.

(٤٠) جلال الدين الخيامى، من الخبر إلى الموضع الصحفى (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥) ص ٣٩، ٤٠.

وقد تحدثنا من قبل عن الأهمية الإعلامية للأنبياء والرسل بالنسبة للبشر وتحدثنا أيضاً عن الفارق بين الأنبياء والرسل . ثم عن صفات الأنبياء والرسل وسوف نتحدث هنا عن المعنى اللغوي لكلمة نبي ورسول . ثم نعرض للعلاقة الإعلامية بينها وبين كلمه نبأ بمعنى خبر وكلمه رساله . ولنتضح لنا علاقته تسمية من بعثهم الله عز وجل لهديه خلقه بالدور الإعلامي الذي قاموا به . ولنتقف على أن مهمتهم في الاصل إنما هي مهمه إعلاميه ، وبالتالي يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم رجل اعلام قدير ومتفرد على البشر جميعا . حيث أن الرسل هم سادة البشر . وحيث أن مهمتهم اعلاميه . ولأن الله تعالى قد فضل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل . فهو بذلك رجل اعلام متميز على سائر البشر من انبياء ورسول و بشر عاديون . وعلى ذلك فنه نتعلم ومن صفاته يستمد رجال الاعلام في كل زمان ومكان صفاتهم قدر استطاعتهم .

المعنى اللغوي لكلمات نبي ونبأ ورسول :

١- كلمة « نبي »

يقول الزنجاني صاحب تهذيب الصحاح : نبا الشيء عنى ينبو تحافى وتباعده . والنبوة والنبأوة ما ارتفع من الأرض . ومنه الحديث « لا تصلو على النبي » أى على الأرض المرتفعه المحدوبة . (٤١) .

و يقول أبوبكر الرازى صاحب مختار الصحاح : نبا الشيء عنه أى تحافى وتباعده . وأنباه : دفعه عن نفسه . وفى المثل الصدق ينبى عنك لا الوعيد معناه أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحروب دون التهديد .

وقيل أصله الممزم . من الإنباء . ومعناه أن الفعل يخبر عن حقيقتك لا القول والنبوة . والنبأوة : ما ارتفع من الأرض .

فإن جعلت النبي مأخوذاً منه . أى شرف على سائر الخلق . فأصله غير الممزم . وهو فعيل بمعنى مفعول (٤٢) .

(٤١) محمود بن أحمد الزنجاني ، تهذيب الصحاح ، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطا ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٢) ص ١٠٧٢ .

(٤٢) محمد بن أبي بكر الرازى ، مختار الصحاح (بيروت : دار التنوير العربى ، مجهول السنة) ص ٦٤٤ .

ويقول ابن منظور في لسان العرب : نبا فلان عن فلان : لم ينقل له . وفي حديث طلحة قال لعمر : أنت ولي ماؤليت . لا ننبؤ في يدك . أى ننقاد لك . ولا نمتنع عما تريد منا .

ونبأ جنسبى عن الفرائس لم يطمئن عليه . وأنبئته أى دفعته عن نفس و يقال أصله الهمز (نبأ) من الإنباء أى الإخبار .

والنبوة والنباوة والنبى : ما أرتفع من الأرض .

وفي الحديث : فأتى بثلاثه قرصه فوضعت على نبي أى على شىء مرتفع من الأرض . من النباوه والنبوة . الشرف المرتفع من الأرض . ومنه الحديث « لا تصلوا على النبي » أى على الأرض المرتفعة المحدوة .

والنبي العلم من أعلام الأرض التى يهتدى بها . قال بعضهم ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله . وذلك لأنه يهتدى به .

النبي هو الذى أنبأ عن الله ، فترك همزه . قال وإن أخذت النبي من النبوه والنباوه . وهى الارتفاع من الأرض . لارتفاع قدره . ولأنه شرف على سائر الخلق . فأصله غير الهمز . وهو فاعيل بمعنى مفعول . وهو فاعيل بمعنى مفعول . وتصغيره نُبى ، الجمع أنبياء .

وقال الكسائى : النسي الطريق . والأنبياء . طرق الهدى قال أبو معاذ النحوى : سمعت أعرابيا يقول من يدلنى على النبي أى على الطريق (٤٣) .

والملاحظ من استعراض هذه التعريفات لكلمة نبا ونبي . أنه من الارتفاع أو البعد . كما أشار بعض أهل اللغة إلى المعنى الاعلامى للكلمة إذا كان أصلها الهمز فهى من الإنباء بمعنى الأخبار . كما أشار بعضهم أو معظم من استعرضنا تعريفاتهم إلى أن كلمة نبي مأخوذة من العلو والشرف والارتفاع . وقد يضع هذا أيدينا على العلاقة الاعلامية بين كلمة النبأ وكلمة النبي . بصفه مبدئية . حيث ذكر أن نبا أى بُشِّرَ وفي هذا علاقة بين هذه الكلمة في حد ذاتها وما صار إليه أمر

(٤٣) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون (القاهرة : دار المعارف ، مجهول السنة) ص ٤٣١٥ ، ٤٣١٦ .

النبأ بمعنى الخبر في عصر تقدم وسائل الاتصال . حيث الموجات القصيرة والأقمار الصناعية وما أدت إليه من إلغاء حواجز الزمان والمكان فصار الخبر أو النبأ يصل من وإلى كل مكان في العالم في ذات الوقت . ورأى صاحب مختار الصحاح أنه إذا كان أصله المهمز (نبأ) فهو الخبر بمعناه الفعلي أكثر من القولي . حيث يقول « وقيل أصله المهمز من الإنباء معناه أن الفعل بخبر عن حقيقتك لا القول » (٤٤) .

سوف نجد في المعنى اللغوي لكلمة نبأ ذاتها دلالة أكثر وأقوى رابطه من هذا .

ب - كلمة « نبأ »

يقول أبو بكر الرازي :

النبأ : الخبر . يقال نبأ . ونبأ . وأنبأ . أى أخبر .

ومنه : النبى لأنه أنبأ عن الله . وهو فاعيل بمعنى فاعل . تركوا همزه . كالذر به والبريه والخاويه . إلا أهل مكة فإنهم يهزمون الأربعة (٤٥) .

و يقول الزنجباني : النبأ : الصوت . والنبأ : الخبر (٤٦) .

و يقول ابن منظور :

النبأ : الخبر . والجمع أنباء . وإن لفلان نبأ أى خبراً . وقوله عز وجل « عم يساءلون .. عن النبأ العظيم » قيل عن القرآن . وقيل عن البعث . وقيل عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أنبأ إياه وبه . وكذلك نبأه ، متعد به بحرف وغير حرف أى أخبر .

واستنبأ النبأ : بحث عنه . ونابأت الرجل ، ونابأتى : أنبأته وأنبأتى . وقيل ناباتهم . أى تركت جوارهم وتباعدت عنهم . وقوله عز وجل « فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون » .

(٤٤) فخر الرازي ، مرجع سابق ، ص ٦٤٤ .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٦٤٢ .

(٤٦) محمود بن أحمد الزنجباني ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

النسبى . المخبر عن الله عز وجل . مكية لأنه أنبأ عنه . . وهو فعيل بمعنى فاعل
قال ابن تبرى : صوابه أن يقول : فعيل بمعنى مفعول . مثل نذير بمعنى منذر وأليم
بمعنى مؤلم .

وفى النهاية : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة . من البنا الخبر . لأنه أنبأ عن الله . أى
أخبر . قال : ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه . يقال : نبأ . ونبأ . وأنبأ .

قال سيبويه : ليس من العرب إلا و يقول تنبأ مسيلمه بالهمز . غير أنهم تركوا
الهمز فى النسبى . قال والهمز فى النسبى لغنه رديشه . يعنى لقله استعمالها . لا لأن
القياس يمنع من ذلك . ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
قيل : يانبنى الله . فقال له : لاتبر باسمى . فإنما أنا نبي الله . . وفى روايه :
لست بنبيى الله . ولكنى نبي الله .
والجمع أنبياء وأنبياء .

قال الجوهري : يجمع أنبياء . لأن الهمز لما أبدل وألزم الإبدال جُمع جُمع
ما أصل لاه حرف العله . كعيد وأعياد . على ما ذكره فى المعتل .

قال الفراء : النسبى هو من أنبأ عن الله . فترك همزه . . قال : وإن أخذ من
النسبة والنباه . وهى الارتفاع عن الأرض . أى أنه أشرف على سائر الخلق .
فاصله غير الهمز .

وقال الزجاج : القراءة المجمع عليها فى النبئين والأنبياء . طرح الهمزه . وقد
همز جماعة من أهل المدينة جميع ما فى القرآن من هذا . واشتقاقه من نبأ وأنبياء .
أى أخبر . قال والأجود ترك الهمز .

ومن غير المهموز : حديث البراء بن عازب قلت « ورسولك الذى أرسلت » فرد
على وقال : « وتنبئك الذى أرسلت » قال ابن الأثير : إنما رد عليه ليختلف
اللفظان . ويجمع له الشناء بين معنى النبوه والرسالة . ويكون تعديد للنعمه فى
الحالين . وتعظيما للمنه على الوجهين . والرسول أخص من النبى . لأن كل رسول
نبى وليس كل نبى رسولا .

و يقال تنبى الكذاب إذا ادعى النبوه . وتنبى كما تنبى مسيلمه الكذاب
 وغيره من الدجالين المتنبين .
 وتنبأ الرجل إدعى النبوه .
 ورعى فأنبأ : أى لم يشرم ولم يخذش .
 ونبأت على القوم نبأ إذا طلعت عليهم . و يقال نبأت من الأرض إلى أرض
 أخرى . إذا خرجت منها إليها . ونبأ من بلد كذا نبأ نبأ ونبوا . طراً .
 ونبأ نبأ ونبواً : ارتفع .
 والنبيء : الطريق الواضح .
 والنبأه : صوت الكلاب وقيل هى الحرب أيا كان .
 وقيل النبأه : الصوت الخفى (٤٧) .

و يتضح لنا من جملة هذه التعاريف اللغوية الواردة فى المعاجم العربية لكلمه
 نبأ . أنها تستخدم بمعنى الخبر . وقد وردت فى القرآن الكريم بهذا المعنى . حيث
 وردت الآية « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ » (٤٨) .
 وقد وردت هذه الكلمه أيضاً بصورة أوضح فى القرآن العظيم . حينما كثر
 تساءل أهل مكه عن البعث بعد الموت . وعن الحشر . وعن لقاء الله عز وجل .
 وعرضت الآيات لذلك فى سورة يونس . ورد قول الله عز وجل « وَيَسْتَنبِشُونَكَ
 أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّى إِنَّهُ لَخَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » (٤٩) . وقد أورد ابن منظور
 معنى كلمه استنبأ ضمن التعاريف التى ذكرناها للكلمه . استنبأ النبأ : بحث
 عنه . وهذا يدل على مدى ورود كلمه النبأ فى القرآن الكريم بمعنى الخبر .
 كما أوضحت جملة التعاريف التى ذكرناها أيضاً لكلمه نبأ العلاقة بين
 الكلمه بمعنى الخبر وهو المدلول الاعلامى لها . وبينها وبين كلمه نبى من حيث

(٤٧) ابن منظور ، مرجع ، ص ٤٣١٥ ، ٤٣١٦ .

(٤٨) سورة النبأ (١ ، ٢) .

(٤٩) سورة يونس (٥٣) .

كونه المخبر عن الله عز وجل . ومن حيث كونه أشرف الخلق . لعلو مكانته . حيث اشتق ذلك من نبأ — بغير همز — وهو الارتفاع عن الأرض . أى أنه أشرف على سائر الخلق . وفي هذا ربط لكلمة النبي بالنبأ وبأنه المخبر عن الله عز وجل وحامل خبر السماء من ناحيته . وبين كونه أشرف الناس وأعلام مكانه من ناحية أخرى . وهذا ما ذكرناه من قبل أن الله عز وجل يختار لرسالته أشرف الناس جميعاً .. والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل وأشرف خلق الله بما فهم الأنبياء والرسل . حيث اختاره الله عز وجل للاعلام برسالة السماء الأخيرة إلى البشر على طول الامتداد الزماني والمكاني حتى تقوم الساعة . وحيث لا نبى بعده .

بذلك نجد أن تسميه النبي هي في حد ذاتها تسمية إعلامية . أو أن كلمة النبأ للدلالة على الخبر هي بالأحرى قد أخذت من كلمة نبى . أو نبىء فهي من الإخبار . إذا كانت مهموزه . وهي من الشرف والعلو إذا كانت غير مهموزه . وهي من البعد أيضاً . حيث ورد أيضاً نبا الشيء عنى ينبوئ تباعد . وهذه الخصائص الثلاثة التي وردت لمعنى الكلمة في المعاجم العربية الأصيلة وهي الإخبار والارتفاع والشرف والبعد من خصائص الاعلام الاسلامى . حيث يجب أن يكون الاعلام الاسلامى قائماً بالإخبار والإنباء ، بالحق والصدق وهو من صفات الشرف والارتفاع . وأيضاً من وإلى كل من مكان في العالم بأسره . حيث يجب ألا يتوقف عند حدود الزمان ولا حدود المكان . فهو للبشرية جميعاً . وقد وردت كلمة نبأ في القرآن الكريم مرات متعددة . وخاطب الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم بوصفه النبوة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومتعددة .

« عنى القرآن الكريم بكلمه « نبأ » حيث أفرد لها سورة باسمها هي سورة النبأ و يظلمها « عم يتساءلون . عن النبأ العظيم » (٥٠) وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في ثمانين آيه من آيات القرآن العظيم . كلها تفيد الإنباء بمعنى الأخبار . أو الاستنباء بمعنى الاستخبار أو السؤال عن الخبر أو نحو ذلك . وقد تنوع

(٥٠) سورة النبأ (١) .

ورود هذه الكلمه على لسان النبی صلی الله علیه وسلم كقوله تعالى «تَبَآنِي الْعِلْمُ الْخَبِيرُ» أو على لسان إحدى زوجاته «من أنبأك هذا» (٥١) .

كما وردت هذه الكلمه أيضا ومشتقاتها في صيغه الأمر من الله إلى نبيه بالإنشاء والاعلام عنه عز وجل وبرسالته «نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم» (٥٢) وقوله تعالى «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين» (٥٣) وقول تعالى «واتل عليهم نبأ إبراهيم» (٥٤) وقوله تعالى «واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق» (٥٥) وقوله تعالى «قل هو نبأ عظيم أنتم معرضون» (٥٦) .

وقد وردت هذه الكلمه أيضا في حديث الله عز وجل الى نبيه معقبا في معظم الآيات على الأخبار السابقة مثل قوله «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك» (٥٧) وقوله تعالى «ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد» (٥٨) وقوله تعالى «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك» (٥٩) .

وقد استخدمت الآيات القرآنيه كلمه نبأ أيضا في كثير من المواضع للإخبار عن يوم القيامة . واستخدمت أيضا لتحسين الأحوال الاجتماعيه الخاصه بمجياه المسلمين مثل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» (٦٠) ولا أدل على أهميه الكلمه من أن كلمه نبى تقرأ في بعض القراءات

(٥١) التجرع (٣) .

(٥٢) الحير (٤٩) .

(٥٣) الأعراف (١٧٥) .

(٥٤) الشعراء (٦٩) .

(٥٥) المائدة (٢٧) .

(٥٦) ص (٦٧) .

(٥٧) هود (٤٩) .

(٥٨) هود (١٠٠) .

(٥٩) هود (١٢٠) .

(٦٠) الحيرات (٦) .

المعتمدة التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم «نبي» و «النبي»
المخير»^(٦١) .

ج - كلمة «رسول»

يقول أبو بكر الرازي في معنى هذه الكلمة :

راسله مراسلة . فهو مراسل ورسيل . وأرسله في رسالة فهو مرسل ورسول .
والجمع : رُسُلٌ . ورُسُلٌ . والمرسلات الرياح وقيل الملائكة . والرسول أيضا
الرساله .

وقوله تعالى «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ولم يقل رسولا رب العالمين . لأن
فعول وفعيلا يستوي فيها المذكر والمؤنث . والجمع والواحد مثل عدو . وصديق .
ورسيل الرجل الذي يرأسه في نضال وغيره^(٦٢) .

و يقول الرخاوي في تهذيب الصحاح :

والرسول أيضا الرساله . قال الشاعر:

ألا أبلغ أبسا عمرو رسولا بأنى عن فتاحتكم غنى^(٦٣) .

و يقول ابن منظور في لسان العرب في معنى هذه الكلمة : الارسال : التوجيه .
وقد أرسل إليه . والاسم الرساله . والرساله والرسل . . والأخيرة عن ثعلب .
والرسول بمعنى الرساله . يؤنث ويذكر . فن أنت جمعه أرسلًا . وتراسل
القوم : أرسل بعضهم الى بعض . والرسول : الرسالة والمرسل .

(٦١) عبد الوهاب كحيل ، الاعلام الأسلامى في مجتمع الرسول في الدنيا (كلية الآداب بسوهاج ، ١٩٨٣ : ط رساله
دكتوراه غير منشوره) ص ١٠٧ - ١٠٩ .

(٦٢) أبو بكر الرازي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .

(٦٣) محمود بن أحمد الرخاوي ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤ .

أَلَيْكُنِي إِلَهًا وَخَيْرُ الرُّسُولِ أَعْلَمُهُمْ بِشَوَاحِي الْخَيْرِ.

أراد بالرسول الرسل . فوضع الواحد موضع الجمع .
قال أبو بكر الأنباري في قول المؤذن « أشهد أن محمدا رسول الله » أعلم وأبين
أن محمدا متابع للإخبار عن الله عز وجل .

والرسول : معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه . أخذنا من قولهم :
جاءت الإبل رَسَلًا . أى متتابعة .

وقال أبو إسحق السجوي في قوله سبحانه وتعالى « فقولوا إنا رسول رب
العالمين » معناه : إنا رسالة رب العالمين . أى ذوا رسالة رب العالمين .

وسمى الرسول رسولا : لأنه ذو رسول . أى ذو رسالة .

والرسول : اسم من أرسلت . وكذلك الرسالة .

والرسيل : الموافق لك في النضال ونحوه .

والرسيل : السهل .

وأرسل الشيء : أطلقه وأهمله . وقوله عز وجل « أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى
الْكَافِرِينَ تَفْزِزُهُمْ أَرْسًا . »

قال الزجاج في قوله تعالى في هذه الآية « أرسلنا » لها وجهان : الوجه الأول :
خَلَّيْنَا الشَّيَاطِينَ وَإِيَاهُمْ فَلَمْ تَعَصِمْهُمْ مِنَ الْقَبُولِ مِنْهُمْ . قال والوجه الثاني : وهو
المختار - أنهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم . كما قال تعالى « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » . ومعنى الإرسال هنا التسليط .

قال أبو العباس : الفرق بين إرسال الله عز وجل أنبياءه . وإرساله الشياطين
على أعدائه ، في قوله تعالى « إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين » إن إرساله

الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادي . وإرساله الشياطين على الكافرين تخليته وإياهم . كما تقول : كان لي طائر فأرسل أي خليته وأطلقته (٦٤) .

ونلاحظ هنا الارتباط بين المعنى الاعلامي للكلمة — رساله — وبين كلمة رسول بمعنى النبي أو المخبر عن الله عز وجل .. كما نلاحظ استخدام اللفظين لمعنى واحد . وهو الرسول بمعنى الرسالة . كما أن الرسول سمي رسولا لكونه يحمل رسالة .

وإذا كان الاعلام يعتمد في نماذجه على الفاظ المرسل والرساله . والمستقبل وأن المستقبل ذاته يصبح مرسل في حالة قيامه برد الفعل . وإن رد الفعل هو في حد ذاته رساله مرتده من المستقبل الى المرسل ، يقوم المرسل على ضوءها بتعديل وتوجيه رسالته في المرحه القادمه كما ذكرنا ذلك من قبل فقد ورد هذا المعنى الاعلامي متضمنا في التفسيرات اللغويه للكلمه وهو ورود الارسال عند ابن منظور بمعنى التوجيه كما ذكرنا ، وورود لفظ الرسول بالمعنى المقصود في الاعلام في ذاته وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه .

وهذا يدل على أن هناك رابطه قويه بين تسميه الرسول واللفظ أو الألفاظ المستخدمه كمصطلحات اعلاميه في العصر الحاضر وهي المرسل والرساله . وهذا يدل على اقتباس هذه الألفاظ من هذا المعنى . ولأدلى على ذلك من كيفيه استخدام الكلمه في ذاتها . حيث نرى القائم بالاعلام الذي هو المرسل . تنتوع رسالته حسب الهدف المقصود منها . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان ذلك . حيث بين أن الله عز وجل أرسل الرسل ، وأرسل الشياطين . غير أن هناك فارقان بين هذا الارسال وذلك . فإرسال الرسل الهدف منه الهداية والاصلاح عن طريق الوحي إليهم وتوجيههم . إرسال الشياطين المقصود منه تخليتهم على الكافرين لإغوائهم . كما ذكر ابن منظور في معجمه .

وهذا يدل على أن المعنى اللغوي والمعنى الاعلامي للكلمه متوافق . وعلى أن القرآن الكريم قد سبق أساتذه الاعلام في العصر الحديث الى استخدام هذه المصطلحات وتحديد أهدافها بدقه لبيان ماهيتها وافادتها للبشر في جميع مجالات

(٦٤) ابن منظور، مرجع سابق، ص ١٦٤٤ — ١٦٤٦ .

حياتهم وآخرتهم . وهذا ما يفرق بين كون الاعلام إسلاميا من غيره . أنه يفيد البشر في تنظيم حياتهم الدنيوية ، الأخرى أما غيره فيهتم ببعض المصالح والأهداف التي قد تتعلق بالمرسل في حد ذاته . أو الهيئه التي يمثلها سواء كانت حكومه أو حزبا أو هيئه أو شخصيه .

ولا تتعدى الافاده الدنيويه في أحسن حالاتها وأسمى أهدافها .

وبذلك نجد أن هناك علاقة اعلاميه بين تسميه الأنبياء والمرسل وبين الألفاظ أو المصطلحات الاعلاميه — النبا والمرسل والرساله . ولا مجال للشك في أن الاعلاميين في العصر الحديث قد اقتبسوا مصطلحاتهم هذه من القرآن الكريم ومن الكتب السماويه حيث هي الأسبق تاريخيا . وحيث هي الأكثر أصالة وعمقا . والأكثر ثقه . لأنها من عند الله عز وجل .

كما يدلنا هذا على أن الأنبياء والمرسلين هم رجال الاعلام الأوائل . وهم بهذا رجال اعلام بخير رساله . وهم بذلك ساده البشر . حيث اصطفاهم ربهم سبحانه وتعالى واختارهم كما ذكرنا من قبل .

وحيث أن الله تعالى قد فضل بعض رسله على بعضهم كما ذكر القرآن الكريم «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات» (٦٥) وقد فضل الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر البشر . وعلى سائر الرسل . فهو بذلك أفضل خلق الله . على الإطلاق . وأفضل من صدق للإعلام برساله الله عز وجل ، فهو الأسوة والقذوة . وهو رجل الإعلام المتميز منذ طفولته الى صباه الى شبابه الى رجولته الى سائر حياته . كما رأينا من قبل . وبذلك فيجب أن يجعل الاعلاميون رسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم واسوتهم ونموذجهم الأوحى والأمثل . منه يستمدون نظر ياتهم واسمهم الاعلاميه . و يتزودوا بقدر الاستطاعه من صفاته وسلوكياته .

وسوف نتعرض في الفصول القادمه لكيفيه الممارسه الاعلاميه للنبي صلى الله عليه وسلم أو لبعض نماذج منها في مكه كنماذج عمليه لممارسه الاعلام النبوي ، لتكون نبراسا لرجال الاعلام ودارسيه في كل زمان وكل مكان .

(٦٥) سوره البقره (٢٥٣) .

الرَّسُولُ رَجُلٌ عَلَامٌ مُرَوِّدٌ

- أولاً : نشر الإسلام جهداً إعلامياً .
- ثانياً : الرسول يمارس الإعلام سرّاً في مكة .
- ثالثاً : الرسول يمارس الإعلام جهراً في مكة .

أولاً : نشر الإسلام جهداً إعلامياً .

قبل أن نبدأ استعراض جهد النبي صلى الله عليه وسلم الاعلامى لنشر الاسلام في المرحلة السرية أولاً . ثم في المرحلة الجهرية بعد ذلك . نوضح أن جهد النبي صلى الله عليه وسلم والذي يطلق عليه المتخصصون في العلوم الاسلامية بالدعوة الاسلامية . هذا الجهد أو هذه التسمية . لا تختلف كثيراً عن اطلاق لفظ أو تسمية الإعلام عليه . فالدعوة والإعلام ، لا يختلفان كثيراً من حيث المفهوم .

فإذا أخذنا برأى علماء اللغة وكما سنوضح في الفصل القادم أن شاء الله . أن الدعوة والدعاية من مصدر واحد . . وأنها كلمتان مترادفتان . أو أن الدعوة والدعاية وجهان لعمله واحد كما يرى بعض الإعلاميين . فإننا بناء على ذلك يمكننا اعتبار مصطلح الإعلام أعم من مصطلح الدعوة . لأن مصطلح (الدعاية) إعلامياً . جزء من الاعلام ..

وإذا أخذنا بالرأى القائل بأن الدعوة الإسلامية ماهي إلا الجانب الخاص بنشر العقيدة . وتعليم أركان وقواعد الدين الاسلامى . وأن الاعلام الاسلامى معنى به كل ما ينتج عن أجهزة الإعلام في الدول الاسلامية من أخبار صادقة وإعلانات صحيحة . وتمثيلات تحمل القيم الاسلامية وتبتعد عن الخلعة والاسفاف والمناظر المثيرة التي تخدش الحياء . والكلمات الداعية الى المعاصى . من حيث طريقه التعبير أو نحو ذلك . باختصار أن يكون كل ما ينتج عن وسائل الاعلام في الدول الاسلامية . إسلامياً في المحتوى والمنهج وطريقه التعبير .

« حيث يمكن أن يقدم المنهج الإسلامى في أساليب فنية إعلامية راقية وجذابة ومؤثرة . فهذا ما يجب أن يكون عليه الإعلام الإسلامى . فليس الاسلام دين الجمود . ولا يعرف الجفاف . بل يحث على استعمال الأساليب المشوقة والجذابة . طالما اتبعت عن الإثارة الرخيصة . . والأساليب المتبذلة » (١) .

(١) عبد الوهاب كحيل ، الأسس العلمية والتطبيقية للاعلام الاسلامى (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٥) ص ٣٧ .

وإذا سلّمنا بهذا فتعبير الدعوة إذن جزء من الإعلام أو الدعوة الإسلامية جزء من الإعلام الإسلامي .

وأياً كان الأمر فاللتعبير بين متقاربين . ولن نقف عند حد الاختلاف على اللفظ . بل المهم هو الممارسة في حد ذاتها . فالعصر الماضي لم يكن معروفاً فيه مصطلح أو لفظ الإعلام كما نعرفه ونفهمه اليوم .

وفي هذا يقول الدكتور محيى الدين عبدالحليم « على الرغم من أن الإعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته ، وتقنياته الحديثه لم يكن معروفاً وقت نزول الوحي ، على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . إلا أنه بتطبيق المقاييس العلمية الحالية على الدور الملقى على عاتق الدعوة الإسلامية . نستطيع أن نقول إن الإعلام كان ولا زال أداة هذا الدين . ودعامته الرئيسية .

ولن نتجاوز الحقيقة إذا سمينا الأشياء بسمياتها الصحيحة حين نقول إن الدين الإسلامي دين دعوة . والدعوة عمل إعلامي . بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى في أذهان أساتذته وخبراء الإعلام والاتصال بال جماهير . ذلك أن الدعوة ما هي إلا عمل إعلامي يخاطب العقل . ويستند إلى المنطق والبرهان . و يعمل على الكشف عن الحقيقة . وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام نجد أنه يكاد يكون متطابقاً مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل . فالإعلام هو ترويض الناس بالأخبار الصحيحة . والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأي عام صائب ، في واقعة من الوقائع . أو حادثة من الحوادث أو مشكله من المشكلات .

والدعوة بهذا المعنى تختلف عن الدعاية بمعناها الحديث — من حيث سوء استخدامها بعد الحرب العالمية الثانية على يد هتلر وجوبلز — بالرغم من أن الأصل اللغوي . لكل منها واحد « (٢) .

وعلى هذا فالجهد الخاص بنشر الإسلام هو الجهد إعلامي . منذ بدايته وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . بل وهو الجهد الإعلامي الأمثل . الذي يجب أن يستمد منه المسلمون نظرياتهم وأساليبهم وأساليبهم الاعلامية بدلا من استيرادها من

(٢) محيى الدين عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

الشرق أو من الغرب . في ذات الوقت الذى تمتلئ فيه السنة النبويه الشريفه
بكثوز هائله من هذه النظريات والأسس والمبادئ القويمه التى لا تخفى .
ولا تنتهى .

وقد هتأ الله عز وجل نبيه للقيام بهذه المهة الإعلاميه .. وأعدده بالصفات التى
سبق أن تحدثنا عنها . وهىأ له البيئه المناسبه زمانيا ومكانيا . ليبدأ جهد الاعلام
بخير رساله وآخر رساله من الله عز وجل لعباده على وجه الأرض . ومن هنا كانت
بداية المهة الإعلاميه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار حراء . وأمره الله عز وجل
بالقراءة .. ثم نزل الوحى مرة أخرى يأمره بالإنذار بمعنى الإعلام عندئذ علم محمد
صلى الله عليه وسلم أنه مأمور بإبلاغ رسالة من الله عز وجل إلى عباده . هذه
الرسالة مهمتها تغيير صورة المجتمع الجاهلى الذى لم يكن قبل بعثته راضيا عن
الكثير من سلوكياته بدليل أنه لم يكن يسكلها . ولا يشارك في كثير منها . كالسجود
للأصنام وشرب الخمر والزنا والقتل والقسوة على العبيد وغيرها . حيث لم يؤثر عنه
صلى الله عليه وسلم أنه فعل شيئا من ذلك . ولا شيئا يعيبه قط .

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم مهمته الإعلاميه . فبلغ عن الله عز وجل
متسلحا بما أعدده الله سبحانه وتعالى به من صفات تؤهله لذلك . وقد بدأ هذه
المهمه بعد أن هتأ الله سبحانه وتعالى الزمان والمكان لتلقى هذه الرساله العظيمة
كما ذكرنا من قبل . يقول الأستاذ العقاد :

« اتفقت أحوال العالم إذن على انتظار رساله ..

واتفقت أحوال محمد صلى الله عليه وسلم — على ترشيحه لتلك الرساله
وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد . ولاتتفق معها الوسائل
التى تؤدى بها رسالته على أحسن الوجوه .

كان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول ، ثم لا يظهر الرسول وكان من الممكن
أن يظهر الرسول في البيت الصالح وفي البيئه الصالحة . ثم لاتتهيأ له الصفات التى
يتم بها أداء الرسالة .

ولكن الذى اتفق فى رسالة محمد ، قد كان أعجب أعاجيب الاتفاق . وكان المعجزة التى تفوق المعجزات . لأنها مع ضخامتها وتعدد أجزائها وتوافق تلك الأجزاء جميعها ، مما يقبله العقل قبولاً سائغاً بغير عنق ولا استكراه . فكان محمد مستكلاً للصفات التى لاغنى عنها فى انجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ ..

كانت له فصاحة اللسان واللغة .. وكانت له قدره على تأليف القلوب وجمع الشقه . وكانت له قوه الإيمان بدعوته وغيته البالغة على نجاحها . وهذه الصفات للرسول هى التى عليها المدار فى تبليغ الرسالة .

فقد كانت له مع الفصاحة صباحة ودمائه تحببانه إلى كل من رآه . وتجمعان إليه قلوب من عاشروه . وهى صفة لم يختلف فيها صديق ولا عدو . ولم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم بين الضعفاء والأقوياء على السواء» (٣) .

وقد تحدثنا عن هذه الصفات باستفاضه فى الفصول السابقة تحت عنوان اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لأن يكون إعلامياً قديراً .

وقد حفظه الله تعالى منذ بداية إعلامه بالدعوة . رغم انكار المجتمع المكى لرسالته ، ورغم تحرش جبابرة مكة به ، من منطلق الحقد والغيرة عليه وعلى بنى هاشم .

« وكان نظام الحكم فى مكة سبباً من أسباب عدم استطاعة حكومة مكة اتخاذ موقف صارم تجاه محمد هذا التأثير على الحكم الخارج على النظام حيث لم تكن حكومة مكة تستطيع أن تصدر أمر ابترد مواطن أو حرمانه من حقه السياسى أو الحكم عليه بالإعدام ، إلا بعد إجماع من كل أصحاب السلطة فى مكة . ومنهم أهل وعشيرة هذا المحكوم عليه .

وهؤلاء غالباً ما نراهم يقفون الى جوار ابنهم حمية وعصبية له . ومن هنا نرى أن محمد صلى الله عليه وسلم برغم تبعيته لهذه الدولة . وأنتمائه إليها . وكونه فرداً

(٣) عباس محمود العقاد ، عتريه محمد (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٧) ص ١٩ ، ٢١ .

من رعيتهما . لم يستطع حكام مكة أن يصدروا قرارات بشأنه تنفذ عن طريق القوة والقسوة نظراً لوقوف أهله وعشيرته بجانبه .

ومن المعتقد أن آل محمد صلى الله عليه وسلم لولا خوفهم من القرشيين وقوفهم ضدهم . وخوفهم على نفوذهم السياسي أيضا . لأعلنوا انضمامهم لرسول الله من بادئ الأمر واتبعوا دعوته . لكنهم (كانوا أذكياء) . وقفوا مع القرشيين في معتقداتهم خوفا على نفوذهم السياسي ووقفوا مع محمد محمونه وينصرونه حمية وعصبية « (٤) .

ومع قيام هذا الوضع القانوني لمحمد صلى الله عليه وسلم وسط المجتمع المكي . والذي كان يحميه من القتل . إلا أنه لم يكن يحميه من التعذيب والأذى والتعرض له . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يعلم ذلك . لذا بدأ إعلامه برسائلته سرا في بداية الأمر . حتى ينضم إليه بعض الأتباع والأنصار الذين يؤازرونه ويرفعون من روحه المعنوية . ثم يبدأ بعد ذلك في الجهر بإعلامه .

ومن هذا يجب أن يعلم ويتعلم رجال الإعلام في كل زمان ومكان أن الاعلام برسالة وكلمة الحق ، لابد أن يواجه الصعوبات . ويتعرض للأذى وأنه عليه أن يكون حكيما في توجيه إعلامه بما يتناسب مع الزمان والمكان . فهو يوجه إعلامه بطريقة سرية أحيانا وعلنية أحيانا . وبأسلوب ووسيلة تتناسب مع روح الجماعة التي يبيت رسائله الإعلامية بينها واليها .

وربما اعترض البعض على تسمية المرحلة السرية من تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم لرسائلته بأسم الاعلام ، إلا أنها تعتبر اعلاما في الحقيقة لأنها في جوهرها إختيار بالرسالة وبما جاء من عند الله وأن كان لعدد محدد من الناس . إلا أنه في النهاية إعلام وإخبار . والذي فرض السرية في هذه المرحلة . إنما هو حكمة الإعلامى ذاته . حيث كان يوجه رسائله الإعلامية بما يتناسب مع الزمان . فليس من المناسب أن يبدأ إعلامه بطريقة علنية . دون وجود أتباع له — ولو كانوا قلة —

(٤) عبد الغفار عزيز وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

فيشور عليه الحمقى فيؤدى ذلك الى عدم الاستماع الى جوهر رسالته . . وعدم التعرض لسماعها . وعدم معرفه محتواها . فلا تؤدى الى إثارة فكر أو اعمال عقل فيها . فتضيع هباءً . وتذهب سدى ، ولا تؤثر ولا يستجيب لها أحد ، ونحن نعلم أن عدم التأثير ينتج عنه عدم وجود رد الفعل . وهذا يوقف عجله الاتصال . لأنه يصيب الإعلامى بالإحباط في معظم الأحوال .

أما قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالإعلام عن دعوته سرا . فقد نتج عنه انضمام البعض إليه من الرجال الأحرار والعبيد . والنساء والصبيه . وبدأ كل من هؤلاء يؤدى دوره الإعلامى مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى جواره .

ثانيا : الرسول يمارس الاعلام سرًا في مكة :

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم الإعلام بدعوة الحق . بعد أن اطمأن قلبه إلى أن ما يأتيه من الوحي إنما هو خير الساء . وبعد أن تأكد أنه ملك من قبل الله عز وجل وبعد أن أيقن أنه مأمور بإبلاغ تلك الرسالة العظيمة في ذاتها وفي غايتها إلى الناس كافة عامه إلى يوم القيامة .

ولكن كيف تكون البداية ؟ إنه مأمور بالإبلاغ نعم وللشريعة بأكملها على امتداد الزمان واتساع المكان نعم . لكن القضية التي واجهته في بداية الأمر ، هي كيفية البدء بأمر الإبلاغ . خاصة وأن المجتمع المكي كان كما عرفنا من قبل . له معتقدات وعادات وتقالييد . وكان مليئًا بالزعماء والزعامات . فكيف يبدأ بالاعلام برسالة ربه في هذا المجتمع مجافيه والى من فيه ؟

استعان النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات والمؤهلات التي أعده الله عز وجل بها والتي سبق الحديث عنها . فاستعمل حسن خلقه وفصاحته وحسن بيانه . وتسلسل بالصفات النفسية والروحية والشخصية التي أعده الله تعالى بها . وبدأ الإعلام برسالة ربه سبحانه وتعالى .

اختار النبي صلى الله عليه وسلم أن يبدأ الإعلام برسالته سرًا . حتى يكون ذلك أكثر فائدة من عدة وجوه أولها أن يتعود النبي صلى الله عليه وسلم ذاته طرق الإعلام إلى أفراد هذا المجتمع فقد كانت فترة الممارسة السرية للاعلام بالرسالة . فتره تدرج على عمل على ممارسة الإعلام إلى بعض شخصيات المجتمع المكي . ثانيها أن تزيد من حماس النبي صلى الله عليه وسلم . فالمعروف أن وقوف المرسل على رد الفعل لرسالته يؤدي إلى الاستمرار في إرسال رسائله الاعلامية . و يدفع بعجلة الاتصال الى استمرار الدوران . فإذا وقف الإعلامي على رد فعل عارض بعض توقعاته . أدى ذلك به إلى اعاده النظر في اسلوب رسالته أوفى الوسيلة التي استخدمها لابلغ رسالته . أوفى التوقيت المناسب للاعلام بالرساله ونحو ذلك . وإذا وقف الإعلامي على رد فعل اتفق مع توقعاته أدى ذلك إلى زياده حماسه .

وزيادة رسائله الإعلامية وتعددتها وتنوعها . كما أن معنى نجاح رسائله الإعلامية أنها أثرت في المستقبلين لها . وبالتالي أدت الى استجابتهم . وهذا معناه كسب بعض الأنصار لدعوته . وهؤلاء بدورهم يمكن أن يصبحوا رجال إعلام جدد إلى جانبه . ينشرون دعوته في أماكن أكثر اتساعا . وإلى عدد أكثر من الأفراد . كما أنهم يشدون من أزره ويساندونه ، ويقفون إلى جواره . يتبادل معهم الرأي . ويتشاور معهم في أموره .

وهذا ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الإعلام برسالته . وهذا يدل على أنه رجل إعلام قدير مارس الإعلام بصورة عملية علمية . ورسم أسسها وقواعدها وأصولها لكل اعلامي من بعده .

ومما يدل على صحة هذا الاتجاه في ممارسة الإعلام . أن موسى عليه السلام . طلب من ربه عز وجل أن يعده ببعض الصفات التي تعينه على بلاغ دعوته . كما طلب أيضا من ربه أن يعينه بأخيه ليكون معينا له وشريكا في الرأي قال تعالى «إذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لى صدري . ويسر لى أمري واحلل عقده من لساني ، يفقهوا قولي . واجعل لى وزيرا من أهلى . هارون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه فى أمري . كى نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلک يا موسى» (*) .

وبذلك كانت بداية الإعلام الذى مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرحلة السرية . « فحينما أمر الله تعالى سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والانذار . اقتضت حكمته أن يلهمه التزام السرية في دعوته . وأن يبدأ بها أقرب الناس إليه . فأخذ صلى الله عليه وسلم يسر بأمره إلى من يطمئن إليهم من أهله . فكانت السيدة خديجة رضى الله عنها أول من آمن به من النساء . وتبعها على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى العاشرة من عمره . فكان أول من آمن به من الصبيان . ثم زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان أول من آمن به من الموالى .

(*) سورة طه (٢٤-٣٦) .

وبذلك انتهى سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم من تبليغ الدعوة لأهل بيته وأكرمه الله تعالى بهدايتهم جميعاً» (٦) .

ومن الصعوبة بمكان تحديد طول فترة المرحلة التي مارس فيها النبي صلى الله عليه وسلم الإعلام سرّاً . فلا خلاف ولا جدال حول أنها بدأت مع بداية نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . والأمر إليه بإبلاغ أمته . ولكن حتى متى استمرت المرحلة السرية . ومتى بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يمارس الإعلام بطريقه طبيعیه . بالصورة العلنية أو الجهریه ؟ .

وقد أجمع معظم المتحدثون في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الدعوة قد استمرت سرية ثلاثه أعوام . وقد عرض الدكتور رؤوف شلبي بحثاً مستفيضاً وقتياً في هذا ولخص نتيجته بقوله « وإذن فلم يبق — على ما وصلت إليه بعون الله إلا الآيات الدالة على الأمر بالتبليغ حسب ورودها ووجودها في السور المتسلسلة باتفاق العلماء . ولعل مما يقوى هذا الضابط الذي أذهب إليه الحديث الشريف الذي أورده شارح الشفا :

« بعثت إلى الناس كافة . فإن لم يستجيبوا لي فإلى العرب . فإن لم يستجيبوا لي فإلى بني هاشم . فإن لم يستجيبوا لي فإلى واحد » .

فنفى الحديث خمس دعوات . واحدة للناس كافة . واحدة للعرب وواحدة لقريش . وواحدة لبني هاشم . وواحدة لذاته الشريفه . فإذا استثنينا الدعوة الأخيرة لأن الله تعالى فتح به لدينه في كل صوب وحذب بقيت أربع دعوات . للناس كافة وللعرب ولقريش ولبنی هاشم فإذا ماتبعنا أحداث التاريخ وجدنا قريشاً وبني هاشم قد أدخلهما النبي صلى الله عليه وسلم في عشيرته الأقرين يوم أن صعد على الصفا وجعل ينادى .

يا معشر قريش — أو كلمة نحوها — اشترى والأنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا بني عبد مناف لا أغني عنكم شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً . ويا فاطمه بنت محمد — صلى الله عليه وسلم — سليني ما شئت من مالي . لا أغني عنك من الله شيئاً .

(٦) حسين محمد يوسف ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

قال ابن حجر في شرح الحديث . في رواية موسى بن طلحة عن أبي هريرة عنه مسلم واحد : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا . فعمّ ونهض فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بنى كعب كذلك يا معشر بنى هاشم كذلك . يا معشر بنى عبد المطلب كذلك . وقد ذكر صاحب السيرة الحلبية : أنهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل .

فكان ذلك عوناً لى أن أجعل قريشا وبنى هاشم المذكورين في الحديث السالف مرحلة واحدة داخلية ضمن قوله تعالى « وأنذر عشيرتک الأقربين » .

وعلى هذا فاطوار الدعوة في مكة زمنيا اثنتان :

١ — الدعوة وهي في ظل العمل السرى ومدتها ثلاثة أعوام .

٢ — الدعوة وهي في ظل العمل الجهرى ومدتها عشرة أعوام .

ومراحل تبليغها أربعة :

١ — مرحلة واحدة في دور العمل السرى وهي مرحلة إعداد القياده وثلاث

مراحل بعد قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٧) وهي .

٢ — (وأنذر عشيرتک الأقربين) (٨) .

٣ — (لتندråم القرى ومن حولها) (٩) .

٤ — (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) (١٠) .

وهذا الرأى السابق في هذا التقسيم هو رأى الدكتور رؤوف شلبى (١١) وهو يتفق مع التسلسل المنطقى لأمر الله عز وجل لنبيه بالإعلام برسالته . وإن كان يتحدث عن رساله النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الدعوة ، إلا أنه من الأفضل أن نتحدث عنها بلفظ الإعلام لأنه أشمل وأعم . ورسالة النبى صلى الله عليه

(٧) سورة الحجر (٩٤) .

(٨) سورة الشعراء (٢١٤) .

(٩) سورة الشورى (٧) .

(١٠) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

(١١) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ — ٢٩٨ .

وسلم من صفاتها الشمولية والعموم . لسعة انتشارها وطول امتدادها . لأنها آخر رسالة من الله عز وجل إلى البشر .

ويستفق ابن هشام مع هذا الرأي حيث يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ظل مستخفياً بدعوته ثلاث سنين يقول : « وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتبره إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فلما بلغني - من مبعثه » . ثم قال الله تعالى له : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وقال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - في هذه الفترة السرية - إذا صلوا ، ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم » (١٢) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمارس الاعلام برسالة الله عز وجل سرا في مكة في بداية الأمر . تمشيا مع الظروف الزمانية والمكانية المحيطة به وبالذين آمنوا معه . وقد اتخذوا من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرا لهم . وبذلك كانت دار الأرقم أول مؤسسه إعلاميه إسلامية انتشرت منها رسائل الهداية للبشرية إلى كل مكان . وتعلم فيها الجيل الأول من الإعلاميين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتربى فيها الجيل الأول من القادة . فتعلموا فيها ما هي الرسالة . وآمنوا بها . وتعمق إيمانهم وبدأ العمل الاعلامي برسالة الله ولها . بالطريقة السرية أيضا حتى أذن الله عز وجل لرسوله بأن يمارس الاعلام جهرا في مكة .

وكان أول من أسلم وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسالته بعد آل بيته وهم خديجه وعلي بن أبي طالب الذي تربى في بيته . ومولاه زيد بن حارثة . كان بعدهم مباشرة أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وفي إسلامه يقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبهه وتردد ونظر . إلا أبا بكر ما علم حين ذكرته . ولا تردد فيه » (١٣) .

(١٢) ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٦٥ .

(١٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٧ .

وهناك فارق بين قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالاعلام برسالة الله عز وجل في المرحلة السرية . وبين علم أهل مكة بما يدعو إليه محمداً من عيب دينهم وسب آلهتهم . فليس المقصود بالمرحلة السرية أن الدعوة ذاتها لم تكن معروفة لدى المجتمع المكي وأهله . ولكن المقصود بالممارسة السرية للإعلام في هذه السنوات الثلاث . هي عملية شرح الرسالة وأهدافها لأحداث التأثير في المستمع . بالتالي استجابته لها . وإيمانه بها وبأهدافها . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمارس هذا الجهد الاعلامي بطريقة سرية في بداية الأمر . وخلال هذه السنوات الثلاث من بداية بعثته مع من يتوسم فيهم الخير . وفي قلوبهم الرحمة . ومع من يراهم منكبين لبعض تقاليد وطقوس المجتمع المكي . فقد مارس هذا الجهد مع أبي بكر على سبيل المثال . وقد كان أبو بكر من المعروفين في المجتمع المكي بعدم معاقبتهم للخمر ولا للنساء وكراهيتهم للأصنام .

وقد كانت هذه المرحلة من مراحل الاعلام التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقوى دعوته . ويزايد عدد المؤمنين برسالته فيمكنهم الاستمرار . ومع ذلك لم يخل الأمر من تعذيب هؤلاء . فقد كان أهل مكة يتبعون أخبار محمد والمؤمنين برسالته باهتمام بالغ . وكانوا بذيقونهم ألوان العذاب طوال هذه السنوات الثلاث . فقد تعرض أبو بكر وعمر وبلال وأبو ذر للتعذيب الجسدي والنفسى من كفار مكة . ومع ذلك استمروا . مسلمين ورجال إعلام للإسلام .

« لقد ارتفع المسلمون الأوائل بدعوة الإسلام إلى أرفع مستوى تهون دونه الحياة . نفيسها وجليلها . لقد كانت غايتهم القصوى هي الله وحده وقائدهم المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم . لا غيره . وكان القرآن دستورهم المغدّى .

ولقد استعذبت أرواح هؤلاء الأوائل رسالة الإسلام . فنهجوها النفس والنفيس . وآثروها على كل الوجود . وسموا بأنفسهم فوق المجتمع الجاهلي بماديته ومعنوياته » (١٤) .

(١٤) رؤوف شلبي ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

وكان من خصائص الاعلام الاسلامى فى هذه المرحلة السريه فى مكه . أنه تنوع فى الجمهور الذى وُجّه إليه . حيث كان جمهوره الحر والعبد . والمكى والغفارى والدوس والجهينى . فأسلم أبوبكر وبلال . وهم حرو عبد من أهل مكه واسلم بعدهم غيرهم وعلى يديهم الكثيرون من أهل مكه . واسلم الطفيل من عمرو الدوس من قبيلة دوس وذهب رجل اعلام بالاسلام الى قومه واسلم أبوذر الغفارى . وبعد أن عُذّب فى مكه ذهب رجل اعلام بالاسلام الى قبيلته بنى غفار . واسلم عمرو بن مره الجهينى وذهب رجل اعلام بالاسلام الى قومه . واسلم عمرو بن عيسى السلمى وأرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى قومه .

وهكذا أراد الله عز وجل أن يتنوع الجمهور الذى مارس معه النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام فى هذه المرحلة السريه . حتى يكتب للإسلام الانتشار والذيع أكثر إذ ما بدأت المرحلة الجهرية .

« هذه القيادة التى رباها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . لتتحمل نشر الدعوة الإسلاميه — أوجهد الاعلام الإسلامى — أريد لها أن تنتشر فى ربوع الجزيره . والإسلام مازال فى مكه يسير وثيدا بين الأصفياء المختارين حتى إذا ما ظهرت الدعوة جهرا . وأذن للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يصدق بها ، كانت القيادة فى شتى أنحاء الجزيره العربيه وخارجها اعلام هداية . تساند وتؤيد وتصدق وتنشر دعوة الله . فتظهر رقعته العمل للدعوة على مساحة شاسعة مترامية الأطراف . وقد وجدت فى كل ناحية منها داعية يثق بصدق فى رسالته . ويجاهد فى صدق لنشر دعوته . فتشتعل الجزيره ساعته بمشاعل من النور والإيمان . تتلاقى مع صوت الحق الذى يصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكه « أم القرى » ومركز الارشاد لتجميع — الاعلاميين برسالة الله عز وجل .

وهنا نجد قياده الدعوة بعد أن أعدت القيادة كمنهج للعمل مع الجماعة أمرت بعضهم بالتوجه الى ديارهم يدعون إلى الاسلام . حتى يسمعو بظهور النبى صلى الله عليه وسلم فيلحقوا به « (١٥) .

(١٥) المرجع السابق، ص ٣٠٣، ٣٠٤ .

وسوف نتعرض لبعض النماذج من قيام المسلمين الأوائل بالجهاد الإعلامي برسالة الله عز وجل في المرحلة التي مارس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا في مكة . وهي السنوات الثلاث الأولى من بعثته صلى الله عليه وسلم .

كان من أبرز رجال الاعلام الاسلامى في هذه المرحلة وعلى الدوام أبو بكر الصديق رضى الله عنه . فما إن أسلم وتفهّم الإسلام . حتى بدأ يمارس الإعلام بدين الله سبحانه وتعالى وله . فأسلم على يديه كثير من المسلمين الأوائل .

قال الطبرى في تاريخه « ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة الصديق . فلما أسلم أظهر إسلامه . ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله . وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا . وكان أنسب قریش لقریش . وأعلم قریش بها . وما كان فيهم من خير أو شر . وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتون إليه ويألفونه لغير واحد من الأمر . لعلمه ، وجماله ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه . وجلس إليه . فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله . فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين استجابوا له . فأسلموا وصلوا . فكان هؤلاء الخمسة من الثمانية ، النفر الذين سبقوا إلى الإسلام . فصلوا وصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم » (١٦) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان شديد الإيمان بدين الله . جتد كل ماله وجهه ونفسه للإسلام ورسوله . وظل كذلك حتى آخر أيام حياته . فقد تحمل في مكة العذاب من أجل الرسالة . وظل ينفق ويذل في كل موقع حتى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم « إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر » .

كان أبو بكر يتحمل مؤنة الضيوف الذين يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كانت له ضيافات لا يفعلها أحد . وعندما سمع قصة أبى ذر الغفارى وأنه بات عديدا من الأيام يعيش على ماء زمزم . استأذن رسول الله صلى الله عليه

(١٦) الطبرى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٧ .

وسلم في أن يستضيفه عنده . قال أبودر: فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف . فكان ذلك أول طعام أكلته (١٧) .

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه بجهد الإعلام لرساله الله عز وجل في مكة في المرحلة السرية ، حتى لجمع المشركين في المسجد الحرام . وكان لإعلامه الأثر في اسلام بعض السابقين إلى الاسلام . ولقى في سبيل ذلك الأذى مما دفع بعض المشركين الى التعاطف مع المسلمين حتى من غير أن يدخل هؤلاء المشركون في الاسلام . وبذلك كان لجهد الإعلام الأثر في كسب تعاطف الرأي العام أو جزء منه على الأقل في المجتمع المكي للإسلام والمسلمين .

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان صديقا له في الجاهلية . فلقيه فقال : يا أبا القاسم . قدمت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لأبائنا وأمهاتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر . فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما بين الأخشين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر . ومضى أبو بكر . فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام . وسعد بن أبي وقاص فأسلموا . ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد . والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم .

ولما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا . أُلح أبو بكر رضي الله عنه في الظهور . فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلبح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته . وقام أبو بكر خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس . فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين . فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا . ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا . ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة

(١٧) رؤوف شلى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

فجعل يضربه بنمطين مخصوفتين ويعرفهما لوجهه . ونزاعا على بطن أبي بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه . وجاء بنوتيم يتعادون . فأجلت المشركين عن أبي بكر . وحملت بنوتيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته . ثم رجعت بنوتيم فدخلوا المسجد . وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتيه بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكر . فجعل أبو قحافة و بنوتيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب . فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : أنظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألخت عليه . وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : إذهبي إلى أم جيل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جيل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحين أذهب إلى ابنك . قالت : نعم فضمت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفًا . فدنت أن جيل وأعلنت بالصباح . وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر . وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم . قال : فإن الله على ألا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأملهتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس . خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأكبت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله . واكبت عليه المسلمون . ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله . ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي . وهذه أُمى برة بولدها . وأنت مبارك فادعها إلى الله . وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت . وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا . وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر» (١٨) .

(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٠ ، ٣١ .

ومن هذه القصص يتضح مدى أنشغال أبوبكر بالجهاد الإعلامي للدعوة . فقد كان أول خطيب في الاسلام . يتلغ الناس هذه الرسالة . ولاقى الأذى ومع ذلك كان لا يشغله إلا السؤال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما يلقاه يطلب منه أن يدعو أمه للإسلام . وكان من نتائج جهد أبوبكر الاعلامى للإسلام في هذا اليوم أن تعاطف بنوتيم معه . وخافوا عليه . وأخافوا المشركين . ولعل أنه كان من نتائجه أيضا أن أسلم حمزة بن عبد المطلب في هذا اليوم . وهذا نصر للإسلام والمسلمين .

وكان من الذين قاموا بالجهاد الاعلامى للإسلام من هؤلاء الذين أسلموا في البداية . وما رسوا ذلك في المرحلة السرية أيضا بعض أهل القبائل المتباعدة والمتناثرة حول مكة . أمثال الطفيل بن عمرو والدوس . وأبوذر الغفارى . وعمرو بن مرة الجهينى . وعمرو بن عبسه السلمى .

أسلم الطفيل بن عمرو والدوس . وكان من سادة دوس . ومن المطاعين فيها . وما إن أسلم حتى حتمل نفسه مسئولية الإعلام برسالة الله عز وجل إلى قومه . حيث طلب ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورجع إلى قومه يخبرهم ويُعلمهم ، ويُعلمهم الإسلام . وما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حدث الطفيل عن نفسه وما حدث له في ذلك فقال : « قدمت مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها . فشى إلى رجال من قريش . فقالوا : يا طفيل إنك قدمت بلادنا . وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا . وقد فرق جماعتنا . وشئت أمرنا . وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه . وبين الرجل وبين أخيه . وبين الرجل وبين زوجته . وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا . فلا تكلمه ولا تسمع من شئنا . فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ، ولا أكلمه . حتى حشوت في أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفاً — قطننا — فرقا من أن يبلغنى شئ من قوله . وأنا لا أريد أن أسمعه . فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة . فقممت منه قريبا . فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . فسمعت كلاما حسنا . فقلت في نفس : واثكل أمى . والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح .

فما بمنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته .
وإن كان قبيحا تركته .

قال الطفيل : فكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته
فتبعته . حتى إذا دخل بيته دخلت عليه . فقلت : يا محمد إن قومك قالوا إلى كذا
وكذا . للذى قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف
لشلا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعتة قولاً حسناً . فأعرض
عنى أمرك . فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الإسلام .
وتلا على القرآن . فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه ،
فأسلمت وشهدت شهادته الحق .

قال الطفيل : قلت يا رسول الله : إني امرؤ مطاع في قومي . وأنا راجع إليهم .
وداعيمهم إلى الإسلام . فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما
أدعهم إليه فقال : اللهم اجعل له آية . فخرجت إلى قومي . حتى إذا كنت بشية
تطلعنى على الحاضر . وقع نور بين عيتى مثل المصباح . فقلت اللهم في غير وجهى .
إني أخشى أن يظنوا أنها مثله وقعت في وجهى لفراقى دينهم . فتحول فوق في رأس
سوطى . فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطى كالقنديل المعلق . وأنا
أهبط إليهم من الشية . حتى جئتهم فأصبحت فيهم . فلما نزلت أتاني أبى وكان
شيخاً كبيراً . فقلت إليك عنى يا أبت . فسلت منك ولست منى . قال : ولم
يا بُنى ؟ فقلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم . قال : أى بُنى ،
فدينى دينك فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك . ثم تعال حتى أعلمك
ما علمت . فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم حدث مثل
ذلك مع زوجة الطفيل . حيث أمرها أن تتطهر . فسأته . أنخشي على الصبية من
ذى الشرى — صنم دوس — شيئاً ؟ فقال ، لها الطفيل : لا ، أنا ضامن لذلك
فذهبت فاغتسلت . ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت .

ثم دعا الطفيل دوساً إلى الإسلام . فأبطنوا عليه . فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة فقال : يا نبي الله . إنه قد غلبنى على دوس الزنا — وهو اللهومع شغل القلب .
فادع الله عليهم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوساً . أرجع إلى قومك
فادعهم وارفق بهم . فلم يزل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى المدينة فالحق به ومعه سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير . فأشهدهم لهم مع المسلمين » (١٩) .

و يتضح من قصة الطفيل بن عمرو الدوسي هذه . أن كفار قر يش أنفسهم قد قاموا بلفست نظر الطفيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وما يدعو إليه فرغم تحذيرهم . إلا أن هذا التحذير كان دافعا للطفيل إلى أن يسمع و يفكر فيما يسمع فهو رجل شاعر ولبيب و يثق في عقله وفكره . وكان هذا التحذير أيضاً مفيداً في أن ينتظر الطفيل حتى ينصرف محمد من المسجد الى بيته فيتبعه حتى يدخل عليه بيته . وكانت هذه فرصة لأن يسمع الطفيل من محمد في هدوء وسكون . ثم لا تتحرج به قبائل مكة من أعداء محمد . وكان هذا من كمال عقل الطفيل . أن يفعل ذلك ثم إن الله عز وجل أبى إلا أن يسمع الطفيل كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ورأى الطفيل برجاجة عقله أن هذا من علامات صدق محمد ودعوته .

و يطلب الطفيل العوده إلى قومه لإعلامهم بالرسالة التي آمن بها.. وانشرح لها صدره . و يطلب آية تعينه على ذلك . ولصدق نيته يعطيه الله الآية . بل ولما يطلب نحوها عن وجهه تتحول إلى سوطه . ليكون ذلك من عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه . ثم يبدأ مهمته الإعلامية بأهل بيته ليكون أكثر اقناعاً وتأثيراً . فيبدأ بأبيه ثم زوجته . وهكذا حتى يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة فيبلغه بمشقة المهمة وما يلاقه من عراقيل حيث القوم مشغولون باللهو ونحو ذلك . فيدع النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالهداية . و يأمره بالعوده وممارسة الإعلام بالدعوة . والرفق بقومه أثناء ذلك . و يعود فيفتح الله له . و يدخل الكثيرون من قومه في الإسلام . نتيجة لجهده وإخلاصه .

وكان من هؤلاء الأوائل الذين تحملوا عبء الإعلام بالإسلام في مكة وفي قومهم . في هذه المرحلة السرية من حياة الدعوة . أبوذر الغفاري رضي الله عنه « فقد ذكر البيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت ربيع الإسلام . أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع . وروى البخاري أن أبا ذر لما بلغه مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء

(١٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦١ ، ٣٦٤ .

فاسمع من قوله . ثم اثنى فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه . ثم رجع إلى أبي ذر . فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بالشعر . فقال ما شفتيني مما أردت . فتزود وحمل شتة فيها ماء . حتى قدم المسجد فاتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه . واختلف الرواة في أن أبا ذر مكث ثلاث ليال بمكة مستخفيا أو ثلاثين ليلة قبل اسلامه . حتى يمكنه أن يتأكد من الخبر و يفكر فيه ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » فقال أبوذر . والذي بعثك بالحق لأصبرن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد . فنادى بأعلا صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ثم قام فضر بوه حتى أضجموه ، فأتى العباس فأكتب عليه فقال : و يلکم أستم تعلمون أنه من غفار . وأنه طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذه منه . ثم أتى الغد بمثلها فضر بوه . وثاروا إليه . فأكتب العباس عليه .

وفي روايه لمسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر لما دخل الاسلام : « إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب . فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك و يأجرك فيهم » قال أبوذر : فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا . فقال ما صنعت ؟ قلت : صنعت أنى أسلمت وصدقت . ثم أتينا أمنا فقالت ما بى رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت . فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار . فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفارى . وكان سيدهم يؤمهم وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بقيتهم . وجاءت قبيلة أسلم فقالوا يا رسول الله إخواننا — أى قبيلة غفار — نسلم على الذى أسلموا عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله » (٢٠) .

وتوضح قصه اسلام أبوذر أنه أعمل فكره قبل الدخول في الاسلام . وتحزى الحقيقة تماما . حيث ظل كما تذكر بعض الروايات ثلاثين ليلة بمكة مستخفيا لا طعام له إلا ماء زمزم . حتى أطعمه أبو بكر من زبيب الطائف فكان أول طعام أكله بمكة . وهذا التحريه الدقه واستقصائه الحقيقة . بعد ذلك أسلم ولم يعد إلى قومه إلا بعد أن جهز ذلك وتحمل

(٢٠) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٤، ٣٦.

الأذى بمكة من كفارها حتى أنقذه العباس منهم . ثم يعود إلى قومه ويمارس جهد الإعلام برسالة الله عز وجل فيدخل بعضهم الاسلام و يؤجل بعضهم ذلك حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

ومما يدل على أن أبى ذر لم يكن يطلب سيادة ولا مجداً من جزاء القيام بهذا الجهد الإعلامى ، أن الذى كان يؤم المسلمين في قبيلة غفار هو سيدهم يومئذ خفاف بن إيماء . ولم يكن أبوذر . ومن بركة جهده وإخلاصه لدعوة الله عز وجل وتبليغها أن أسلمت قبيلة غفار كلها . بل وقبيلة أسلم أيضاً .

وكان من هؤلاء السابقين إلى الاسلام . والذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إعلاميون إلى أقوامهم أيضاً . عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه ، « ثبت في صحيح مسلم من حديث أبى أمامة عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . في أول ما بعث وهو بمكة . وهو حينئذ مستخفى . فقلت : ما أنت ؟ قال أنا نبى . فقلت وما النبى ؟ قال رسول الله : قلت : الله أرسلك ؟ قال نعم . قلت : بما أرسلك ؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له . وتكسر الأصنام . وتوصل الأرحام . قال قلت نعم ما أرسلك به فن تبعك على هذا ؟ قال حرو عبد . يعنى أبابكر وبلا . أو هو اسم جنس يعنى الأحرار والعبيد مطلقاً .

فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ربيع الاسلام . فأسلمت وقلت : فاتبعك يا رسول الله . قال لا ولكن الحق يقومك . فإذا أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى » (٢١) .

ولما كانت هذه المرحلة من الدعوة تنقسم بالنسبة فإن من كان يدخل الإسلام من هؤلاء الوافدين بحسب أنه لم يدخل فيه غير من رآهم فقد أخبر أبوذر مثلاً أنه ربيع الاسلام . وأخبر عمرو بن عبسة أنه ربيع الاسلام . وأخبر سعد بن أبى وقاص أنه ثلث الاسلام . وكان هذا بحسب علم كل منهم عن عدد المسلمين فهم صادقون بحسب علمهم . ولكن الحقيقة تختلف لأن المسلمين الأوائل هم خديجه وعلى وزيد وأبي بكر ثم من أسلموا على يد أبى بكر في البداية . وكان هؤلاء الوافدون بعدهم من حيث العدد .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٣١ .

ومن هؤلاء الصحابة الذين سبقوا إلى الاسلام . حملوا جهد الإعلام برسالة الاسلام . عمرو بن مرة الجهني . « روى الطبراني باسناد عن عمرو بن مرة الجهني قال : خرجت حاججا في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في نومي وأنا بمكة . نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب . وأشعر جهنم . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقضت الظلماء . وسطع الضياء . بعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء إضاءة أخرى . حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، أبيض المدائن . وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام . وكسرت الأصنام . ووصلت الأرحام . فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن هذا الحى من قر يش حدث — وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتبهنا إلى بلادنا جاءني أن رجلا يقال له أحمد قد بعث . فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال « يا عمرو بن مرة : أنا المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الاسلام . وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام . وعبادة الله . ورفض الأصنام . وخج البيت . وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا . فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار . فأمن يا عمر يومنك الله من هول جهنم » فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . آمنت بما جئت من حلال وحرام . وإن رغم ذلك كثير من الأقوام . ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبى سادنا له . فقمتم إليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وأنا أقول :

شهدت بأن الله حق وإنسى لأهله الاحجار أول تارك وشمرت عن ساق الإزار مهاجرا إليك أجوب الفقير بعد الدكاك لأصحب خير الناس نفسا والدا رسول مليك الناس فوق الحياتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مرحبا بك يا عمرو بن مرة » فقلت يا رسول الله : ابعثنى إلى قومي . لعل الله يمن عليهم بى كما من على بك . فبعثنى إليهم وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظا . ولا متكبرا . ولا حسودا » فذكر أنه أتى قومه فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا كلهم . الا رجلا واحدا منهم . وأنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحب بهم وحياتهم . وكتب لهم كتابا « (٢٢) » .

وقد اتبع عمرو بن مرة الجهني دعوه الحق . لما أبلغه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبدأ تنفيذها بصورة فعلية . فكثرت الصنم الذي كان أبوه سادناه . والتزم أمر النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة ، وأثناء ممارسته للإعلام بها لقومه . قبيله جهينه . حيث امره النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق والقول السديد . وبأن يكون رحيما متواضعا غير حسود . فكان من بركة ذلك أن أسلم قومه كلهم إلا رجلا واحدا .

« هكذا تبدو أهمية نشر القياده — ورجال الاعلام — في أنحاء الجزيره العربيه . وتبدو أهمية مساهمتها في العمل للدعوة الإسلامية . فقد خفف الطفيل بن عمرو الدوس وأبوذر الغفاري — وأمثالهم — عن مركز الإرشاد في مكة أعباء ثقل العمل في تلك الديار . وكانوا رصيذا بشريا قويا عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة . فكانوا بدور شجريت عرع في سرعة . و ينمو بقوه في ظلال النيه الكريمة . عندما أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمجرة ليستبدل منهجا جديدا بعد أن وُضعت لبنه البناء العظيم للأمة الإسلامية في مكة المكرمة .

وهكذا يبدأ التبليغ بإعداد القياده في مدة أعوام ثلاثة من العمل السري للدعوة . ويتم فيها تواؤم الدعوة مع الطبيعة الإنسانية . فلا يبقى لمعترض تلة . فقد آمن بيت رسول اله صلى الله عليه وسلم جميعا . وآمن صديقه أبوبكر وغلالمه زيد . والمتنظرون لبعثته الشريفة منذ زمن مثل : ورقه وبحيرا ونسطيرا وعلماء النصارى . فلم يبق لواحد من بعد ذلك شبهة اعتراض بأن لوكان ما يدعوا إليه محمد حقا لكان أولى الناس به زوجه . وغلالم بيته وصديقه وبذلك فقد اكتمل للدعوة في كل موطن قياده تعمل وتجاهد في سبيل نشر الإسلام الحنيف وهي تنق في لحظة الظهور التي وعدهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢٣) .

وبذلك نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثلة في تاريخ البشرية كلها . لما يجب أن يكون عليه رجل الاعلام التقدير خاصة في مثل هذه الظروف الصعبة . وعلم رجال الاعلام في كل زمان ومكان . كيف يبدأون العمل الإعلامي تحت أى ظروف . وفي مواجهه أى مجتمع . وتجاه أى فكر يقابلهم

(٢٣) رؤوف شلبى ، مرجع سابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

فلا مجتمع أقسى بكل المعايير من المجتمع المكي . كما رأينا بمعتقداته ومقدساته وعاداته وتقاليده . وصلابة الرأي لدى قاداته ، وقوة الشكيمه والعزيمة التي كانوا يتصفون بها . ومع ذلك كله يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإعلام برسائله وسط كل هذه الظروف . معلما البشرية كلها كيف يكون التخطيط الإعلامى . وكيف يكون التنفيذ تحت أى ظروف . وبأى وسائل متاحة . وبالأاليب المحببة والمرغبة فى الرسالة والرسول وأصحابه .

وقد تعلم المسلمون الأوائل من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فارسوا الإعلام بالرسالة العظيمة كل فى موقعه . وكل حسب استطاعة فئهم من مارسها فى مكة . ومنهم من مارسها خارج مكة . ومنهم من مارسها فى مكة وخارجها . وهم يعملون . والرسول صلى الله عليه وسلم يعمل والإعلام بالإسلام يسير فى كل هذه المحاور . ويسلك كل هذه الطرق . ويتخذ كل الأساليب الممكنة بكل الوسائل المتاحة .

« لقد كان الصف الأول من أصحاب سيد الدعاة صلى الله عليه وسلم أروع صوره لما يجب أن يكون عليه رجال الدعوة . من وحدة فى الكلمة وإيمان بالهدف . وطاعة للقيادة . ولذلك كانوا رغم قلتهم يملكون من القوة الكامنة ما يمكنهم بعد قليل من الجهر بالدعوة . فى وجه مجتمع فاسد شديد التعصب لضلالاته . عميق التعلق بجاهليته . بل ما يمكنهم من مقاومة ذلكم المجتمع المضاد لهم . حتى تغلبوا على عناده وأخرجوه عن كفره . وطهروه من رجسه وأثامه » (٢٤) .

وقبل أن نتعرض للحديث عن ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام بالرسالة فى المرحلة الجهرية . نؤكد مرة أخرى أن مفهوم الدعوة الاسلاميه يقترب من مفهوم الإعلام الإسلام كما رأينا .

« فالدعوة الإسلامية هى الجانب التبشيري بالعقيدة . وهى تكاد توازى مفهوم الإعلام . لأن الدعوة هى الإعلام بالإسلام والتعريف به . وهذا العمل هو فرض الكفاية فى الفقه الاسلامى الذى إذا لم يتم به نفر من المسلمين أثموا جميعا . والدعوة جزء من الإعلام الاسلامى . أو هى الجزء الأيدولوجى (العقائدى) فيه .

(٢٤) حسين محمد يوسف ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

علما بأن الدعوة لاتشمل وسائل الإعلام فحسب بل تشمل القدوة الحسنة والإجراءات الاقتصادية المشابهة لدعم المؤلف قلوبهم وماشابه ذلك . وليس في قولنا بأن الدعوة إلى الإسلام جزء من الإعلام الإسلامى تصحيح للإعلام الإسلامى أو تصغير للدعوة الإسلامية . ولكن شبيه هذا الموقف قولنا بأن العلاقات العامة تستخدم كافة وسائل الاعلام لتحقيق أهدافها . الى جانب الاتصال الشخصى . والحلول الاداريه وتنظيم الحفلات برغم أن علم العلاقات العامة جزء من علم الإعلام . وأن التخصص فى العلاقات العامة فرع من الاعلام وهو الأصل» (٢٥) .

(٢٥) محمد سيد محمد ، المسئولية الإعلامية فى الاسلام ، الطبعة الأولى (القاهرة : مكتبة الخانجي ومكتبة الرفاعى بالرباط ، ١٩٨٣) ص ٤٥ ، ٤٦ .

ثالثاً : الرسول يمارس الإعلام جهراً في مكة :

حينما نبدأ الحديث عن ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الله عز وجل بصورة جهرية . يشور تساؤل . هل بدأت هذه المرحلة بقوله عز وجل « وأنذر عشيرتک الأقربين » (٢٦) ؟ أم بقوله عز وجل « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين » (٢٧) . ؟ .

فالآية الأولى تأمر بإنذار عشيرته الأقربين . وما سبق من حديث يدلنا على أن أسرته الصغيرة قد استجابت للدعوة وأسلمت ، وهم أهل بيته . خديجه وعلى ومولاه زيد . فالأمر إذن في الآية ينصب على عائلته بالمفهوم الأوسع أو الأشمل وهم بنو عبد المطلب أو بنو هاشم . والآية الثانية : تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الدعوة إلى الناس أجمعين .

وهناك تسلسل منطقي بين هاتين الدعوتين من الله لنبيه حسب نزول الآيات . فالآية الأولى من سورة الشعراء والثانية من سورة الحجر والسورة الأولى أسبق من الثانية في النزول . فكما يتضح من ترتيب السور القرآنية حسب النزول والمدون في المصحف الشريف . أن سورة الشعراء ترتيبها الخامسة والأربعين أي نزلت قبلها أربعة وأربعين سورة من سور القرآن . أما سورة الحجر فترتيبها الثانية والخمسين . أي نزلت قبلها واحد وخمسين سورة من سور القرآن . منها سورة الشعراء بطبيعة الحال . ولعل الفاصل الزمني بينها قليل .

وحيث أن الأمر قد خرج من طور الخاصه إلى العامه . ومن طور الأتباع إلى غيرهم . فقد خرج من طور السرية إلى طور العلانية . وعلى هذا فيمكن اعتبار دعوه بنى عبد المطلب . وهم العشيرة الأقربين هي بداية المرحلة الجهرية من الإعلام بالرسالة . حيث يتفق ذلك مع ترتيب الآيات في النزول . وحيث هو

(٢٦) سورة الشعراء (٢١٤) .

(٢٧) سورة الحجر (٩٤ - ٩٥) .

اعلام على ملأ من القوم وليس لخاصه الأفراد كما كان في المرحلة السرية . . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة السرية يمارس الإعلام بصورة خاصه ، أى لأفراد محددين حتى أن المسلمين من الوافدين . أى من غير أهل مكة مثل أبى ذر وعمر بن عبد المنذر السلمى يظن الواحد منهم أنه رابع من دخل الإسلام . بينما يكون قد دخل غيره قبله الكثيرون كما ذكر من قبل . وعلى هذا فالمرحلة الجهرية من الإعلام النبوى بالرسالة تبدأ من دعوته صلى الله عليه وسلم لعشيرته الأقربين الذين هم بنو عبد المطلب .

« عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتكم الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرفت أنى إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره . فصمت . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » قال : فدعانى فقال : « يا على إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين . فاصنع لنا يا على شاة ، على صاع من طعام . وأعد لنا عس لبن . ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » ففعلت . فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون فيهم أعمامه أبوطالب وحزرة والعباس . وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية فشققها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا باسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه . ما نرى إلا آثار أصابعهم . والله إن كان الرجل لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقهم يا على » فجئت بذلك العقب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا . وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدهر أبو لهب لعنه الله فقال : أهذه ما محرکم صاحبکم . ففرقوا . ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غدة لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدر لى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » . ففعلت ثم جمعهم له . وصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس . فأكلوا حتى نهلوا عنه . وأيم الله إن كان الرجل

ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقم يا على » فبحث بذلك العقب فشرّبوا منه حتى نهلوا جميعا . وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم . بذر أبو هب لعنه الله إلى الكلام فقال : هَذَا سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا على غَدَلْنَا بِمِثْلِ الَّذِي كُنْتَ صَنَعْتَ بِالْأَمْسِ ، وَمِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرْبِ . فَإِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ بَدَرَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ قَبْلَ أَنْ أَكَلِمَ الْقَوْمَ » ففعلت ثم جمعهم له ، فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك العقب حتى نهلوا وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني عبد المطلب : إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتمكم . إني جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا رواه البيهقي وقد روى جعفر بن جرير هذا الحديث وزاد عليه قوله « وإني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه . فأتيكم يؤازرنى على هذا الأمر . على أن يكون أخى » وكذا أو كذا قال فأحجم القوم عنها جميعا قال على بن أبى طالب ولأنى لأحدثهم سنا . وأرمصهم عينا . وأعظمهم بطنا . وأخشهم ساقا . أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برفقتي فقال : « إِنْ هَذَا أَخِي . كَذَا وَكَذَا . فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا » قال فقام القوم يضحكون . ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع « (٢٨) » .

وتوضح هذه القصة أن النبی صلی الله علیه وسلم بدأ الجهد الإعلامی برسالة الله عزوجل إلى عشيرته الأقربين . بعد أن فكر في الوسائل والأساليب المناسبة لذلك . فلم يكن همّه تنفيذ الأمر فقط . إنما كان يريد بالفعل أن يقوم بجهد إعلامی مؤثر . يؤدي إلى الاستجابة . والدخول في الاسلام . لذلك أمر النبی صلی الله علیه وسلم عليا أن يصنع طعاما وأن يدعوهم إليه . وقد أمر على بن أبى طالب بذلك لأنه من أهل بيته حيث تربى في بيته . لأن النبی صلی الله علیه وسلم قد أخذه من عمه أبى طالب ليقوم بتربيته عنه لكثرة عيال أبى طالب وقلة ماله .

(٢٨) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٩، ٤٠ .

وكان ذلك قبل البعثة . ولأن على بن ابي طالب أيضا كان من المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث هو من السابقين الى الاسلام فقد أسلم بعد خديجه مباشرة وأسلم دون أن يستشيو أبا طالب في ذلك لذلك أمره النبي أن يصنع الطعام وأن يدعو له بنى عبد المطلب .

وقد جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم على الطعام بالذات لعدة أسباب . تتعلق كلها بمعرفة نفسيات هذا الجمهور المدعو على هذا الطعام فقد كان من هذه الأسباب أن العرب كانت تجتمع على الطعام في المناسبات الهامة . كما لمثل هذه الدعوات أهمية بل وقديسية في نفوسهم . ومن هذه الأسباب أن الإنسان حينما يُطعم إنسانا في بيته من التادر أن يرفض له طلبا . أو يرد له كلاما . ومن هذه الأسباب أيضا أن معظم بنى عبد المطلب كانوا فقراء من حيث المال ، فدعوتهم على الطعام تعنى شيئا هاما من حيث الطعام للفقراء منهم . وتعنى شيئا هاما من الناحية المعنوية للأغنياء منهم .

كما أن دعوة بنى عبد المطلب معا . والتحدث إليهم ، له عدة مميزات من حيث الرد المتوقع . فإن كان الرد قاسيا من بعضهم . تعاطف البعض الآخر . وربما استجاب البعض فأدى ذلك إلى تحمس الكثيرين منهم للأستجابة . وبالجمله فقد ظهرت نتائج ذلك سرعا . فهم وإن لم يستجيبوا إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن حياد بعضهم وتعاطف بعضهم . خاصة الأقوياء والكبراء منهم . أمثال أبوطالب والعباس والحزمه . بل ولما كان رد أبولهب قاسيا وتخوف البعض من الرد عليه . بادرت أخته صفيه بنت عبد المطلب بالرد عليه .

فقد ذكرت بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم في المرة الثانية : « إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم . ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذى إله إلا هو إني لرسول الله اليكم خاصة . وإلى الناس كافة والله تقو تن كما تنامون . ولتبعن كما تستيقظون . ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالاحسان إحسانا وبالسوء سوءا . وإنها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا . والله يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به إنسى قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة . وتكلم القوم كلاما ليتنا غير أبى هب . فإنه

قال : يا بنى عبد المطلب هذه والله السوءاء . خذوا على يده ، قبل أن يأخذ على يده غيركم . فإن أسلمتموه حينئذ ذلكم . وإن منعتموه قتلتم .

فقالته أخته صفية بنت عبد المطلب — عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم — اى أخى : أيجسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العماء يجبرون أنه يخرج من بنى عبد المطلب نبى . فهو هو قال : هذا والله الباطل والأمانى وكلام النساء فى الحجال . إذا قامت بطون قریش وقامت معها العرب . فما قوتناهم فوالله مانحن عندهم إلا أكلة رأس . فقال أبوطالب : والله نفعنا ما بقينا » (٢٩) .

وقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم هنا الاتصال الشخصى بآل عبد المطلب . وحاول محاورتهم إثر إيطعامهم . لكن أبولهب حال بينه وبين هذا الحوار . وأدى هذا إلى دفع صفية وأبوطالب لإعلان حمايتهم لابن أخيم وأن لم يكن أبوطالب مؤمنا كما وقف الباقون بين التعاطف والحياد . غير أنه لم يعلن العداء له غير أبى لهب كما حاول على بن أبى طالب إخراج أعمامه ليعلن بعضهم الدخول فى الاسلام ومؤازرة النبى صلى الله عليه وسلم ومؤاخاته لما طلب منهم ذلك . حيث سكت على أولا لحدائه سنة . ولوجود أعمامه . ولكن لما كرر النبى صلى الله عليه وسلم مقولته . أعلن على أنه وزيره . وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخوه . وأمرهم بالسمع والطاعة له . وأنه يومها لأحدثهم سنا . وأسوأهم هيئته .

يقول على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم و بعد أن تكلم قال لبقومه بنى عبد المطلب « أئكم يقضى عنى دينى . و يكون خليفتى فى أهلى ؟ فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله . وقال على : سكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى . فسكت العباس . فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله قال : أنت ؟ وإنى يومئذ لأسوأهم هيئته . وإنى لأعمش العينين . ضخم البطن خمش الساقين » (٣٠) .

(٢٩) رؤوف شلى ، مرجع ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣٠) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

وبذلك نفذ النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر به عز وجل في أن يمارس الإعلام بالرسالة جهرا . وبلغ ذلك إلى عشيرته ، بنى عبد المطلب . وقد نفذ ذلك بأسلوب يدل على حرصه وحاسه لرسالته . وضمن بذلك تعاطف وحماية عشيرته وأهله له . كما علم موطن الخطر من أهله . وهو عمه أبو لهب . حيث تبين إصراره على عداوته وعداوة رسالته .

وبذلك بدأ النبي صلى الله عليه وسلم ينتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة إعلامية أكثر اتساعا . في طمأنينة ، وثقة . حيث هو قد دعا أسرته وأمنت . ثم كان له أصحاب آمنوا في المرحلة السرية . وبدأوا وينشرون الاسلام في مكة وفي بعض القبائل المجاورة . ثم بدأ جهرة الإعلام العلني ببني عبد المطلب فضمن تعاطفهم وحمايتهم . أو على الأقل ضمن حياد غير المتعاطفين منهم . وهذا الجهد الاعلامي الذي مارسه النبي صلى الله عليه وسلم يتسم بالتسلسل المنطقي . من الأسره إلى الأصدقاء والأصحاب في المرحلة السرية . ثم إلى عشيرته الأقربين في بداية المرحلة العلنية . مما مهد الانطلاق في ثقته إلى الإعلام ملكه كلها . ولكل بطونها وقبائلها . وبذلك بدأ الإعلام برسائله إلى كل مكة .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « وأندركم عشيرتكم الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني برىء مما تعملون » .

« هذه النذارة الخاصة لا تنافي في النذارة العامة . بل هي فرد من أجزائها . كما قال تعالى : « لتندركم قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون » وقال تعالى « لتندركم القرى ومن حولها » وقال تعالى « وأندركم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم » وقال تعالى : « لتبشركم المتقين وتندركم قوما لدا » وقال تعالى « لأندركم به ومن بلغ » . وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة . منها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل « وأندركم عشيرتكم الأقربين » أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب يا بني فهر . يا بني لؤي . أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا يسفح هذا الجبل تريد أن تغبر عليكم صدقتهموني ؟ » قالوا : نعم . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب

شديد» فقال أبو لهب: تبالك سائر اليوم. أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله «تبت يدا أبي لهب وتب».

ويروى الإمام أحمد أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتكم الأقربين» دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال: «يا معشر قريش أنفذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني كعب أنفذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني هاشم أنفذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني عبد المطلب أنفذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة بنت محمد أنفذى نفسك من النار. فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا. إلا أن لكم رجما سابلها ببلاها» (٣١).

ورجما ما حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأ بدعوة بني عبد المطلب على الطعام وإبلاغهم. ثم النداء على الصفا بعد ذلك. ومايمنا في هذا المجال هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأ الإعلام برسالة الله عز وجل جهرا وانتقل من مرحلة الإعلام السرى إلى مرحلة الإعلام الجهرى. بطريقة فيها تسلسل منطقي وسلامه تدل على كياسته وفطنته. واستفادته من الإعداد الذى سبق أن أعده الله عز وجل به قبل البعثه وفى بدايتها حيث تجسّد كل ذلك فى الطريقة التى مارس بها النبي صلى الله عليه وسلم الإعلام سواء فى المرحلة السرية أو بعدها فى المرحلة الجهرية.

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخبر الناس بدعوته ورسالته ويشرح لهم أهدافها: ويعلمهم طريقها ويرشدهم ويوجههم إلى فوائدها. انطلق بكل قوته وحساسه داخل مكة وخارجها. ووسط تجمعات أهلها. فى المسجد، وفى الأسواق. يقرأ القرآن ويدير الحوار والنقاش. ويصد الأذى عن نفسه وعن أصحابه ذلك أن أهل مكة من الكفار لم يكونوا تاركيه يفعل ذلك دون أن يتصدوا له ولأصحابه. مدافعين عن عقائدهم وأصنامهم وعاداتهم وتقاليدهم. وسكرهم ومجونهم.

(٣١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

يقول ابن كثير: «استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً . وسراً وجهاراً . لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يردّه عن ذلك راد . ولا يصده عن ذلك صاد . يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومخافهم وفي المواسم . ومواقف الحج . يدعون من لقيه من حروبي وضيعيف وقوى . وغنى وفقير . جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء . وتسلب عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قریش بالأذية القولية والفعلية . وكان من أشد الناس عليه عمه أبولهب وامراته أم جميل .

أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الدليل وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز من أسواق الجاهلية . يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله . ووراءه رجل أحول تقدر جنتاه . وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكنم هذا عن دينكم ودين آبايكم . قلت من هذا ؟ قيل هذا أبولهب . وفي روايه أخرى عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : «يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب . إذا هو أبوجهل . وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يعرنكنم هذا عن دينكم . فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال أبوجهل . والظاهر أنه أبولهب « (٣٣) .

هكذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ رسائله الإعلامية برسالة الله عز وجل في كل مكان . فيه تجمع لقريش وغيرها . هو يوجز رسالته الإعلامية في كلمات مركزه واضحة عميقة المعنى . تجمع كل ما يريد ابلاغه وقوله . ودعوة الناس إليه كما أن قريش تفهمه جيداً فقد كان يعلم أنهم على درجة من الذكاء . والقدره على الفهم لهذه العبارة الموجزة «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فهي رسالة اعلاميه مركزه تثير الفكر وتدعوا الى اعمال العقل . كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يدرك منذ البداية . أن هذا الجمهور سوف يتصدى له . ويقطع عليه كلامه لذا لابد من رسالة قصيره مركزة . تجمع كل ما يريد قوله . وفي ذات الوقت لابد أن تكون واضحة ومفهومة وهي المعادلة الإعلامية الصعبة .

(٣٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٤٠، ٤١ .

كيف نمطى الجمهور اكبر قدر من المعلومات في أقل حيز من الزمان أو المكان بأوضح أسلوب وعلماء الإعلام في العصر الحديث قد حاولوا حل هذه المعادلة وتحاولون عن طريق المؤلفات المطولة في فنون الخبر والتحريير الإعلامى بأشكاله المختلفة صحفياً كانت أو إذاعية أو غيرها .

وهنا نرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم بممارسته الإعلامية الواعية والمستنيرة . فقدم رسالته الإعلامية بما يناسب الزمان والمكان . وجمع بين التركيز والقصير والوضح . وإثارة الفكر . فهو يعلم أنه لن يستطيع إطالة الكلام في بداية أمره ولذا يركز ما يريد في جملة واحدة « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . فهو يفهم جمهوره جيداً . يفهم الظروف المحيطة برسالته .

و يفهم أنه لا يستطيع الإطالة والشرح . وإلا لوفعل ذلك لقطع عليه المعاندون من الأعداء الحديث . ولما تفهم الناس في السوق أو في المسجد أو في موسم الحج ماذا يريد هذا الرجل أن يقوله . لكنه كان يقوله جملة واحدة . حفظها الكثيرون . وفهمها الكثيرون . وانفعلوا بها . وفكر بعضهم فيها فاسلم بعد ذلك .

وبذلك نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يرسى قواعد الاعلام وأسسها ويعلمها للناس جميعاً . كيف يواجهون الجمهور كيف يفهمون الجمهور . ماهى الأساليب والوسائل المناسبة لكل موقف . كيف تصاغ الرسالة الإعلامية المناسبة للجمهور والموقف . وللزمان والمكان .

وننتقل إلى أسلوب آخر من الأساليب الإعلامية التى استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في ابلاغ رسالته . إنه أسلوب قراءه القرآن في المسجد لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد الحرام . و يقرأ القرآن . فلماذا لا يقرأه في بيته . أو في مكان آخر . إن المسجد الحرام هو مكان تجمع زعماء مكة فهو نادهم . ومكان جلوسهم المفضل . وهم أعداؤه . وهولاشك تعرضه للأذى منهم . فلماذا يقرأ جهراً في هذا المكان ؟

لقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أنهم يتذوقون الأسلوب الجميل . و يفهمون ما يحمل من معانٍ . كان النبي يعلم أنهم وإن أظهروا العداء إلا أنهم في حقيقته أمرهم يحبون سماع هذا الكلام . فهو جميل الأسلوب . رصين العبارة .

عميق المعنى . يتسم بالإبداع الفنى فى عباراته وجله . والتسلسل والمنطقى فى معانيه . لذا كان يجلس فى المسجد و يتلو القرآن جهرا . أو يصلى به جهرا . فضحيا بأن يتعرض لأذى المشركين من أهل مكة وجبايرتها فى سبيل أن يسمهم القرآن . حتى يتذكروا فيه . وقد شهد الكفار فى غير موضع وأكثر من مره بأن هذا الذى يتلوه محمدا ليس من كلام البشر .

وليس هناك أدل على مدى أهمية هذا الأسلوب وفائدته مما حدث من خروج ألد أعداء محمد ذات ليلة . كل منهم يحاول أن يتسمع القرآن من محمد خلسة أو خفية من قومه . حتى لا يلومونه . أو حتى لا يكون ذلك دافعا للبعض للدخول فى دين محمد والاستجابة لدعوته .

« قال ابن اسحاق : إن أبا سفيان بن حرب . وأبا جهل بن هشام . والأخنس بن شريق . خرجوا ذات ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل . فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه . كل لا يعلم بمكان صاحبه . فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق . فتلاوموا . وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا . فلوراكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى أنفسه شيئا . ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية . عاد كل رجل منهم إلى مجلسه . فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق . فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعهد ألا نعود على ذلك . ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه . ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها . وسمعت أشياء ما عرفت معناها . ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا الذى حلفت به .

ثم خرج الأخنس من عند أبى سفيان حتى أتى أبى جهل . فدخل عليه بيته . فقال : يا أبا الحكم . ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت . تنازعنا

نحن وبنو عبد مناف الشرف . أطعموا فاطمنا . وحملوا فحملنا . وأعطوا فأعطينا .
حتى إذا تحاذينا على الركب . وكنا كفارس رهان . قالوا : منا نبي يأتيه الوحي
من السماء . فتى ندرك مثل هذه . والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق . فقام عنه
الأخنس وتركه » (٣٣) .

فلولا انشغال فكر أمثال هؤلاء بما سمعوه من محمد من قرآن أثناء قراءته في
المسجد نهارا . فوالذي يدفعهم للسهر والتخفى للاستماع . ثم التفكير فيما سمعوا
وسؤال بعضهم بعضا عن ماسمعه . وعن معناه . ورأيهم فيه . وهذا يدل على مدى
نجاح هذا الأسلوب الاعلامي النبوي العظيم . فإذا كان هذا حدث من هؤلاء
الجبابرة المعاندين لمحمد ورسالته . فماذا عن غيرهم .

وكان من الأساليب الإعلامية التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم في
هذه الفترة . ما كان يلقاه من الأذى وردة على من يؤذونه لا بالسب والشتم . أو
القتال . أو بمثل أساليب السلبية . وإنما كان يرد عليهم بأساليب مختلفة تماما
حيث كان يرد عليهم بدعوتهم ورسالته . فهو بذلك يقابل السيئة بالحسنة . لأن الله
أعده بالخلق الحسن . وهذا يفيد في امتصاص غضبهم من ناحيه . و يفيد في جذب
الانتباه إلى مثل هذا الأسلوب الذي يرد به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي
يستطيع الرد عليهم بأساليب السباب والقتال . لأنه من أبناء سادتهم ولأنه يضمن
حمایه أهله وعشيرته له . وعدم تفریطهم فيه . كما ذكرنا من قبل ومع ذلك يرد
بالحكمه والموعظه الحسنه . وبذلك يضمن تعاطف البعض . واعجاب البعض به
وبرسالته . فإن لم يستحيبوا على المدى القصير . تأثروا واستجابوا على المدى
الطويل . وستنصب أمثله لذلك .

« روى البيهقي عن يحيى بن عروه عن أبيه قال : قلت لعبد الله بن عمرو
بن العاص : ما أكثر ما رأيت قرشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فما كانت تظهر من عداوته ؟ فقال لقد رأيته وقد اجتمع أشراهم يوما في الحجر .
فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : ما رأينا مثل ما صيرنا عليه من
هذا الرجل قط . سفه أحلامنا وشم آباءنا . وعاب ديننا . وفرق جماعتنا . وسب

(٣٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

آهتسنا وصرنا منه على أمر عظيم قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل يمشى حتى استلم الركن . ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول . فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مر بهم الثانيه غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه . فرمهم الثالثه فغمزوه بمثلها . فقال « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفس بيده لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طير واقف . حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه . حتى إنه يقول : انصرف يا أبا القاسم راشدا فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم . فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم . وما بلغكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوثبوا إليه . وثبة رجل واحد . فأحاطوا به . يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آهتهم ودينهم . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه . وقام أبويكرينكى دونه ويقول : و يلکم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط « (٣٤) » .

وهنا نجد أنهم يستعملون أساليب الغمز وهو الكلام المعيب مره . ويستعملون محاولة الأذى الجسدى مره اخرى ، وفي الأولى يرد النبي صلى الله عليه وسلم برسالة موجزة مخيفه . يجعلهم يصمتون فجأه . ثم يحاولون تهدأته بكلام لين ويصفونه بأنه صاحب خلق حسن . وفي المره الثانيه . يقوم أبويكر بهذا الدور حيث يقول لهم : أتقتلون رجلا أم يقول ربي الله ؟

وفارق بين الأسلوبين كبير . فالنبي صلى الله عليه وسلم يقوم بالإعلام للدعوه وعنها حتى أثناء إيذائه . يقوم بإعلامهم وتخويفهم وإنذارهم وتحذيرهم عليهم يرجعون . ويفيقون من غفلتهم . ونرى مدى تأثير ذلك الأسلوب عليهم حيث أخذت القوم كلمته فجأه فجعلتهم وكأنا على رؤسهم الطير . لشده وقع كلمته عليهم . ولورد عليهم بالغمز أو السباب لأصبحت معركة . وتطور الأمر الى حد

(٣٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٤٦.

القتال بين القبائل . ولكنه صلى الله عليه وسلم يخيفهم ويُعلمهم في آن واحد «أتسمعون يا معشر قریش» وعندما يلتفتون يقسم لهم «أما والذي نفس بيده» وبعد أن يشدهم القسم إلى الاستماع وهم لا يشكون في مدى صدقه «لقد جئكم بالذبح» . وكانت هذه الكلمات السريعة المتلاحقة أقوى من السيوف على رقابهم . لقد أسكنتهم وأخافتهم . حتى هدأوه باحسن ما يجدوا من القول . ثم تلاوموا . وعادوا لا يذانه أو يحاوله ايدانه في اليوم التالي . ولما حاولوا ذلك كان الدور الاعلامى لأبى بكر فلم يقم دونه مقاتلا . ولا سائبا ولم يرد بمثل اسلوبهم . وانما بمثل اسلوب النبى صلى الله عليه وسلم . حيث يقول لهم «اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» ولم يجدوا عندهم ردا عليه ولا على أبى بكر . فيتركونه وشأنهم وهم الأكثر عددا وقوة . وهم المليشيه قلوبهم بالغيف والحقد والكدمنه صلى الله عليه وسلم ومن رسالته وعليها .

والأمثلة في ذلك كثيرة . فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يلقي الأذى . ولا يرد بأذى مثله . وانما كان يرد بآيات القرآن الكريم . فقد حدث هذا حينما رد القرآن بآياته على أبى جهل لما تهكم بشجرة الزقوم . وعلى أبى بن خلف لما قتت العظام في يديه وقال : «يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم ؟ ثم نفخه في الریح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله : نعم أنا أقول ذلك . يبعث الله وياك بعدما تكونان هكذا . ثم يدخلك الله النار . وينزل قول الله عز وجل رادا عليه . ومعلنا لهم جميعا الحقيقة التى لامراء فيها «وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون» (٣٥) وهكذا رد عليه القرآن كما رد على غيره من الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وكان من أساليب النبى صلى الله عليه وسلم الاعلاميه لنشر دعوته أنه كان يقوم بمواساة أصحابه الذين كانوا يلقون الأذى والتعذيب في مكة . فع كونه صلى الله عليه وسلم يلقي الأذى و يتصدى له . إلا أنه كان يقوم ببيت الطمانينة في

(٣٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٤٨ .

نفوس أصحابه . وكان لذلك الأسلوب أهمية كبرى لدى أصحابه . حيث يرون فيه الحماية والمنعة ، و يلمسون منه الرحمة والرفاه عليهم . والرقه لحالهم مما يجعلهم يستنز يدون صلابة في الدفاع عن الاسلام ونشره . وبث رسالته الى كل الناس . ويمسح جراحهم حيث يرفع روحهم المعنوية : فن كان يسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم و يدعو له كان يرى في ذلك خير عظيم وفضل كبير . ورحمة ما بعدها رحمة .

كما كان هذا الأسلوب أهمية أخرى أيضا أمام أعداء الاسلام . فقد كان هذا الأسلوب يعرض صورة المسلمين - النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - في صورة متماسكة . وحالة نفسية مرتفعة . فهم لا يبالون بما يلحقون من الأذى والتعذيب . وهم يمسح جراح بعضهم البعض . ويواسي بعضهم بعضا . ويقف كل منهم الى جوار الآخر . مؤثرا ومساندا . ويؤدي هذا إلى يأس الكفار أيضا من ابطال دعوه الإسلام ورسالته . فها هو محمد رغم الأذى صامدا مدافعا بل ويواس أصحابه . وها هم أصحابه يتحملون في صبر وصمت . و يرون في مواساته لهم ما يمسح جراحهم . و يدفعهم الى الاستمرار .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمارس هذا الأسلوب مع أصحابه بطرق مختلفة . فتراه يرق لحال البعض . و يسمح رأس البعض . و يدعو للبعض ويشدد في الكلام على البعض منهم . فكل منهم له أسلوب في المواساة وبث الطمأنينة في نفسيته ورفع روحه المعنوية وسنضرب أمثله لذلك أيضا .

« قال ابن اسحاق : كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت اسلام - إذا جئت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة . فيمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول « صبر آل ياسر فإن موعدكم الجنة » (٣٦)

وفي روايه أنه صلى الله عليه وسلم كان يمر بال ياسر . وهم يعذبون في الشمس الحارقة ليرتدوا عن الاسلام . فيقول له ياسر : يا رسول الله . اذهب هكذا . فنقول : « صبر آل ياسر . اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » (٣٧) .

(٣٦) ابن كثر ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٥٨ .

(٣٧) محمد يوسف الكائد هلاوى ، حياة الصحابة ، الجزء الأول (مجهول البلد والناسخ ، ١٣٧٨ هـ) ص ٢١٠ .

وذكر بن كثير في تفسير قول الله عز وجل «إلا من : ر : وقلبه مطمئن بالإيمان» عن ابن عباس رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . فوافقهم على ذلك مكرها . وجاء معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله هذه الآية .

وفي روايه عن أبي عبيده محمد بن عمار بن ياسر قال : إني المشركون عمار بن ياسر . فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا . فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كيف تجد قلبك» قال : مطمئنا بالإيمان . قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن عادوا فعد» (٣٨) .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في مواساته لأصحابه الذين يلاقون التعذيب والأذى . يستعمل أسلوبا إعلاميا فريدا . وقد ذكرنا من قبل رفته لحال أبي بكر رضي الله عنه يوم أن جهر بالدعوة في المسجد الحرام وسط جوع الكفار وآذوه إذا بالغا . رقى النبي صلى الله عليه وسلم لحاله رقة شديده .

وكان هذا الأسلوب في حد ذاته بليغا . في ابلاغ الرسالة . فهو اعلان للكفار أن جهد الاعلام بالدعوة مستمر من جانب محمد صلى الله عليه وسلم . وجانب أصحابه مهما بلغ التعذيب . والأذى ، حتى ولو استشهد بعضهم كما حدث لسميه زوجة ياسر والتي كانت أول شهده في الاسلام . حتى ولو استشهد ياسر بصورة بشعه حيث ربط أعداء الله رجلاه في حبلين . وربطوا كل حبل في يمينه وسيقا في اتجاهين متضادين فشق نصفين . حتى لو خلع ذراع سلمه الطفل . وحبست أم سلمة فلم تهاجر مع زوجها . حتى ولو حدث ما حدث مع بلال وخباب وأبي ذر ومصعب بن عمير . فقد لاقوا جميعا الأذى سادة وعبيدا . ولاقاه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه . وهو قائم يرد النسيئة بالحسنه . و يواسي أصحابه ويعلمهم . بل ويمارس الاعلام بالرسالة للكفار ذاتهم . و ينضم من يؤمن منهم الى صفوف المسلمين كما حدث لعمر بن الخطاب وغيره .

وكان من أمثله هذا الأسلوب الاعلامي الذي مارسه النبي صلى الله عليه وسلم في تخفيف الأذى عن أصحابه ومواساتهم . ورفع روحهم المعنوية أنه كان

(٣٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٧ .

بعضهم بعضهم بذكر أمثله المذنبين من المؤمنين في الأمم السابقة و بيان أن ما يلاقونه هم أقل من غيرهم . فهو بحكمته وأسلوبه ، يرق و يواسي أحيانا . و يشتد أحيانا . في كلتا الحالتين يرفع الروح المعنوية لأصحابه . و يثبت في عضد أعدائه و يدفعهم الى اليأس من عداوة هذه الرسالة .

« روى البخارى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد ببردة في ظل الكعبة . وقد لقينا من المشركين شدة . فقللت ألا تدعوا الله ؟ فقد وهو محمر وجهه فقال : « قد كان من كان قبلكم يمشط بأفشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه . ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » (٣٩) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان يشتد على أحد أصحابه لشكواه وطلب الدعاء لعلمه بنفسه خباب . ثم يذكره بما كان يحدث للمؤمنين في الأمم السابقة و ثباتهم رغم ذلك على دينهم . ثم يطمئنهم و يطمئن الأمة كلها في النهاية الى أن هذا الأمر سيستمه الله عز وجل لا محالة . حتى تصير جميع البلاد أمنا . ولا تكون هناك فتن ولا يكون أذى . ولكنكم تستعجلون .

كان من الأساليب الإعلامية التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم أيضا . أسلوب محاوره الكفار والمشركين . والرد على أسئلتهم واجابة كل منهم بما يقنعه من أسلوب . فبعضهم يرد عليه بالقرآن . وبعضهم يرد عليه باجابات مختصرة . وبعضهم يرد عليه بالحجج والمنطق . و يضيق عليه الخناق حتى يقتنع كما فعل مع الحصين بن عمران . وهكذا كان رده وجواره مع المشركين أسلوبا اعلاميا فريدا و متميزا . يدل على مدى فهمه لرسائله و جمهوره . وكيفيه صياغته للرسالة في الأسلوب المناسب للمتحدث إليه ومن ثم كان إحداث التأثير . وبعضهم تأثر ثم تمادى في عناده كما حدث لعتبة بن ربيعة . وبعضهم تأثر واستجاب فأمن كما حدث مع عمران بن الحصين .

(٣٩) عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، مرجع ، الجزء الثانى ، ص ٢٨١ .

وقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب مع بعض الأفراد فرادى ومع أكثر من فرد ومع جماعة من الكفار. كل موقف حسب ما يقتضيه وكل حالة من تلك الحالات. لها عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يناسبها من الأسلوب. وما يلائمها من الوسيلة. وهو في كل الحالات. حسن الخلق. حلو الحديث. بديع المنطق. جميل اللفظ. يصغى إلى محدثه باهتمام بالغ. ولو كان كلامه غير مفيد. وهو يعلم ذلك. ومع ذلك يستمر مصغيا إليه في اهتمام بالغ. . . ليشعره بأن له أهمية ما. وأنه لا يحقر من شأنه ولا من شأن كلامه، حتى إذا فرغ تحدث إليه. فاختار ما يناسبه من حديث. واجبره بأدبه وحسن خلقه على الإنصات. لأنه أنصت أولا. وهو بذلك يعلمنا صلى الله عليه وسلم فنون الأحاديث والحوار الإعلامية. ويرسم أسسها. ويرسي دعائمها لرجال الاعلام في كل زمان وكل مكان. حتى يستفيد الناس. ويتعلموا طريقه إدارة الحوار الإعلامي. وطرق الإقناع والتأثير. والدفع الى الاستجابة بالحجة والمنطق العقلاني. الذي لا يندم عليه من تأثر به. بل هو نفسه يصبح مدافعا. لأنه استجاب بعقله لا بعاطفته. ولا تحت تأثير القوه ولا الإثارة. لأن هذه المؤثرات وقتية في حد ذاتها. ينتهي معفوها بانتهاؤها و يعود صاحبها الى ما كان عليه. ولم نسمع قط عن مسلم دخل الإسلام بعد مثل هذا الحوار العقلاني المقنع ثم تراجع عن الإسلام أو ندم على الدخول فيه.

ولو كانت القضية. قضية كلمه تقال. أو تأثر وقتي لما ظل النبي صلى الله عليه وسلم ينشر إعلامه ليقنع المجتمع المكي بكلمه واحدة هي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» طوال الثلاثة عشر عاما في مكة. وإنما هي قضية اقناع. ولم يكن مهما عدد المستجيبين. ولا عدد المؤمنين. وإنما المهم هو الثبات على الإيمان بعد الاقتناع الصادق. فهي قضية كيفية. وليست قضية كمية.

وسنضرب أمثله لممارسة النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب الإعلامي المتميز. لنرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعلاميا قديرا. ولنرى ونستفيد من طريقته صلى الله عليه وسلم في إدارة فنون الحوار الإعلامي المختلفة.

«روى ابن اسحاق أن عتبة بن ربيعة — كان سيدا — قال يوما وهو جالس في نادى قریش — ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده —

يا معشر قريش : ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا . لعله يقتل بعضها .
فنهطه أيها شاء . و يكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزه . ورأوا أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يز يدون و يكثرون . فقالوا بلى يا أبا الوليد . قم إليه فأكلمه .
فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال يا ابن أخي .
إنك منا حيث قد علمت من السطة — الشرف — في العشيرة . والكان في
النسب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم . فرقت به جماعتهم . وسفهت به
أحلامهم . وعيت به آهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني
أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم . قل يا أبا الوليد أسمع قال : يا ابن أخي . إن كنت تريد بما جئت به
من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا . وإن كنت تريد به
ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك ربياً نراه . لا تستطيع رده عن
نفسك . طلبنا لك الطب . وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع
على الرجل حتى يداوى منه . حتى إذا فرغ عتبة . ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يستمع منه . قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال النبي صلى الله
عليه وسلم : فاسمع مني الآن . قال عتبة : أفعل . فقال النبي صلى الله عليه
وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم
لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ... » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها . وألقى يديه خلف ظهره
معتددا عليها يسمع منه . ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها
فسجد . ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . (وفي روايه أن
عتبه لما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل « فإن اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » أمسك عتبة بقمه وناشده
الرحم أن يكف . وقال له حسبك ما عندك غير هذا . قال لا فرجع إلى قريش) .

رجع عتبة إلى أصحابه . فقال بعضهم لبعض : تخلف بالله لقد جاءكم
أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم . قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد

قال : ورائى قد سمعت قوله . والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قریش : أطيعونى واجعلوها بى . وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكون لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم فإن تصيبه الحرب فقد كفيتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب فلكم ملككم . وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك يا أبا الوليد بلسانه قال : هذا رأى فيه . فإصنعوا ما بدالكم » (٤٠) .

وفى روايه أخرى « عن جابر بن عبد الله . أن قریشا اجتمعت يوما فقالوا : انظروا أعملكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا . فليكنمه . ولينظر ماذا يرد عليه ؟ . فقالوا ما نعلم أحد غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة » (٤١) .

وقد اختارت قریش مبعوثها لمحاورة محمد صلى الله عليه وسلم . أختاروا أعلمهم بالسحر ، والكهانة ، والشعر . لعلمهم بمنطق محمد صلى الله عليه وسلم . وحديثه وقوة حجته وقدرته على الاقتناع . لذا لم يرسلوا إليه أى مبعوث . وإنما تختاروا مبعوثهم . ليكون قادرا على تفهم رد محمد . ويكون قادرا على الرد عليه . ومجادلته واقناعه . وذلك لما أسلم حمزه وكثر أتباعه .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم أقدر فى فهم محدثه . فهو يعلم مدى علمه بالكلام وفنونه . من شعر إلى سحر إلى كهانة إلى غيرها . كما كان يعلم أنه يستطيع أن يفهم معانى القرآن العظيم ، وما فيه من عظات وعبر . وتحذير وتحذير وإنذار .

بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بطبيعته وخلقه الذى أعده الله عز وجل به يسمع من عتبة بن ربيعة . ولم يصدده . ولم يعرض عنه لأنه كافر أو مشرك . هذا من حكمه النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يخسر القضية من بدايتها . ومن ذلك يجب أن يتعلم رجال الإعلام الإسلامى فى المؤسسات الإعلاميه . وفى المساجد . وكل من أخذ على عاتقه أن يتحدث باسم الإسلام أن يسمع من جميع الناس . فهما

(٤٠) ابن هشام ، السيرة النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٤١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٦٢ .

كان المتحدث فلن يكون أكثر كفرا من عتبه بن ربيعة . فلا نرفض الاستماع للبعض بحجة أنهم يخالفون بعض قواعد الاسلام مثلا . أولاتها مهم بكذا أو كذا . فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يُعلم . و يسمع من عتبه وهو يعلم أنه كافر و يظل يسمعه وهو يعرض عليه الباطل . فلا يثور ، ولا يجتد . ولا يقطع كلامه . ولا يرده ردا غير جميل ولا يكثر في وجهه . وإنما يسمع إلى النهاية ، ثم يقوله له في أدب رباني عال : أقد فرغت يا أبا الوليد . مكتئبا إياه بالكنية التي يحبها . فيقول عتبه نعم . فيقول له النبي : فاسمع مني . فيقول عتبه : أفعل .

هكذا يكون فن الحوار الإعلامي . بكل أشكاله وفنونه . فن الأشياء المعيبة على الاعلاميين مثلا في العصر الحديث . أن الاعلامي في إجرائه للحوار يتحدث أكثر من المتحدث نفسه . أو يظهر علمه وثقافته . ويتعالى عليه أو نحو ذلك . مما يؤذى شعور المتحدث . بل قد يصل الأمر من بعض الاعلاميين أنهم يسألون ومجيبون . والمتحدث يكتفى بالتأمين على كلامهم . وكأنه جاءه ليأخذ منه الموافقة على مثل هذا الحديث .

و يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على عتبه . لا بكلامه ، ولكن بكلام الله عز وجل . ويشخّر له سورة من القرآن . تهزها الأفتدة والعقول . وتخلع لها القلوب فيقرأ عليه سورة فصلت . و يقول البعض أن عتبه لم يستطيع سماع السورة حتى نهايتها . وخاف من الصاعقة . ورجع مخلوع القلب إلى قومه . محذرا ومنذرا ، وقائلا . اطيعوني هذا اليوم واعصوني فيما بعده . وما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .. خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه . فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب فعزه عزلكم . وملكه ملك لكم . وكنتم أسعد الناس به .. قالوا سحرك يا أبا الوليد .

كان هذا تأثير القرآن . وبالتحديد تأثير سورة فصلت على عتبه . وكان دور النبي صلى الله عليه وسلم الإعلامي التقدير . هو تحييز الرد . وتحيز القرآن بالذات في الرد على عتبه . وتحيز سورة فصلت بالتحديد .. ثم في نهاية قراءتها يقول النبي صلى الله عليه وسلم لعتبه . قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

وهذا يترك النبي صلى الله عليه وسلم لعتبه بعد أن أسمع القرآن . ورأى تأثيره عليه وهو جالس . حيث ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها . يترك له

حرية الرأي والاختيار. فهو يعلم صلابة رأى عتبه. واعتزازه برأيه وبشخصيته. فلا يميل عليه رأيا حتى لا يتكون لديه رأيا مضادا. وحتى لا يصم أذنيه ولا يفلق عقله عن التفكير فيقول له «أنت وذاك» لك حرية الاختيار. ويؤثر هذا في عتبه. فيرجع الى أصحابه معلنا رأيه. ومحاولا اقناعهم. على الأقل باعتزال محمد وانتظار نتيجة أمره. فإن اصابته العرب فقد كفيتموه. وإن ظهر فغره عزلكم وملكه ملك لكم.

وهذا أيضا يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم مبدءاً إعلامياً هاما. سبق به أساتذته العصر الحديث. وهو فصل الرأي الخاص عن الرسالة الإعلامية. حتى لا يتأثر المستقبل تأثراً قد يكون ضاراً. وحتى لا يثمل عليه رأى غيره. فكل إنسان يحب أن يكون قد تأثر نتيجة تفكيره ورأيه. ويكفي الإعلامي هنا إبلاغ الرسالة الإعلامية.

ومحاول أساتذته الاعلام المناداة بهذا. فيذكرون أنه لا بد من الفصل بين الرأي والخبر على سبيل المثال وكذلك في سائر فنون التحرير الإعلامي المختلفة والمتنوعة.

«ففى تحرير الأخبار يجب الحرص على الدقة وعدم إعطاء الأخبار لونا معينا. وكذلك عدم إبداء الرأي الشخصى فى صلب الخبر. فللرأى مكانه فى الجريدة أو المجله. فالصحف المحترمة لا تحور الحقائق بما يتمشى مع أهدافها. ولكنها تبرز الأخبار لتأكيد سياستها. أما تحوير الخبر فهو خروج على مبدء الصحافة» (٤٢).

ومن أمثله ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال. ما حدث حينما جاءه الحصين بن عمران. وكان شيخا عظيما فى العرب. وجاء لمحاوره رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحوار يعرض لنا قدرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الإعلامية. وقدرته على الاقناع وقدرته على السيطرة على الموقف، وإدارة الحديث بما يؤدى إلى الاستجابة عن اقتناع «جاءت قريش إلى الحصين— وكانت تحظمه— فقالوا له: تكلم لنا هذا الرجل. فإنه يذكر آهتنا ويسبهم. فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي، صلى الله عليه وسلم. فقالوا: أوسعوا للشيخ. وعمران وأصحابه متوافرون.

(٤٢) عبد العزيز شرف، فن التحرير الإعلامي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠) ص ٢٤٢.

فقال حصين للنبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذى بلغنا عنك . انك تشتم آلهتنا وتذكرهم . وقد كان أبوك حصينه (٤٣) وخيرا ؟
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا حصين : كم تعبد من إله ؟
قال الحصين : سبعا فى الأرض وواحد فى السماء .

قال النبي : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟
قال الحصين : الذى فى السماء .
قال النبي : فإذا هلك المال من تدعو ؟
قال الحصين : الذى فى السماء .
قال النبي : فيستجيب لك وحده وتشرکهم معه . أرضيته فى الشكر ؟ أم تخاف أن يقلب عليك ؟
قال الحصين : لا واحده من هاتين . قال : وعلمت أنى لم أكلم مثله .
قال النبي : يا حصين أسلم تسلم .
قال الحصين : إن لى قوما وعشيرة فماذا أقول ؟
قال النبي : قل : اللهم استهديك لأرشد أمرى . وزدنى علما ينفعنى .

فقلنا لها الحصين . فلم يقم حتى أسلم فقام إليه عمران ابنه — وكان مسلما جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم — فقبل رأسه و يديه ورجليه . فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بكى وقال : « بكيت من صنيع عمران . دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران . ولم يلتفت ناحيته . فلما أسلم قضى حقه . فدخلنى من ذلك الرقه . فلما أراد حصين أن يخرج قال النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤٣) الحصينه : كما يذكروا صاحب لسان العرب فى ص ٩٠٢ أنها الدرع الآمينه . ولعل المقصود أن أباء كان نوبا وأمينا .

لأصحابه : قوموا فشيئوه إلى منزله . فلما خرج من سدة الباب . رآته قریش . فقالوا : صبا وتفرقوا عنه « (١٤) » .

وتقدم هذه القصه . نموذجاً آخر من حوار النبی صلی الله علیه وسلم بعض شیوخ العرب الموقرین لديها . كان النبی صلی الله علیه وسلم يعلم أن الحصین رجلاً عقلانياً . يفکر بعقله ، لا بعاطفته . ولا هو حاقد ولا معاند . لذلك استخدم معه أسلوب الاقتناع والمنطق ، ولیصل إلى الهدف من أقرب الطرق المقننه ولما سأله الحصین ماذا یقول لقریش : لم یلقنه حججه ولا كلاماً . بل لقنه دعوات مبارکة . تثبت قلبه وفؤاده . ولیعلم أن الأمر من الله لا من محمد ولا من غيره . وثبت الحصین على اسلامه وصار من كبار الصحابه . وهكذا نرى أن لكل جمهور رسالته التي تناسبه . وطريقه تصاغ بها تلك الرسالة لتصل إلى الهدف من أقرب الطرق . دون حشو أو تطویل . ودون غموض أو اختصار یخل بالرسالة الإعلامیه ذاتها .

ولنتقدم مثالا في مجال ممارسة النبی صلی الله علیه وسلم لهذا الأسلوب الاعلامی المتمیز والفرید . لنقدم مثالا من محاورته مع مجموعة من الأعداء من مشرکی قریش . بعد أن قدمنا مثالین للحوار مع الأفراد عتبه بن ربيعہ والحصین بن عمران . وكيف تأثر الأول إلى درجه أن طلب من قومه اعتزال محمد وما هو فيه ورغم ذلك لم یستجب ولم یدخل الاسلام . لأن الله لم یكتب له الهدیه . والثانی تأثر ودخل الاسلام بعد حوار منطقی مقنع وقصیر ومركز .

بعد أن رأت قریش أن الحوار الفردي مع محمد غير مقنع . اتفقوا على أن یلتقوا به في صوره جماعیه . هم مجموعه من القرشیین الأفذاذ في اللغة والشعر والسحر والكهانه . وهو وحده یرد عليهم وعلى أسلحتهم . ومحاورهم إما أن یقنعهم وأما أن یقنعوه . ولننظر أسلوب النبی صلی الله علیه وسلم في محاوره هؤلاء المکین المعاندين . وكيف أنه صلی الله علیه وسلم ضرب المثل الأعلى كرجل اعلام قدير برسالة الله عز وجل . فهم وإن كانوا أهل الشعر واللغه ونحوها إلا أنه صلی الله علیه وسلم قد أعدّه الله عز وجل منذ ولادته لحمل أعباء الإعلام بخیر رسالة إلى البشر به .

(١٤) سمیعہ سہی ، الرسول ، الطبعة الرابعه (مجهول البلد والناسر ، ١٩٧٧) ص ١١٥ . نقلا عن الاصابه ج ١ ص ٣٣٧ .

« اجتمع عتبه بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوسفیان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعه بن الأسود، والوليد ابن المغيرة، أبوجهل بن هشام، عبدالله بن أبي، والعاص بن وائل، ونسيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف. اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة. ثم قال بعضهم لبعض: ابعدوا إلى محمد وكلموه. وخاصموه حتى تعذروا فيه. فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهم. فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا. وهويظن أن قد بداهم فيما كلمهم فيه بداء. وكان عليهم حريصا. يجب رشدهم. ويعز عليه عنتهم. حتى جلس إليهم. فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لتكلمك. وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين. وشتمت الآلهة. وسفحت الأحلام. وفرقت الجماعة. فما بقي أمر قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نستودك علينا. وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه غلبك. وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا. فرمى كان ذلك. بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذريك.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بى ما تقولون. ما جئت بما جئكم به أطلب أموالكم. ولا الشرف فيكم. ولا الملك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولا. وأنزل علي كتابا. وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا. فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم. فإن قبلوا منى ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله. حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك. فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدا أضيق بلدا. ولا أقل ماء. ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به. فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا. وليبسط لنا بلادنا. وليفجر لنا أنهار كأنهار الشام والعراق. وليبعث لنا من مضى من آبائنا. وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب. فإنه كان شيخا صدوقا.

فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل . فإن صدقك وصنعت لنا ما سألتك صدقناك . وعرفنا به منزلتك من الله . . وأنه بعثك رسولا كما تقول .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بعثت إليكم من الله . إنما جئكم من الله بما بعثني به . وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم . فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردّوه على أصبر لأمر الله تعالى . حتى يحكم الله بيني وبينكم .

وقالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا . فخذ لنفسك . سل ربك أن بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول . و يراجعنا عنك . وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضه يغتنيك بها عما نراك تبتغي . فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم . وتلتمس المعاش كما تلتمسه . حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل . وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا . ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا . فإن تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردّوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط الساء علينا كسفا . كما زعمت أن ربك إن شاء فعل . فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله . إن شاء الله أن يفعله بكم فعل .

قالوا : يا محمد . أفأعلم ربك أننا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه . ونطلب منك ما نطلب . فيتقدم فيعلمك ما تراجعنا به . ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم نفعل منك ما جئتنا به إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل بالجماعة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا . فقد اعدرنا إليك يا محمد . وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعيد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا أسفا لما كان يطمع به من قومه حين دعوه . ولما رأى من مبادئهم إياه» (٤٥) .

هكذا كان الحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا العدد من المشركين . وجاءهم وكله أمل في إسلامهم . ولما لم يجد ذلك منهم . لم يعتذر عن محاورتهم . بل بدأ يسمع بأذان صاغية وعقلية واعية . فنفى أعارهم التي اتسموا هاله . وبيّن دعوته . ثم بين أنهم يختارون في قبولها أو عدم قبولها .

ولما رأى المشركون ذلك أرادوا أن يدخلوه في متاهات الحوار حتى لا يستطيع الرد . فطلبوا المطالب التي تدل على عدم اتجاههم للتصديق . بدليل طلب من مضى من الآباء لسؤالهم . ويتخلص النبي من هذه التناجات ولا يخوض فيها من بعيد ولا قريب . معلما رجال الاعلام أنه من الكياسة والفطنة ألا يقحم الإعلامى نفسه في مثل هذه المناجات التي تبجده عن هدفه الرئيسى ولكنه يعود بهم الى الهدف الأساس . مبينا دعوته .

ويحاولون ذلك مره أخرى . أن يبعده عن الهدف الأساسى . لكن نفسه هو هذه المره . علّه ينسى هدفه أمام حاجاته الشخصيه التي ذكر وهاله ، محاولين شراء ذمته . ولكنه يعود إلى الهدف الرئيسى . وهى دعوتهم الى رسالته .

وهكذا وفي كل مره يرد النبي صلى الله عليه وسلم مكررا كلمات تكاد تكون موحده في نهاية رده مستخدما أسلوب التكرار . فرعا أهملا أعمال الفكر مره . فلا يفوتهم ذلك في المره الثانيه . وهو أسلوب الاعلامى التقدير . حيث يكرر لهم قوله بعد الرد على كل سؤال : « ما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا . فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حفظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

(٤٥) ابن هشام ، السيرة النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٢٩٤ — ٢٩٦ .

هكذا مارس النبي صلى الله عليه وسلم الإعلام في مكة سرا وجهرا . وما
تحدثنا عنه . إنما هي نماذج ويجرد أمثلة تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم رجل
إعلام قدير . سبق وتفوق على كل رجال الإعلام . فيجب أن نستمد منه طرق
واساليب ممارسة الاعلام . ليكون إعلامنا بالفعل إسلاميا . مفيدا في الدنيا
لإصلاح حال البشر . وفي الآخرة لرضى الله عز وجل .

* * *

الرسول ﷺ والإعلام خارج مكة

— أساليب النبى في ممارسة الإعلام بنفسه خارج مكة في العهد المكي .

أولا : استقبال وفد النصارى بمكة .

ثانيا : ذهاب النبى إلى الطائف .

ثالثا : الرسول يعرض نفسه على القبائل فى الأسواق ومواسم الحج .

رابعا : الرسول يقابل وفد الأنصار ويبايعهم .

خامسا : أحداث الهجرة النبوية إعلام عن الدعوة .

— أساليب النبى فى ممارسة الإعلام بنفسه خارج مكة فى العهد المكى :

لم يقتصر الجهد الإعلامى الذى بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى . على داخل مكة ذاتها . وإنما انطلق إلى خارج مكة . فى القبائل المجاورة لها . وفى أماكن متفرقة . ومتعددة . وقد ذكرنا من قبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوفد بعض من دخلوا الإسلام فى المرحلة السرية . أو فى السنوات الثلاث الأولى من البعثة إلى قبائلهم للقيام بالجهد الإعلامى من أجل الدعوة . مثل أبى ذر الغفارى . والطفيل بن عمرو الدوسى . وعمرو بن عبسة السلمى . وعمرو بن مرة الجهنى .

غير أن الجهد الإعلامى الذى نتحدث عنه فى هذا الفصل والذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم خارج مكة فى العهد المكى . نقصد به جهده العملى والشخصى صلى الله عليه وسلم بصورة علنية واضحة . كما سنتحدث فى الفصل القادم عن جهد الصحابة فى حمل عبء الإعلام عن الدعوة إلى الحبشة وإلى يثرب . وهذا الجهد من الصحابة يختلف عن جهد من حملوها فى المرحلة السرية أمثال الطفيل بن عمرو وعمرو بن مرة ، لأن هؤلاء الأخيرين قد حملوها إلى اقوامهم . أما المقصود بمحدثنا فى هذا الفصل فهو من حملوا الجهد الإعلامى بالرسالة . إلى أماكن أخرى بعيدة وهم عرباء عنها كالحبشة و يثرب مثلاً .

وقبل أن نتعرض لجهد النبى صلى الله عليه وسلم الإعلامى فى خارج مكة فى العهد المكى . والذى مارسه بنفسه . نوضح أن هذا الجهد الذى مارسه النبى صلى الله عليه وسلم منذ بداية بعثته . لنشر الإسلام وتعليمه والدعوة إليه إنما هو عمل إعلامى بكل المقاييس . وأن لم يكن مصطلح الإعلام فى حد ذاته معمولاً به ذلك الوقت من الزمان إذ لم تكن له صفة الشيوع والانتشار مثل لفظ الدعوة .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة « انتشرت دعوة الإسلام بالوسائل المعروفة فى ذلك الوقت ولكن كان القدماء منذ ظهور الإسلام . لا يعرفون هذا المصطلح

الحديث . مصطلح الإعلام . والاتصال بأنواعه الثلاثة . الشخصى والجمعى والجهاهيرى . واستخدموا مكانه ، المصطلح المعروف عندهم وهو مصطلح الدعوة . والدعوة الى شىء هى الترغيب فى هذا الشىء . ونحن لانسبىء الى الدين إذا قلنا إن العمل الذى قام به الرسول صلى اله عليه وسلم من أجل هذا الدين هو دعاية طيبة . مادامت الدعاية فى ذاتها لها معنيان على الأقل : الدعاية الطيبة أو البسيضاء . والدعاية الخبيثة أو السوداء ونحن نعلم علم اليقين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مسئولاً أمام ربه عن عمل واحد فقط هو الإعلام أو التبليغ . وقال تعالى «إن عليك إلا البلاغ» (١) وقال تعالى «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء» (٢) والخلاصة أننا مع القاء فى إطلاق اسم (الدعوة) على الجهود التى بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم . ولستأنتل إلى تسمية هذه الجهود النبوية بغير هذا الاسم وهو (الدعوة) بمعنى الاتصال والدعاية لهذا الدين حتى يعرفه الناس» (٣) .

وربما اعترض البعض عن تسمية الجهود الإعلامية النبوية فى بعض أجزائها بالدعاية . أو إطلاق اسم الدعاية بصفه عامه . على أى جهد يتعلق بنشر الإسلام . وذلك لأنهم يرون أن الإسلام أرقى من أن يُطلق عليه لفظ الدعاية . تلك التى استخدمت أسوأ استخدام فى عهد هتلر وجوبلز وغيرهما . فهم يرون أن نرقى بالإسلام عن شبهات هذه الكلمه .
والحقيقة أن هذا الرأى مردود عليه بشيئين :

الأول : أن كلمه دعاية فى حد ذاتها . كلمه لاغبار عليها من الناحية اللغويه حيث يرى ابن منظور أن كلمه الدعوه والدعاه مترادفان . حيث يقول «وفى كتابة صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (أدعوك بدعاية الإسلام) أى بدعوته . وهى كلمه الشهادة التى يدعى إليها اهل الملل الكافره . وفى روايه — بداعية الإسلام —

(١) سورة الشورى (٤٨)

(٢) سورة البقرة (٢٧٢)

(٣) عبد اللطيف حمزه ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة . ودعا الرجل دعوا ودعاءً . ناداه .
والاسم الدعوة ودعوت فلاناً أى : صحت به واستدعيتيه» (٤) .

الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد استخدم كلمة الدعاية بذاتها .
أثناء ممارسته لجهده الإعلامى — الرسالة — وإن كان هذا الحديث فى العهد
المدنى — إلا أننا نسوقه كدليل على أنه لا غبار من استخدام كلمة الدعاية جاء فى
رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم : « بسم الله الرحمن
الرحيم .

من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فإننى أدعوك بدعاية الإسلام .

أسلم تسلم . يؤثك الله أجرك مرتين .

فإن توليت فإنما عليك اسم الأرسين» (٥) .

ثم يضيف الدكتور عبد اللطيف حمزة ملخصاً كل ذلك فى قوله « والذى نريد
أن نخلص إليه من هذا الحديث هو أن ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر
الإسلام (إعلاماً) صرفاً بلغه العصر الحاضر . و (دعوة) صادقة بلغه المسلمين فى
العصور التى سبقتنا» (٦) .

وعلى هذا فقد مارس النبى صلى الله عليه وسلم الإعلام برسالة الله عز وجل
كخبر ما تكون الممارسة . فضرب لنا المثل الأعلى فى كيفية صياغة الرسالة
الإعلامية المناسبة للجمهور وللوسيلة . وللموضوع ذاته . وللظرف الاتصالي .
الذى تتم فى إطاره العملية الإعلامية . فلو تأملنا رسالته السابقة الى هرقل لوجدناها
مشابهاً لكيفية صياغة الخبر الإعلامى . من عنوان . إلى مقدمه . إلى جسم الخبر ،

(٤) ابن منظور ، لسان العرب مرجع سابق ، ص ١٣٨٦ .

(٥) عون الشریف قاسم ، نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الثانية (القاهرة —
بيروت : دار الكتاب المصرى . دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٨١) ص ٢٩٩ .

(٦) عبد اللطيف حمزة ، الإعلام فى صدر الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

وسوف نتعرض لذلك في حينه عند الحديث عن الممارسة التطبيقية للإعلام الإسلامي في العهد المدني أن شاء الله في كتاب آخر.

وحيثما نتحدث عن الجهد الإعلامي الذي بذله النبي صلى الله عليه وسلم في مكة وخارجها . بنفسه وعن طريق إفاد أصحابه في المهمات الإعلامية . فإنما نستعرض ذلك لاستخلاص القيم الإعلامية . لا لعرض السيرة النبوية كناحية تاريخية فقط . فهذا ليس مجال تخصصنا وإنما لاستنباط واستخلاص الأسس الإعلامية السليمة والقوية للاستفادة بها ومنها لرجال الإعلام في العصر الحديث .

سارس النبي صلى الله عليه وسلم الاعلام خارج مكة في العهد المكي من خلال استقباله لوفد نصارى نجران وحواره معهم . ومن خلال ذهابه الى الطائف . ومن خلال عرض نفسه على القبائل في الأسواق وفي مواسم الحج . ومن خلال بيعة العقبة ثم هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

أولاً : استقبال وفد النصارى بمكة :

استقبل النبي صلى الله عليه وسلم وفد النصارى حين قدموا عليه في مكة . وقد قدموا لمعرفة حقيقته . فهم أهل كتاب . لديهم علم من علم الأولين السابقين . ويمجدون في كتبهم صفة نبي آخر الزمان ، واسمه ، وهيته . لذا قدموا عليه يريدون التأكد من ذلك . ومطابقه ما عندهم في كتبهم من أوصاف . على هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي .

وهذا الوفد من النصارى الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا طلاب حقيقة . ولم يكونوا غير ذلك . فقد جاءوا مناقشين للمجادلين وسائلين بصدق وإخلاص . ولا يحملون روح التحدى ولا الحقد ولا الغيظ من النبي صلى الله عليه وسلم ولا من رسالته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم هذه الحقائق عن هذا الوفد . حيث يعلم أنهم أهل كتاب . وأن صفاته واسمه وهيته ومكان بعثته ، وموجودة في كتبهم . وأنهم طلاب حقيقة . ويريدون عبادة الله عز وجل على حق . وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أحسن استقبال وحوار كفار مكة ومشركيها . وهم المجادلون بالباطل . الذين كانوا يعلمون الحقيقة . ومع ذلك تمنعهم العصبية والخمية الجاهلية من اتباعه والإيمان به . فكيف باستقباله للنصارى أهل الكتاب . الذين يسألون عن الحقيقة . ويريدون عبادة الله عز وجل على حق .

« قال ابن اسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً . أقرئ من ذلك من النصارى . حين بلغهم خبره من الحبشة فوجوده في المسجد . فجلسوا إليه . وكلموه . وسألوه . ورجال من قريش في أندية حول الكعبة .

فلما فرغوا من مسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم — عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — إلى الله عز وجل . وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع . ثم أستجابوا لله . وآمنوا به وصدقوه . وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم :
خيبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادونهم .
لنأتوهم بخير الرجل . فلم تظمن مجالسكم عنده . حتى فارقت دينكم . وصدقتموه
بما قال : وما نعلم ركبا أحق منكم .
فقالوا لهم : سلام عليكم لانجاهلكم . لنا ما نحن عليه . ولهم ما أنتم عليه . لم
نأل أنفسنا خيرا .

و يقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران . فالله أعلم أى ذلك
كان « (٧) » .

وما يدل على أن هؤلاء الوفد طلاب حقيقة بالفعل . وهو استجابتهم لدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورقبتهم لما سمعوه من القرآن حتى أن أعينهم
فاضت من الدمع . لشده التأثير . وأنهم لما آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وصدقوا رسالته . ولم تؤثر فيهم الدعاية المضادة التي قام بها أبوجهل ومشركي
قريش . فقد كانت دعايتهم مبنية على استشارة العاطفة حيث بدأوا يذكروهم
بأنهم آمنوا . استجابوا لمحمد من مجلس واحد . وماذا يقولون لأقوامهم إذا عادوا
إليهم .

ولكن ينتصر الإعلام النبوي على دعاية المشركين . فالنبي صلى الله عليه
وسلم قد أجاب على أسئلة النصارى أولا . ثم بدأ يدعوهم وقرأ عليهم القرآن .
فلم يدعهم أولا . حتى لا تظن أسئلتهم حائره في صدورهم . تشغل عقولهم .
وتصرفها عن ما يقوله . ولكنه تركهم يسألونه أولا . وأجابهم عن أسئلتهم . ولما بدا
عليهم الارتياح لاجاباته على أسئلتهم بدأ يدعوهم . و يعلمهم الاسلام . وقرأ
عليهم القرآن . فسمعوا وانصتوا . وتأثروا واستجابوا .

وهنا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يركز على مبادئ إعلاميه هامة تتركز في
إراحة الجمهور أولا من الناحية الناحية النفسية . وعدم القاء رسالته الإعلامية على
قلوب أو عقل مشغول . وأيضا تركيزه على الحجج والمنطق وقوة الاقتناع . ثم مراعاته
للأطوار الدلالي أو الظرف الاتصالي الذي يرسل فيه رسالته الإعلامية حتى تؤدي
إلى التأثير المطلوب وبالتالي الاستجابة المطلوبه .

(٧) ابن هشام السير النبويه ، تحقيق محمد فهمي السرحاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

فقد استقامت العملية الاعلامية النبوية من بدايتها الى نهايتها مع وفد النصارى . حيث لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو (المرسل) الظروف الاتصالية . وصاغ رسالته الاعلامية بصورة تتلاءم مع الجمهور المستقبل حيث شرح لهم دعوته أولا . ثم قرأ عليهم القرآن . فكان التأثير . وتحقق الهدف المطلوب وهو اسلامهم .

ولأن الإعلام النبوى مع هذا الوفد ارتكز على كل هذه الأسس فقد انتصر على الدعاية المضادة التى قام بها كفار قريش بقياده ابى جهل بن هشام فلم يتأثروا بما سمعوا . من هؤلاء المشركين علما بأن دعاية أبى جهل المضادة . كانت بعد أن سمعوا من محمد . ومعلوم لدى الاعلاميين أن الحداثه لها دورها وأهميتها من حيث التأثير . فما يتعرض له الإنسان أخيرا يكون أكثر تأثيرا .

ولكن لأن الاعلام النبوى ارتكز على قوة الاقناع والحجة والمنطق . فلم تؤثر دعاية المشركين التى استخدمت المداخل العاطفيه التى تتسم بالإثارة . والتخويف من قومهم إذا رجعوا إليهم . حيث قالوا لهم : « خيبكم الله من ركب . بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم . لتأتوهم بخير الرجل . فلم تظمنن مجالسكم عنده . حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال . ما نعلم ركبا أحق منكم » .

وكان خير دليل على نجاح الإعلام النبوى ما قاله النصارى الذين أسلموا لأبى جهل : « سلام عليكم لانجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم وما أنتم عليه . لم نأل أنفسنا خيرا » .

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أن فى هؤلاء القوم نزل قول الله عز وجل فى سورة القصص « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا . ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغوا أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » (٨) .

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٩٤ .

ثانيا : ذهاب النبي الى الطائف :

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسع رقعة عمله الإعلاني . إلى الأماكن المجاورة لمكة . واستقر رأيه على الخروج بنفسه الكريمة إلى الطائف . وهي من قبائل العرب المجاورة لمكة . وعرة الطريق . يسكنها قوم من العرب يعتزون بأبائهم ودينهم . و يتمسكون بما هم عليه . لذا لم يرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم أحدا من أصحابه . حتى لا تخسر الدعوة مكانا ربما وجدت فيه جوا صالحا بعد ذلك . إذا لم يتحمل بعض من يرسلهم رد أهل الطائف . فخرج بنفسه . وصدقته توقعاته صلى الله عليه وسلم . فرغم حلاوة حديثه . وحسن خلقه . واتسام حديثه إلى سادة الطائف بالمنطق نجد ردهم عليه جافا غليظا . و يعود صلى الله عليه وسلم . ودون أن يفكر في ردهم . ولكن يفكر في دعوته واتصاله بربه دائم متواصل . صلى الله عليه وسلم .

ولأنه يعرف سادة الطائف . أبناء ثقيف وفلسفتهم وغلبتهم لذا يذهب إليهم بنفسه . ثم يتحمل منهم ما حدث .

ويحلوا لبعض المؤرخين أن يسموا ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف هجره ، و يسمونها أول هجره . ويحلوا لآخرين أن يصفوا ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بأنه كان يبحث عن مكان مستقر لدعوته والمؤمنين بها . ليخرجوا و يستقروا فيه بدلا من مكة .

غير أن هذه الآراء مردود عليها . بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جيدا منذ بداية الدعوة أن هجرته . ومستقر دعوته سينتقل من مكة إلى يثرب لا إلى مكان آخر . بل كان هذا مكتوبا في كتب السابقين من اليهود والنصارى . وقد علمه وعلم صفته سلمان الفارسي الذي كان يتبع الحقيقة على أيدي الرهبان قبل البعثة . و وصف له آخر هؤلاء الرهبان النبي صلى الله عليه وسلم ومكان هجرته . ولما وصل سلمان إلى يثرب تفقد الأوصاف فتأكد أنها هي .

والأكثر دلالة على علم النبي صلى الله عليه وسلم بمكان هجرته . ومستقر دعوته ما قاله لأبي ذر الغفاري لما أسلم وأرسله إلى قومه ليدعوهم إلى الاسلام :

« إننى قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب . فهل أنت مبلغ
عنى قومك لعل الله ينفعهم بك وبأجرك فيهم » (١) .

كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم مكان هجرته . فلم يكن ذهابه إلى
الطائف إذن هجرة . ولا بحثاً عن مستقر لدعوته . وللا أصحابه . وإنما كان إعلاماً
عن دعوته ورسالته . وكان توسيعاً للرقعة المكانية التى ينشر فيها إعلامه حول مكة
لأنه رأى أن مكة قد أصبحت رقعة مكانية ضيقة . ولأن مكة أصبحت كلها تعلم
أمر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . لذا فكر فى الانطلاق برسائله الإعلامية إلى
الأماكن المجاورة والقريبة . وكان ذلك إلى جوار قيامه بالجهد الإعلامى فى مكة .
وأرسال أصحابه ومن يدخلون الإسلام إلى الأماكن والقبائل المتفرقة . أما الطائف
فقد آثر أن يذهب إليها صلى الله عليه وسلم بنفسه .

وقد كان لذهابه شخصياً إلى الطائف لنشر وبث رسالته الإعلامية بها . بُعد
إعلامى آخر . وهو أن يضرب المثل لأصحابه بنفسه . فليس هو الذى يأمرهم
و يرسلهم . و يراهم يتحملون الأذى . وهو فى مكة فى منعة من أهله وقومه — رغم
ما كان يلقاه فى مكة من أذى لكنه كان أقل من غيره من أصحابه — لذا أراد أن
يكون قدوة لأصحابه فى الذهاب بنفسه لنشر الإسلام . والقيام بالجهد الإعلامى
له بعيداً عن مكة . وليعلموا أنه يقوم بهذا الجهد مثلهم . فلا يروا غضاظه من أن
يذهبوا إلى أى مكان . و يروه يتحمل الأذى . فلا يرون بأساً فى أن يتحملوا فى
سبيل الإعلام بالرسالة ما يلقون . وحينئذ يرونه وقد لاقى الأذى وهم يحبونه ويحبون
دعوته . و يفتدونهم بأنفسهم عندئذ يندفعون مدافعين عنه وعن رسالته بكل حماس
وقوه وإقدام . وهو بهذا يدفع العملية الإعلامية الخاصة بدعوته لتمضى قدماً . ولتستمر
بكل حماس وإخلاص . فهو قائم بالإعلام بنفسه فى مكة . وخارج مكة . وهو يلقى
الأذى داخل مكة وخارج مكة . وهو يصبر ويقابل السيئة بالحسنة . وهو يرد الرد
الجميل . وهو يناقش ويحاور . والأصحاب يكثرون . والأعداء تحط روحهم
المعنوية . و يذب اليأس إلى نفوسهم . ولتذكر قصه ذهابه إلى الطائف ليرى
ما فيها من قيم إعلامية قيمة .

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٦.

« قال ابن اسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .
للتمس من ثقيف النصرة ، والمنعة بهم من قومه . ورجاء أن يقللوا منه ما جاءهم به
من الله تعالى . فخرج إليهم وحده .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف
هم سادة ثقيف واشرافهم . وهم اخوة ثلاثة . عبدالميل . ومسعود ، وحبيب . بنو
عمرو بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من
قريش من بنى جمح . فجلس إليهم . فدعاهم إلى الله . وكلمهم لما جاءهم له من
نصرته ، على الإسلام والقيام معه على من خالفه . من قومه .

فقال أحدهم : هو يربط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا . لأن كنت رسولا من الله كما تقول لأنك
أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن
أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم . وقد يش من خير ثقيف .
وقال لهم : « إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا على » . وكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم — يحرق بينهم — ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغروا
به سفهاءهم وعبيدهم . يسبونهم ويصبونهم به . حتى اجتمع عليه الناس . وألجأوه
إلى حائط — بستان — لعنه بن ربيعة وشيبه بن ربيعة وهما فيه . ورجع عنه من
سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد إلى ظل حبله من عنب « فجلس فيه . وأبنا
ربيعة ينظران إليه . ويريان ما يلتقى من سفهاء أهل الطائف .

وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمرأة التي من بنى جمح فقال لها :
ماذا لقينا من أمثالك .

فلما اطمان النبي صلى الله عليه وسلم — في ظل البستان بعد رجوع
السفهاء — قال « اللهم إليك اشكوا ضعف قوتي . وهواني على الناس . يا أرحم
الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني .

أم إلى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لى . اعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدين والأخرة ، من أن تنزل بى غضبك . أو تحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى . لاحول ولا قوه إلا بك » .

فلما رآه ابنار بيعة عتبة وشيبة ومالقي . تحركت له رحمها . فدعوا غلاما لهما نصرانيا . يقال له عداس . وقالوا له : خذ قطعا من هذا العنب . فضعه فى هذا الطبق ثم أذهب به إلى ذلك الرجل . فقل له يأكل منه . ففعل عداس . ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال « بسم الله » ثم أكل . ثم نظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟

قال : نصرانى . وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .

فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أخى كان نبيا . وأنا نبى . فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقبل رأسه و يديه وقدميه .

فقال ابنار بيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاء عداس قالوا له : و يلك يا عداس . مالك تقبل رأس هذا الرجل و يديه وقدميه ؟

قال عداس : يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا . لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى .

قالا له : ويحك يا عداس . لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير منه »

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

وتجه النبي صلى الله عليه وسلم رسالته الإعلامية هذه المرة إلى الطائفت . وهو يعلم الجمهور الذى يواجهه . فقد شرح دعوته . ثم أراد أن يثير نخوتهم . و يبين لهم أنهم أهل مروءة وأهل قوة . فطلب نصرتهم . فلم يكن يطلب النصره لعلمه أنه مغلوب على أمره أولآنه يشك فى نصر الله . بل لقد كان يثق تماما فى نصر الله عز وجل له ولرسالته . وأن الله غالب على أمره . فقد سبق أن أقسم لخباب ابن الأرت — كما ذكرنا — فى الحديث الذى رواه البخارى قائلا « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت . ما يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون » .

فلم يكن طلب النبي صلى الله عليه وسلم النصره من أنباء ثقيف وسادتها . لأنه يشك فى نصر الله . أو لخوفه على نفسه أو على دعوته . أو من أجل النصره ذاتها . ولكنه يطلب نصرتهم . كنوع أو أسلوب من أساليبه الإعلامية فهو يشبع حاجاتهم النفسية . و يرضى غرورهم . و يشبع ميولهم و يبين لهم أنهم على قدر من الأهمية .

ومما يدل على مدى معرفته صلى الله عليه وسلم لهذا النوع من الجمهور وهم أبناء ثقيف — سادة الطائفت — ردهم عليه . حيث رد عليه المتحدثى منهم قائلا : أنه يبرط ثياب الكعبه إن كان الله أرسلك . فهو يتحدثى بأن يفعل أكبر الكبائر أن كان الله أرسله .

ورد عليه المعاند منهم : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟!

ورد عليه الفيلسوف منهم : أن كنت رسولا كما تقول . لأنت أعظم خطرا من أن أكلمك . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم لأنه تيقن من عدم أهمية الاستمرار فى التحدث إليهم .

ومن القيم الإعلامية التى يعلمها لنا النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال وهو ذهابه إلى الطائفت أيضا . أنه عمد مباشرة إلى أبناء عمرو بن ثقيف لسببين .

أولها : أنهم سادة القوم . وبالتالي فهم قادة الرأى فيهم . فإن آمنوا فإن إيمانهم يؤدى إلى إيمان بقيه القوم . وإن كذبوا فلا فائدة من الجهد مع بقيه القوم . خاصة

انه غريب عن هذا الحى ولن يستطيع الإقامه فيه طويلا . بعد تكذيب هؤلاء الساده له ، وهو هنا يعلمنه أهميه اقناع قاده الرأى ، ودورهم . ومدى تأثيرهم فى أى المجتمعات . وهذا ما تؤكدته وتأخذ به الدراسات الإعلامية الحديثه . فقد سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : أن أحد هؤلاء الساده زوجته من قريش . وربما كان لذلك تأثيره فى استقباهم له . أو تأثيرها عليهم مثلا . لكنه لم يحدث فقد قال لها صلى الله عليه وسلم لما لقيا « ماذا لقينا من إحائك » كما ذكرنا من قبل .

وقد ألقى النبى صلى الله عليه وسلم رسالة اعلاميه مركزه وقويه ومؤثره فى أهل الطائف . فهى وإن لم تؤد دورها فى الحال إلا أنها تركت أثرا ظهر بعد ذلك . وهو ما يسميه أساتذته الاعلام فى العصر الحديث . بالأهداف الآجلة للاتصال . فالأهداف الآجلة له أهداف عاجله . وأهداف آجله . قد تتحقق العاجله . وقد تتحقق الآجله . وقد يتحقق المهدفين معا .

فقد ذكر « عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن أبى جبل العدوانى عن أبيه . أنه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشرق ثقيف . وهو قائم على قوس أو عصى . حين أتاهم يبشغى عندهم النصر . فسمعتة يقول : « والساء والطارق » حتى ختمها . قال فوعيتها فى الجاهليه . وأنا مشرك . ثم قرأتها فى الاسلام قال فدعتنى ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم » (١١) .

وقد تضمنت إذن رسالته الإعلاميه ، أو بيانه الاعلامى اليهم سوره قصيره مركزه واضحه من القرآن حفظها من سمعها وهو مشرك . وظل يحفظها بعد ذلك وفى هذا دلالة على قوة تأثير رسالته الآجله . فهى وإن لم تحقق هدفا عاجلا . فقد حققت أهدافا آجله .

وترك النبى صلى الله عليه وسلم ثقيف . ولم يكن همهم التفكير فى الأذى أو الانتقام منهم . بل هم الدعوة والدعاء . والاتجاه الى الله . بل لقد عرض عليه أن ينتقم الله له منهم فأبى ذلك مؤثلا هدايتهم .

(١١) الربيع السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

ولما جلس النبي صلى الله عليه وسلم يستريح . ناجى ربه عز وجل . شاكيا إليه ضعفه . وسائلا إياه أن يقويه على نشر رسالته وتبليغها . وتحدث الاستجابة من الله عز وجل . لتثري في نفسه الطمأنينة . وتثبت في روحه العزيمة وتعيد إليه ثقته في نفسه وليعلم أن الله عز وجل معه . حيث يجيئه جبريل مبلغا إياه أن معه ملك الجبال ولو شاء لأطبق عليهم الجبلين . ولكنه تعود الطمأنينة والسكينة والنفس الصافية . المرتفعة فوق الآلام . التي من شيمتها العفو . فيطلب لهم الهداية .

« ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قل : « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة . إذ عرضت نفسي على ابن عبدالمطلب بن عبدك لعل . فلم يجيبني إلى ما أردت . فانطلقت على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب . فرفعت رأس فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني . فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام . فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك . وما ردوا عليك . وقد بعث الله لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . ثم ناداني ملك الجبال فسلم على . ثم قال : يا محمد : قد بعثنى الله . إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال . قد بعثنى إليك ربك لتأمرني بما شئت . إن شئت تطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » (١٢) .

هكذا يكون الإعلامى التقدير . ينسى نفسه . وما يتعرض له شخصه من أجل الرسالة التي يحملها . ويريد ابلاغها . لايهمه ما يتعرض له بصفه شخصيه . من أذى نفسى أو جسدى . بل يهمه ابلاغ الرسالة . واجداث التأثير وحدوث التأثير . إنه يذوب في رسالته حتى تصبح أعز عليه من ذاته .

« فعماد كل دعوة صادقة : فرد يؤمن بها . إيمانا يملك عليه مشاعره و يسيطر على وجدانه . و يظهر أثره في كل ناحية من حياته . حتى يكون صورة كاملة لما يؤمن به . وقدوة طيبة لما يدعو إليه . فإذا ما اكتملت في أعماقه عوامل الإيمان .

(١٢) المرجع السابق، ص ١٣٧ .

فاض بدعوته على أهله وعشيرته . ثم انتقل بها إلى دائرة إخوانه وجيرانه . ثم اتسع بها حتى تشمل عامة الناس . وتبلغ المدى المقدرها في قدره الله .

وكذلك كان الشأن في الدعوة الإسلامية . بدأت بسيد الدعاة صلى الله عليه وسلم والذي تعهد ربه بالتأديب والتهذيب «(١٣)» وبلغت العالم كله على امتداد الزمان . واتساع الأماكن كلها .

استراح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما حدث معه في الطائف . إلى جانب بستان عتيه بن ربيعة وشبيه بن ربيعة . وأرسل إليه قطفا من العنب مع غلامها وتناسى متاعيه الشخصية . وآلامه النفسية . وبدأ يمارس مهمته الرئيسية . إنها الإعلام بخير رساله . تلك التي ملكت عليه نفسه وزوجه . فنسى كل شيء دونه ، حتى الآلام والمتاعب والمشاق . وحتى مطاردة السفهاء له . حتى اجتماع الناس عليه . بعد أن طلب من سادة ثقيف — بفطره الإعلامي القدير — أن يكتفوا عليه أمره حتى لا تنتشر عدوى التكذيب وتعم موجة العصيان له ولد عوته .

سأل الغلام الذي حمل إليه العنب . لم يكن همه الراحة والمأكول والمشرب والظل . وإنما سأله عن اسمه ودينه . ولم يسأل عن اسمه فقط وإنما سأل عن دينه . ان الدين كل همه واهتمامه .

أخبره عن دينه أنه نصراني . هو من أهل الكتاب إذن . ولما سأله الغلام عن سبب ذكره الله قبل الأكل . فلأنه من أهل الكتاب فقد أثاره ذكر اسم الله . مع أن أهل هذه البلاد يذكرون الأصنام و يقدسون الأوثان .

ولما يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه من نينوى . يتجه إليه بالسؤال المباشر . الذي يصيب الهدف من أقرب وأيسر السبل . من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . ثم يخبره إنه نبي ودليل صدقه معرفته بيونس ابن متى . و يصدق الغلام . و يقبل رأسه ويديه ورجليه .

وهكذا يضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في تبليغ الدعوة والإعلام بها . ومن حيث الأسلوب وصياغته . ومعرفته الجمهور . والتضحية من أجلها .

(١٣) حسين محمد يوسف ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

ثالثا : الرسول يعرض نفسه على القبائل في الأسواق ومواسم الحج :

كان للمعرب أوقات وأماكن يجتمعون فيها في كل عام . وكان أشهر هذه التجمعات هي الأسواق ومواسم الحج . وقد كانت هذه الأسواق . أسواق أدبية أكثر منها أسواق بيع وشراء . فقد كانت قبائل العرب تجتمع في هذه الأسواق في لقاءات أدبية للاستماع إلى قصائد الشعر والنثر ونحو ذلك كما كانت لقاءات اجتماعية . أولها أهمية اجتماعية « حيث كانت تتخذ هذه الأسواق وسيلة للخطبة والزواج . وكانت القبائل تتبرأ من بعض الأشخاص الخارجين عليها في هذه الأسواق . ومن كان له دين على آخر أنظره إلى عكاظ . ومن كان له حاجة استصخب القبائل بعكاظ . ومن كان داعيا إلى إصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني . يرى أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من أنحاء الجزيرة مجتمعة . وكثيرا ما كانوا يرون قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو بدعوته . ويخطب فيها خطبته المشهورة على جبل له . فيرغب و يرهب ويحذرو ينذرو » (١٤) .

وكان للمعرب أسواق كثيرة في أماكن متفرقة وأوقات مختلفة . مثل ذي المجاز وبجينة والمريد وغيرها . غير أن أشهر هذه الأسواق جميعا كانت سوق عكاظ . ولا يخفى أيضا أهمية موسم الحج . حيث كانت تجتمع قبائل العرب كلها في ذلك الموسم . أو مندوبون منها . يقدمون للحج وللتجارة .

وكان كل إنسان يقدم هذه الأسواق للحاجات التي يريدتها . حيث كانت أغرضها متعددة . وكان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاغل هو الإعلام برسائله . وتعريف القبائل بها . ورأى في هذه الأسواق ومواسم الحج فرصة عظيمة للقيام بمهمته . حيث القبائل مجتمعة . ويمكنه أن يرسل رسالته مع وفد كل قبيلة إلى قومهم . لأن الوفد إذا عاد إلى القبيلة . فسوف يُحدث ويخبر بأهم ما كان من أحداث وقائع حدثت في سوق هذا العام . أو في موسم حج هذا العام . لذلك بدأ النبي صلى الله عليه وسلم جهده الاعلامي في هذه الأسواق . عارضا نفسه .

(١٤) عمر أبو النصر، مرجع سابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

ومعرفا وظيفته . وشارحا رسالته . وطالبا نصرته ونصرة دينه . ومبيناً جزاء ذلك
واجره من الله عز وجل .

« قال ابن اسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في
المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب يدعوهم إلى الله . يخبرهم أنه نبي مرسل
و يسأهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به .

يقول ربيعة بن عباد : إني لفلان شاب مع أبي عبي . ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب . فيقول : يا بني فلان : إني رسول
الله إليكم . يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . وأن تخلعوا ما تعبدون دونه
من هذه الأنداد . وأن تؤمنوا بي . وتمنعوني وتصدقوا بي . حتى أبين عن الله
ما بعثني به .

قال ربيعة : وكان خلفه رجل أحول وضئ ، له غديرتان — ذؤابتان من
شعر — عليه حلة عذنية . فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا
إليه . قال ذلك الرجل : يا بني فلان : إن هذا إنما يدعوكم أن تسلكوا اللات
والعزى من أعناقكم . وحلفاؤكم من الجن من بنى مالك بن أقيش . إلى ما جاء
به من البدعة والضلالة . فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال ربيعة : فقلت لأبي : من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال :
هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب . أبوهب .

قال ابن اسحاق : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كندة في منازلهم ، وفيهم
سيد يقال له مليح . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم نفسه فأبوا .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلبا في منازلهم . إلى بطن منهم يقال
لهم : بنو عبد الله . فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . حتى إنه ليقول لهم :
يا بني عبد الله : إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى حنيفة في منازلهم . فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه . فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

وأتى بنى عامر بن صعصعة . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم نفسه .
فقال له رجل منهم يقال له : ببحرة بن فراس . والله لو أخذت هذا الفتى من

قريش ، لأكلت به العرب . ثم قال : أرايت إن نحن بايعناك على أمرك . ثم أظهرك الله على من خالفك . أليكون لنا الأمر من بعدك ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : الأمر إلى الله . يضعه حيث يشاء .

فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك . فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه .

فلما صدر الناس . رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أردكته السن . حتى لا يقدر أن يوافق معهم المواسم . فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم . فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم ؟ فقالوا : جاءنا فتى من قريش . ثم أحد بنى عبد المطلب . يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه . ونقوم معه . ونخرج به إلى بلادنا .

فوضع الشيخ يده على رأسه . ثم قال : يا بني عامر . هل لها من تلاف . هل لذنابها من مطلب . والذي نفس فلان بيده ما تقولها أسما عيلي قط . وإنها لحق . فأين رأيكم كان عنكم .

قال ابن اسحقاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم . أتاهم . يدعو القبايل إلى الله وإلى الاسلام . ويعرض عليهم نفسه . وما جاء به من الله من الهدى والرحمة . وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب : له اسم وشرف إلا تصدى له . فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده .

قدم سويد بن صامت . أخو بني عامر بن عوف مكة حاجا أو معتمرا . وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه . فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به . فدعاه إلى الله وإلى الاسلام . فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟

قال سويد : بجلة لقمان . يعنى حكمة لقمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علي . فعرضها عليه .

فقال له : إن هذا كلام حسن . والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى على هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه . وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه . فلم يلبث أن قتلته الخزرج . فإذا كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله يوم بعاث .

قال ابن اسحاق : ولما قدم أبو الحيسر ، أنس بن رافع . مكة ومعه فتیان من بنى عبد الأشهل . فيهم إياس بن معاذ . يلتصقون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج . سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتاهم فجلس إليهم . فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له . فقالوا له : وماذا ؟

وقال : أنا رسول الله بعثني الى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا . وأنزل علي الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام . وتلا عليهم لقرآن .

فقال إياس بن معاذ . وكان غلاما حدثا . أى قوم هذا والله خير مما جئتم له . فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنه من تراب البطحاء . فضرب بها وجه إياس بن معاذ . وقال دعنا منك . فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة .

وحين مات إياس سمنوه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده . ويسبحه حتى مات . فإكانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع « (١٥) » .

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إعلاميا قديرا . يلتصق مواقع وأماكن تجمع القبائل . ويذهب إليها ويعرض دعوته عليهم . وقرأ القرآن ولم يكن المقصود هو الوفاء الموجود في حد ذاته بل كان المقصود من وراءهم من اقوامهم . الذين يستمعون الأخبار . كما حدث مع بنى عامر بن صعصعة فقد أخبروا شيخهم لما عادوا . فأخبرهم أنهم قد أخطأوا حين لم يفتنوا هذا الفرصه . كما ذكرنا من قبل .

(١٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٤ ، ٢٨ .

كما كان المقصود من هذه الحملات الإعلامية التي كان يوجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفود هذه القبائل . انتشار ذكر الإسلام بين هذه القبائل وبعضها وإثارة الرغبة عند من لم يكن حاضراً أن يحضر إلى مكة فيسمع .

وكان المقصود أيضاً من هذه الحملات الإعلامية النبوية لهذه القبائل أيضاً أن يفكروا في دعوته على مهل . وقد حدث هذا فأسلم الكثيرون فيما بعد . بعد أن تأثروا بما سمعوا من كلماته حينما دعاهم . كما حدث لإياس بن معاذ ، وحدث لسويد بن الصامت . الذين حكى عنهم بعض ذويهم أنهم ماتوا مسلمين .

وحدث مثل ذلك أيضاً لميسرة بن مسروق العنسي الذي كان في وفد من قومه بني . وسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وترددوا في قبول دعوته ثم سألوا عنه يهود فدك . فأخبروهم بصفته . فعرفوه أنه هو . فأسلم ميسرة بعد ذلك في حجة الوداع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر الحملات الإعلامية للوفود بالأسواق والمواهب كل عام حتى قال له بعضهم . أما آن لك تيأس منا . من طول ما يعرض نفسه عليهم . و يسمى هذا بأسلوب التكرار من الناحية الإعلامية .

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافي المواسم كل عام . يتبع الحاج في منازلهم في موسم بعكاظ وذى المجاز ومجنة يدعونهم أن يمنعوهم حتى يبلغ رسالات ربه . ولهم الجنة . فلا يجد أحداً ينصره ولا ينجيه . حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة . و يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . وتملكوا بها العرب . وتذل لكم العجم . وإذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة . » (١٦) .

كان أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حملاته الإعلامية هذه حسناً حتى أنه ليقول لقوم يسمون بني عبد الله . لقد أحسن الله اسم أبيكم . ومع ذلك كان معتزاً بنفسه و بربه . يأبى أن يعطى شيئاً لا يملكه في سبيل الاستجابة . وهو رفضه لطلب بني عامر أن يكون الأمر لهم من بعده . حيث يقول : أن الأمر لله يضعه حيث يشاء . فهو يعرض رسالته الإعلامية . لا بذلة . ولا بأى ثمن وإنما

(١٦) رؤوف شلى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٣ .

يعرضها برفعه وعزه . فهو كما ذكرنا لا يطلب نصرة قبيلة أو أحد من الناس لعدم ثقته في نصرة الله له ورسالته . ولكن يدفع هؤلاء للاستجابة ولشريفهم النخوة والمروءة والشجاعة . هذه الصفات التي كانوا يعتزون و يفخرون بها .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتقى بالقادمين الى مكة فرادى وجماعات . فقد عرض نفسه ودعوته . وبلغ رسالته . لوفود القبائل . كما بلغها للأفراد ذوي الشرف الذين كان يسمع بمقدمهم إلى مكة . مثل سويده بن الصامت .

وقد كان أسلوبه صلى الله عليه وسلم مع سويده بن الصامت . نموذجاً إعلامياً رائعاً . حين قال له سويده لعل الذي معك مثل الذي معي . فمع كون النبي صلى الله عليه وسلم يعلم يقيناً أنه لا أحد على وجه الأرض معه مثل الذي معه هو . إلا أنه يسأل عما معه . ثم يقول له في أدب وحسن خلق عرضها علي . وبعد أن يسمع . لا يفتح ماسم . ولا ينكره . ولكنه يقول له : هذا كلام حسن .

ثم يبدأ بإبلاغ رسالته الإعلامية في ذات الوقت قائلاً : هذا كلام حسن . والذي معي أفضل قرآن أنزله الله تعالى علي . هو هدى ونور . وقرأ عليه القرآن . ويستحسن الرجل القول وينصرف . ويقال انه مات مسلماً ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضه منذ البداية . وأنكر عليه مامعه . ورفض الاستماع إليه . لكان قد خسر هذا الرجل الحكيم . والذي كان يسمى في قومه بالكامل . لجلده وشعره ونسبه وشرفه .

هكذا كانت أساليب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملاته الإعلامية متزامنة . ومتكاملة مع بعضها في ذات الوقت . وعلى جميع المستويات . وبكل الوسائل . فهو لا يترك فرصه يمكن فيها أو عن طريقها القيام بالجهد الاعلامي للدعوة . إلا وقام بها . وبذلك كان هو في مكة مركز الإرشاد والإشعاع . يرسل رسائله الإعلامية بدعوته الى كل مكان . حتى إذا ماستحقت الفرصه لهجرته صلى الله عليه وسلم . جنى ثمار كل هذا الجهد المتواصل . وتحقق له ورسالته ودعوته ما أراد .

رابعاً : الرسول يقابل وفد الأنصار ويبايعهم :

ولم يكن جهد النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام برسالة الله عز وجل سهواً طائشاً . بل أصاب السهم قوماً سعداء . سعدوا به في الدنيا والآخرة . أحبهم صلى الله عليه وسلم . وأحبوه . أقسم أنه لولا الهجرة وفضلها لاختار أن يكون منهم . ولو سلك الناس شعباً وسلكوا شعباً لسلك لشعبهم . ودافعوا عنه وعن رسالته بأنفسهم وأموالهم وبكل ما يملكون . إنهم الأنصار . أهل يثرب . قابلهم بين من كان يعرض نفسه عليهم من القبائل في المواسم . فأحبوه واستحسنوا قوله . وتدبروا أمره . وتذكروا صفاته التي تذكرها اليهود الذين يجاورونهم في بلادهم . فقد كان من رحمة الله بهؤلاء القوم أن اليهود كانوا يهددونهم بظهور هذا النبي . وأنهم سيقاتلونهم معه .

وشرح النبي دعوته لوفد الخزرج على مهل بعد أن أجلسهم ليكلمهم ودعاهم إلى الله . وتلا عليهم القرآن . فأسلموا . وعادوا إلى يثرب دعاء لدين الله عز وجل . وعادوا في العام القادم بعدد أكبر بعد أن فشا الإسلام في بيوتهم . فبايعوا رسوله الله صلى الله عليه وسلم . وعادوا إلى بلادهم برجل يعلمهم .

قال ابن إسحاق : « فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه . وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم . خرج رسول الله في الموسم الذي لقي فيه نفر من الأنصار . فعرض نفسه على قبائل العرب . كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

فقالوا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنتم ؟

قالوا : نفر من الخزرج .

قال : أمن موالي يهود ؟

قالوا : نعم .

قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟

قالوا : بلى .

فجلسوا معه . فدعاهم إلى الله عز وجل . وعرض عليهم الإسلام . وتلا عليهم القرآن .

وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام . أن يهود كانوا معهم في بلادهم . وكانوا أهل كتاب وعلم . وكانوا أهل شرك وأصحاب أوثان . وكانوا قد عزروهم - غلبوهم - ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن . قد أظلم زمانه . نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر . ودعاهم إلى الله . قال بعضهم : تعلموا والله يا قوم . إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه من الإسلام . وقالوا إنا قد تركنا قومنا . ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم . فغضب أن يجمعهم الله بك . فاستقدم عليهم . فدعاهم إلى أمرك . ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليك فلا زجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . راجعين إلى بلادهم . وقد آمنوا وصدقوا .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله عليه وسلم . ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم . فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله عليه وسلم» (١٧) .

كانت هذه هي المرحلة الأولى من دعوة الأنصار . عرض النبي صلى الله عليه وسلم لهم دعوته . وما فيها وتلا عليهم القرآن . وعادوا إلى بلادهم دعاة لدين الله عز وجل أو رجال إعلم بهذا الدين .

وكانت المرحلة الثانية في العام التالي حيث أثمر جهد هؤلاء الذين أسلموا في المرحلة الأولى . فعادوا بعدد أكبر في العام المقبل . ويايعوه بيعة العقبة الأولى . وكان فيها اثني عشر رجلا من الأوس والخزرج .

(١٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

«عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنتا اثني عشر رجلا . فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . على بيعة النساء (١٨) وذلك قبل أن تفرض الحرب . على أن لا نشرك بالله شيئا . ولا نسرق . ولا ننزى ولا نقتل أولادنا . ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا . ولا نعصيه في معروف . فإن وقيتكم فلكم الجنة . وإن غشيتكم من ذلك . فأمركم إلى الله عز وجل . إن شاء عذب وإن شاء غفر .

فلما انصرف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم مصعب بن عمير . وأمره أن يقرئهم القرآن . و يعلمهم الاسلام . و يفقههم في الدين فكان يسمى المقرئ .

وروى عاصم بن عمرو بن قتاده : أن مصعب بن عمير كان يصلى بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمهم بعض (١٩) .

وهنا نجد التدرج الإعلامى مع هؤلاء القوم . فالمرحلة الأولى تركهم النبى صلى الله عليه وسلم يقومون بالجهد الإعلامى بأنفسهم في بلدهم . ليكون دخول الدعوة إلى يثرب في البداية عن طريق أناس منها . ليكون ذلك أكثر قبولا .

وفي المرة الثانية . يبايعهم على السمع والطاعة . وعدم الشرك . وعدم السرقة ولا الزنا ولا قتل الأولاد . ثم يبين أن أمر ذلك من طاعة أو معصية لهذه البيعة موكل إلى الله عز وجل . فهو الذى يعلمه . ومحاسب عليه . وفي هذا تحذير أكثر . من محاسبة البشر .

ثم يرسل معهم معلما . ليجمع الأوس والخزرج . وليقوم بأمر الإعلام بنفسه في هذه الأرض الخصبه أمام الدعوة . وستحدث عن جهد مصعب بن عمير الإعلامى في المدينة . في الفصل التالى إن شاء الله .

(١٨) تسمى بيعة النساء لقوله تعالى في بيوره المتجنه «يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنین . ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستعفرن الله . أن الله غفور رحيم» .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

وفي العام الثالث عاد مصعب إلى مكة في موسم الحج ومعه مسلمون ومشركون من أهل المدينة . بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية بعد أن حدودا لها زمانا ومكانا اتفقوا عليه سرا . حتى يظل الأمر حكما . مخافة قتال مشركي مكة هؤلاء الشريين أن علموا منهم ذلك .

وقد حدث في هذه البيعة الثانية حوار بين العباس بن عبد المطلب والأنصار . ورد الأنصار وتكلموا . ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ لنفسه ولربه ماشاء من العهد . ثم انطلق الأنصار إلى رحالهم تحت جنح الظلام . وبعدها عادوا إلى بلادهم رجال إعلم مزودين بالعلم والبيعة .

« روى كعب بن مالك وكان ممن شهدوا العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين . وقد صليتنا وفقهنا . ومعنا البراء بن معرور . سيدنا وكبيرنا .

قال كعب : ثم واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . فلما فرغنا من الحج . وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا . أخذنا معنا . وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا . فكلمناهم وقلنا له : يا أبا جابر . انك سيد من سادتنا . وشريف من أشرافنا . وانا نرغب بك أن تكون عما أنت فيه . أن تكون خطيبا للناغدا . ثم دعونا إلى الإسلام . وأخيرناه جميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة . فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

فتمننا ليلتنا تلك في رحالنا مع قومنا . حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين . حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة . ونحن ثلاثة وسبعون رجلا . ومعنا امرأتان من نساينا هما : نسيه بنت كعب وأسما بنت عمرو .

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه . إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس . كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال :

يامعشر الخزرج : ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا . ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو في عز من قومه ومنعة في بلده . وانه قد أبى إلا الانحياز اليكم . والحق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه . وما نعوه ممن خالفه . فانتم وما تحملتم من ذلك . وأن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم . فن الآن فدعوه . فإن في عز ومنعة من قومه وبلده .

فقلنا له : قد سمعنا ما قلت . فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتلا القرآن . ودعا إلى الله . ورغب في الإسلام . ثم قال : أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فأخذ البراء بن معروريده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع أزرنا . فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة . ورثناها كابرا عن كابر .

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ، أبوالهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله . إن بيننا وبين الرجال حبلا . وإنا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك . ثم أظهرك الله . أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : بل الدم الدم . والهدم الهدم — أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم — أنا منكم وأنتم منى . أحارب من حاربتم ، وأسلم من سالمتم .

قال كعب بن مالك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا . ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم . اثني عشر نقيبا تسعه من الخزرج . وثلاثة من الأوس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء : أنتم على قومكم بمن فيهم

كفلاء . ككفالة الحوار بين لمييسى بن مريم . وأنا كفيل على قومي — يعنى المسلمين قالوا : نعم » (٢٠) .

وفى هذا نجد النبى صلى الله عليه وسلم يعود الى ممارسة الاعلام سراً مرة أخرى . حسب اقتضاء الحال لذلك . فقد واعد أهل يثرب أن يلقاهم سراً . فى مكان وزمان محدد . لا يعلمه غيرهم . ويحضر الأنصار سراً مع كثرة عددهم . ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس .

و يبدأ الحوار بين الرسول والأنصار . ويتسم الحوار الاعلامى الاسلامى . بالعزّة والقوة والصراحة والحرية التامة .

فأما اظهار العزّة والقوة . فقد بدت على لسان العباس بن عبد المطلب . حيث ذكر للأنصار أن محمداً فى منعة من قومه . وأنه رغب فيهم وفى اللّٰحق بهم . فإن كانوا على استعداد لحمايته ونصرتة فيها ونعمت . وإلا فن الآن فدعوه . فهو فى عز ومنعة من قومه وبلده . أى ليس مضطراً للخروج إليكم . ولكنه راغب فى ذلك . وهناك فارق بين الراغب والمضطّر .

وكان كلام العباس لاطهار القوه . وللتلويح بالتهديد بالحرب إن أسلم الأنصار محمداً . أو خذله . لذا كان الكلام على لسان العباس . وهذه كياسة وفطنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو لا يستعمل التهديد ولا يلوح به . وإنما ترك هذا للعباس . ودليل موافقة عليه . أنه أحضر العباس معه لحضور هذا الأمر . وأنه لم يعترض على كلامه .

وقد قابل هذا شيئين أو كلمتين من الأنصار .

الكلمة الأولى لمييم بن التيهان ، حين قال : ان بيننا وبين الرجال حباً لا نحن قاطعوها . أى اليهود . فهل عسيت إن أظهرك الله بعد أن فعلنا ذلك ترجع الى قومك وتدعنا . أى للحرب مع هؤلاء . وهم أهل مال وقوه بالطبع .

و يؤكد له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنا منكم وأنتم منى . أحارب من حاربتم وإسلم من سلمتم . والدم الدم والهدم الهدم . وقد وفق رسول الله صلى الله

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٤٢ .

عليه وسلم بذلك . فعاش بقيه حياته في المدينة هو ومن هاجر قبله من أصحابه . ودعا الله أن يحجب إليهم المدينة كحجبهم مكة أو أشد وحارب معهم اليهود . وأصبحت المدينة عاصمه أول دولة اسلامية .

الكلمة الثانيه من جانب الأنصار كانت من العباس بن عباد حين قال : « يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم قال : أنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس .

فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة . وأشرافكم قتلا أسلمتموه . فمن الآن . فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة .

وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال — نقصها — وقتل الأشراف . فخذوه . فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال . وقتل الأشراف .

فألنا بذلك يا رسول الله أن نحن وفينا ؟

قال : الجنة .

قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبايعوه .

قال البعض أن العباس بن عباد قال ذلك ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

وقال البعض إنه قال ذلك ليؤخر القوم تلك الليلة . رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي سلول . فيكون أقوى لأمر القوم » (٢١) .

هكذا كانت الصراحة التامة هي أساس هذا البناء الاسلامي القويم لصريح الدعوة . وميدان الاعلام الاسلامي في المدينة المنورة . من كلا الجانبين فالأنصار يستوثقون لأنفسهم . كما استوثق العباس . وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه منهم وأنهم منه . أخبروا أنهم يأخذوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .

(٢١) المرجع السابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

ثم يسألوا عن أجر ذلك عند الله - إن هم وفوا بذلك . فيقول لهم الجنة . وتم البيعة .

بقى أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع أساسا إعلاميا قويا في هذه البيعة مع الأنصار . وهو اختيار قادة الرأي . بين هم أنهم على قومهم كفلاء ككفالة الخوامين لعيسى بن مريم . وهو صلى الله عليه وسلم كفيل على المسلمين . وكان هذا الأساس الإعلامي . كتلخيص الموضوع . ووضعه مركزا في عتق هؤلاء القادة .

بل إنه لم يختَر هؤلاء القادة . فقد حدد المطلوب وهو اثنا عشر رجلا . ولم يختَر هؤلاء من الثلاثة وسبعين الذين حضروا وإنما تركهم هم يختارون قاداتهم . ليكون ذلك أخرى بطاعتهم لهم . وليشعرهم بالحرية منذ البداية . وإن الأمر شوري . وأن الاسلام مبني على الحرية لاعلى الاستبداد فهم أحرار في اختيار قاداتهم . وهكذا أرسى النبي صلى الله عليه وسلم أسس الأعلام الاسلامي في المدينة . مع هؤلاء الذين بايعهم أولا ثم هجرته الى يثرب ثانيا .

خامسا : أحداث الهجرة النبويه إعلام عن الدعوة :

ظل النبي صلى الله عليه وسلم يمارس الإعلام عن الاسلام في مكة ثلاثه عشر عاما . ثلاث سنوات منها في المرحلة السريه كانت في بداية البعثه . وعشر سنوات في المرحلة الجهرية . واتسمت هذه الفتره كلها بممارسه الإعلام بمختلف الوسائل . وبكل أنواع الاتصال . فكان كما ذكرنا يمارس الإعلام داخل مكة . وخارجها . ويرسل المسلمين من القبائل البعيده والقريبه إلى أقوامهم لنشر الإسلام فيها .

وبذلك لم يحدد النبي صلى الله عليه وسلم هجرته إلا بناء على أمر الله عز وجل له . وبعد أن كان الاسلام قد أصبح معروفا في الجزيره العربيه كلها . وكان أمر محمد صلى الله عليه وسلم يعلمه البعيد والقريب . وتسمع به كل القبائل المجاوره . والدول المحيطه بالجزيره العربيه .

وكانت هجره النبي صلى الله عليه وسلم في حد ذاتها إعلاما عن الدعوة . وإعلاما عن انتقال قيادتها من مكة إلى المدينه (يثرب) فقد كان في قدرة الله عز وجل أن ينقله من مكة إلى المدينه دون علم أحد من البشر . كما حدث في ليلة الإسراء والمعراج . حيث نقله الله بقدرته من مكة إلى بيت المقدس بالشام . ثم عرج به إلى السماء السابعة . ثم عاد من ليلته ثم أخبر قومه . وساق لهم من الأدلة والبراهين ما لا يدع مجالا للشك في أنه صادق .

لم تكن الأحداث التي حدثت في الهجرة إذن مجرد الانتقال أو الارتحال من مكة إلى المدينه فقط . فقد كان في قدرة الله أيضا أن يتم ذلك دون عناء ولا مشقه . وفي وقت أقل مما إستغرقته . ولكن كان لذلك حكما كثيره ، يستفاد منها في مجالات متنوعه . ويمكننا أن نستفيد منها في مجال الإعلام على وجه الخصوص .

ولسنا هنا في مجال سرد قصة الهجرة وأحداث كناعيه تاريخيه . ولكننا نركز على بعض الأحداث الهامه منها . لاستنباط بعض القيم الإعلاميه ونلاستفاده ببعض المواقف الهامه . التي تفيد في التخطيط الإعلامى للأمور الهامه . والتي

تفيد في ممارسة الإعلام أيضا بصورة مثلى حيث القدوة والأسوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين . ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو قتل . إلا على بن أبي طالب . وأبو بكر بن أبي قحافة رضى الله عنها . وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة . فيقول له رسول الله : لا تمجل لعل الله يجعل لك صاحبا . فيطمع أبو بكر أن يكون هو » (٢٢) .

وهذه من صفات القائد الناجح أنه لم يترك أحدا من أصحابه في مكة إلا من حبسه أهله . أو عبدا حبسه سيده . أو من قتل . كما ترك على بن أبي طالب ليرد الودائع إلى أهلها .

فقد كان أهل مكة مع كونهم يحاربون محمدا ودعوته . إلا أنهم يرونه الأمين الذي لا تحفظ الودائع إلا عنده . فكانوا يحفظون ودائعهم عنده . فلما عزم الهجرة وأذن الله عز وجل له فيها ترك عليا ليرد هذه الودائع لأصحابها . ولم يستحلها لأن المكين قد ناصبوه العداوة ، وأخرجوه . ولكنه ردها إليهم . إعلاما عن دينه بأنه دين الأمانة والقناعة . وليس من مبادئه الخيانة ولا الطمع . فلعل ذلك يثير تفكيرهم مرة أخرى . في هذا الدين . وليرك أثرا حسنا وذكرى طيبة عنه وعن دعوته في نفوسهم وإن كانوا أعداءه .

ومن هذا يتعلم رجال الإعلام أنهم يجب أن يتركوا ذكرى طيبة . وأثرا حسنا . حتى مع من خالفهم في الرأي أو المذهب أو نحو ذلك . فلعل ذلك يفيد في موقف آخر . فهذه الذكرى والسمعة الحسنه والمواقف الطيبة التي تكون نهاية موقف . هي بذاتها تكون بداية لمواقف طيبة في مرات قادمة . وهذا من الأسس الإعلامية التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن هاجر من مكة إلى المدينة .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

لما أمر الله نبيه بالهجرة . كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه يتمسك بكلمه الحق . وأنه سلك الطريق الصحيح لإبلاغها . فلم يكن متسرعاً . ولا متهوراً . بل كان يخطط لكل خطوه بخطوها . و يفكر في كل أمر من أموره . في روية وأناة وثؤدة وثقة لذلك حيناً كانت الهجرة ، خرج وهو يعلم أن على بابه أربعين شاباً في أيديهم أربعين سيفاً كلها تستهدف شيئاً واحداً هو أن تلتقي حول رقبته . ومع ذلك ولأنه يتمسك بكلمه الحق . يستهن بكل هذا . ويخرج ويمشوا على وجوههم التراب . قائلاً « بسم الله شأهت الوجوه » وهو يتلو آيات من سورة يس . ومن هذا نعلم أن الإعلام بكلمه الحق . طالما كان يتم من أجل الحق فعلاً . ويسلك طريقاً سليماً . وبتخطيط محكم دقيق . فلنعلم أن الله عز وجل مؤيده وناصره على كل من وقف في طريقه . ولو كانت أكبر القوى وأعنتها .

و يوم أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا بكر بأنه سيهاجر . لم يخبره قبلها بأيام . وإنما في ذات اليوم . في وقت : غير مألوف أن يذهب إلى بيته فيه .

« عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان لا يخطيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار . إما بكرة وإما عشية . حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة بين ظهري قومه . أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة . في ساعة كان لا يأتي فيها . فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث . فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إلا أنا وأختي أسما بنت أبي بكر . فقال رسول الله لأبي بكر « أخرج عني من عندك » قال يا رسول الله : انما هما ابنتاي . وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ قال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : « الصحبة » قالت عائشة : فوالله ما شعرت قط قبل اليوم أن أحداً يبيكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي » (٢٣) .

(٢٣) ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٨ .

إستعمان النبي صلى الله عليه وسلم على أمر هجرته بالكتمان . فكتم الخبر . ليكون عنصر مفاجأة لأهل مكة . فأخبر أبا بكر في ساعة لم يكن يحضر في مثلها . وطلب ألا يسمعها أحد . ثم أبلغه أن الله أذن له بالهجرة . وبصحبته .

وكان أبو بكر قد أعد راحلتين اشتراهما لذلك الأمر . ولم يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحلة إلا بعد أن عرف ثمنها وابتاعها من أبي بكر . ليعلمنا أهميه عنصر التحويل وأثره . فالإعلامى لابد أن يكون قائما على أمر الإعلام بماله ومزودا بما يجعله حازما في أمره . يمتلك زمام القرار . وعزه النفس . وشموخها .

« قال ابن اسحاق : فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقدم له أفضلهما ثم قال : اركب فذاك أبى وأمى . قال : إننى لأركب بعير ليس لى . قال : فهى لك يا رسول الله فذاك أبى وأمى ، قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هى لك يا رسول الله ، فركبها وانطلقا . وأردف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة موله خلفه ليخدمهما في الطريق » (٢٤) .

واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته عنصر المفاجأة في أكثر من موقف . وذلك إحكاما لحظته . فقد استخدم ذلك عندما خرج من خوخه في ظهر منزل أبى بكر . واستخدم ذلك حينما خرج إلى الغار . واستخدم ذلك حينما ظل في الغار ثلاثة أيام . وأيضا حينما سلك طريقا غير مألوف إلى المدينة .

ظل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر في غار ثور ثلاثة أيام . وكان هذا الغار موحشا . لا يظن أحد أنه مكان محمد ولا لصاحبه . واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الخبر الإعلامى . لثأته بأخبار مكة . وكان ذلك الخبر عبد الله بن أبى بكر . فلم يختر أى غبر وإنما غبرا أمينيا . يخاف على رسول الله وعلى أبيه . وكانت أساء بنت أبى بكر تأيتها بالطعام « وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يرفعى غنمه نهارا ثم يريحها إذا أمسى عليها في الغار . فكان عبد الله بن أبى بكر يكون في قرية نهاره معهم . يسمع ما يأترون به . وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر . ثم يأتها إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر

(٢٤) ابن هشام ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٧٥ .

بن فهيره يرضى في رعيان أهل مكة . فإذا أمسى أراح عليها غم أبي بكر فاحتلبا
وذبحا فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر أثره بالغم يعنى
عليه « (٢٥) » .

ولم يكن اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار لمدة ثلاثة أيام
لدواعى الأمن . فالدعوة ورسولها معلوم أن الله عز وجل كاتب لها النصر والغلبة
مهما حدث من أمر . ولكنها كانت خطة إعلامية . تضاف إلى ماسبقها من
ممارسات إعلامية في العهد المكي . ليسمع عن محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته
من لم يسمع من قبل . كما كانت خطه إعلامية . للإعلام عن انتقال مركز الدعوة
وعاصمتها ومقرها ورسولها من مكة إلى مكان آخر .

فالمعلوم يقينا أن أهل مكة حينما لا يجدون محمدا ولا صاحبه أبا بكر سوف يمين
جنونهم . ويطير صوابهم . ويركبون خيولهم منطلقين إلى كل طريق سائلين كل
تجاره . وكل قبيله وكل مسافر وكل قادم إلى مكة . وكل غاد منها عن محمد
وصاحبه . وما هذا السؤال عنهم يمثل هذه الأهمية والسرعة . إلا إثارة للانتباه .
ولفت للانتظار . وإعلام للجميع . بأمر محمد صلى الله عليه وسلم . وهجرته وأهميه
أمره . لئلا هذا لما انزعج هؤلاء المكيون الذين هم في نظر القبائل كلها أصحاب
سياده ورياسه . وأهل الحرم والكريم . وأصحاب الشجاعة والفخر والمروءة .
أمثال هؤلاء تعلم العرب جميعها انهم لا ينزعجون لأمر هين . ولا يشعرون
ولا يسرعون ولا يخرجون عن بكرة أبيهم . بكل قوتهم وبطونهم وبأسهم وعظمتهم
إلا لأمر عظيم .

وهكذا جتد النبي صلى الله عليه وسلم بعقريته الإعلامية . جتد أعداءه
إعلاميين عنه وله . ولدعوته ورسائله . طيروا خبرها إلى كل مكان . أرسلوا كل
فارس . سألوا كل تجاره . أخبروا كل قبيله . رصد الجوائز لمن يأتي به حيا أو
ميتا . طار خبر محمد وخبر دعوته وهجرته إلى كل مكان في الجزيرة العربية
وحولها ، بل وطار خبر قبيل المؤامرات لقتله وامكان السيطرة عليه داخل مكة .
فكيف يمكن ذلك خارجها ؟

(٢٥) ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٩ .

وكانت فتره الأيام الثلاثة كافية لوصول الخبر إلى كل مكان . وبذلك تكاملت الحملة الإعلامية زمانيا ومكانيا . فقد أرسلوا سراقه بن مالك بن جعشم على سبيل المثال . وذهب مسرعا طامعا في الجائزة . ووصل فعلا إلى طريق رسول الله . ولكنه بعقر يته يكتب له كتاب أمان . يعده بسواري كسرى . مما يدل على أن الأمر لم يكن فيه أدنى شك ولا خوف من جانب النبي صلى الله عليه وسلم . فهو يعد بسواري كسرى . وفعلا يتحقق الوعد في عهد عمر بن الخطاب . مما يدل على أن الأمر لم يكن فيه تخوف من جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن الاختفاء من أجل الأمن . أن كفار مكة وصلوا إلى باب الغار فعلا . بل إنه يقال إن رزاز بول أبى جهل وصل إلى رجلى أبى بكر . والرسول صلى الله عليه وسلم ثابت صامد لا يتزعزع ولا يهتز . فهو يعلم أن الله ناصر . وكيف لا وقد ظهرت المعجزات على باب الغار . وهو الشجرة والعنكبوت والحمام الذى وضع بيضه . فظن الكفار أنه لا يمكن الدخول إلى هذا المكان دون الاختلال بهذا النظام .

كان من خطط النبي صلى الله عليه وسلم الإعلامية أيضا أنه سلك طريقا غير مألوف لطيل فتره البحث على قريش . لتستكمل خطته الإعلامية بعد الأيام الثلاثة ومع كل ذلك يستخذون دليلا يدهم على الطريق بالأجر . هو عبد الله بن أريقط ، وهذا من تمام الخطه حتى لا يضل طريقهم . وهذا مما يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته . ألا يففلوا اتخاذ دواعى الأمن دائما . مع الثقة فى الله عز وجل .

كان من تمام الخطه الإعلامية التى قام بها النبي صلى الله عليه وسلم فى المهجره . أنه رد إلى قريش سائلهم . الذى خرج يطلبهم طمعا فى الجائزة . ووصل ويخبرهم أنه سلك هذا الطريق ولا داعى لسلوكه .

لحق سراقه برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . فعثرت به فرسه مرار . يقول : « فناديتهم بالأمان فوققوا . فركبت فرسى . حتى جئتهم . ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فىك الديه . وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم . وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يردانى ولم يسألانى إلا أن قالوا أخف

عنا . فسألته أن يكتب كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى رقعه من آدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولما رجع سراقه جعل لايلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال : كفتيم هذا الوجه « (٢٦) » .

ومع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظاهر الأمر يحب رد الناس عنه . إلا أنه يعلم الإعلاميين عدم الكذب في روايه الخبر . وذلك حينما يرد سراقه . ويحمله . رساله إعلاميه كاذبه . فلم يطلب منه أن يقول إنه لم يجدهم بهذا الطريق مثلا . ولكن قال له : أخف عنا . وترك له حريه التصرف في صياغة الرساله . فرجع ورد من كان يريد سلوك هذا الطريق . قائلا : كفتيم هذا الوجه .

وبذلك يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم الصدق في الممارسه الاعلاميه . وفي الروايه الاخباريه . حتى في أحلك الظروف . وأدق المواقف . وسبق أساتذه الإعلام بذلك .

ووصل النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء . على مشارف يثرب . وفيها قابل الأنصار الذين طال انتظارهم . فاستقبلوه بالبشر والترحاب . وبدأ رسالته الاعلاميه فور قدومه . فخطب فيهم وبنى المسجد . سنبدا الحديث عن الممارسه الاعلاميه التطبيقيه في المدينه من وصول النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء .

وبالجملة فقد كانت الهجره كلها اعلاما عن نصر الله عز وجل لدينه ولنبيه رغم قوه قريش وبأسها . وشجاعه كفارها . فنذ خروج النبي صلى الله عليه وسلم على أربعين شابا يريدون قتله بأربعين سيفا ماضيا . حتى نزوله قباء وكل لحظه فيها إعلام عن هذه الدين وعن هذه الرساله .

وماسقناه هنا ما هو إلا نماذج وأمثلة لكيفيه الممارسه الاعلاميه التي مارسها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في مكه . وسنتحدث أن شاء الله عن إرساله لأصحابه اعلاميين خارج مكه في العهد المكي في الفصل التالي .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

الرَّسُولُ يُرْسِلُ صَحَابَهُ فِي مَهْمَاتٍ إِعْلَامِيَّةٍ

- أهمية إرسال الصحابة في مهمات إعلامية خارج مكة .
- أولا : الهجرة إلى الحبشة .
- ثانيا : إرسال مصعب بن عمير إلى يثرب .
- ثالثا : هجرة الصحابة إلى يثرب .

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x \frac{1}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $f(x)$ is an odd function and that $f(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

2. In the second part, we consider the function $g(x)$ defined by the equation

$$g(x) = \int_0^x \frac{t}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $g(x)$ is an even function and that $g(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

3. In the third part, we consider the function $h(x)$ defined by the equation

$$h(x) = \int_0^x \frac{t^2}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $h(x)$ is an odd function and that $h(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

4. In the fourth part, we consider the function $k(x)$ defined by the equation

$$k(x) = \int_0^x \frac{t^3}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $k(x)$ is an even function and that $k(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

5. In the fifth part, we consider the function $l(x)$ defined by the equation

$$l(x) = \int_0^x \frac{t^4}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $l(x)$ is an odd function and that $l(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

6. In the sixth part, we consider the function $m(x)$ defined by the equation

$$m(x) = \int_0^x \frac{t^5}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $m(x)$ is an even function and that $m(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

7. In the seventh part, we consider the function $n(x)$ defined by the equation

$$n(x) = \int_0^x \frac{t^6}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $n(x)$ is an odd function and that $n(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

8. In the eighth part, we consider the function $o(x)$ defined by the equation

$$o(x) = \int_0^x \frac{t^7}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $o(x)$ is an even function and that $o(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

9. In the ninth part, we consider the function $p(x)$ defined by the equation

$$p(x) = \int_0^x \frac{t^8}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $p(x)$ is an odd function and that $p(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

10. In the tenth part, we consider the function $q(x)$ defined by the equation

$$q(x) = \int_0^x \frac{t^9}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $q(x)$ is an even function and that $q(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

11. In the eleventh part, we consider the function $r(x)$ defined by the equation

$$r(x) = \int_0^x \frac{t^{10}}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $r(x)$ is an odd function and that $r(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

12. In the twelfth part, we consider the function $s(x)$ defined by the equation

$$s(x) = \int_0^x \frac{t^{11}}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $s(x)$ is an even function and that $s(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

13. In the thirteenth part, we consider the function $t(x)$ defined by the equation

$$t(x) = \int_0^x \frac{t^{12}}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $t(x)$ is an odd function and that $t(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

14. In the fourteenth part, we consider the function $u(x)$ defined by the equation

$$u(x) = \int_0^x \frac{t^{13}}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $u(x)$ is an even function and that $u(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

15. In the fifteenth part, we consider the function $v(x)$ defined by the equation

$$v(x) = \int_0^x \frac{t^{14}}{1+t^2} dt$$

for $x \in \mathbb{R}$. It is shown that $v(x)$ is an odd function and that $v(x) \in C^1(\mathbb{R})$.

16. In the sixteenth part, we consider the function $w(x)$ defined by the equation

$$w(x) = \int_0^x \frac{t^{15}}{1+t^2} dt$$

— أهمية إرسال الصحابة في مهمات إعلامية خارج مكة .

من المؤكد أن رجل الإعلام القدير لا يعمل بمفرده . فلا بد من أن يتلمذ على يديه بعض من اعتنقوا فكره ، وآمنوا برسائله . هؤلاء يعلمهم العقيدة والفكر . كما يعلمهم كيفية نشر هذا الفكر والعمل من أجله ، وبذلك يعمل هوفى طريق وبطريقته . ويعملون هم إلى جانبه فريقا مخلصا يعمل تحت قيادته . ويستمد روحه وحماسه وإيمانه وصلابته . من صلابة هذا القائد الإعلامى . وبقدر ما يكون القائد مؤمنا برسائله متمسكا بها . صلبا فى سبيل إبلاغها . بقدر ما يكون أصحابه على شاكلته .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد بدأ إعلاميا بالدعوة بنفسه كما رأينا . ثم أسلم بعض أصحابه . وفوراسلامهم . وتعلمهم الإسلام . أصبحوا دعاء لهذا الدين . إعلاميين به وله . فأسلم أبوبكر وأسلم على يديه الكثيرون من الصحابة . وهكذا كون النبي صلى الله عليه وسلم . فريقا إعلاميا متعاوننا متآلفا متكاتفنا ينشر الدعوة . ويرس قواعدها ودعائمها .

ولما انتقل الإعلام عن الإسلام من المرحلة السرية إلى المرحلة العلنية اتسعت الممارسة الإعلامية عن طريق الصحابة فى المرحلة العلنية عنها فى المرحلة السرية . ففى المرحلة السرية . كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل من يدخل الإسلام من القبائل المجاورة أو البعيدة إلى قومه كما ذكرنا . أما فى المرحلة العلنية فقد أرسل أصحابه رضى الله عنهم فى مهمات إعلامية خارج مكة . ومنها ما كان خارج حدود الجزيرة العربية ذاتها .

وكان الناس يرون إرسال هؤلاء لتأمينهم . أولا بعادهم عن الأذى والفتنة . ولكن حتى وإن كان ذلك كذلك . إلا أننا نراه من منظور إعلامى له هدف آخر . وبعدها بعد ، وهو الإعلام عن هذا الدين فى تلك الأماكن التى يذهبون إليها . بل والتى يرون بها . فضلا عن تلك التى خرجوا منها .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى الحبشة . أرسل مصعب بن عمير رضى الله عنه في مهمة اعلاميه بجته الى المدينة لتعليم الأنصار ونشر الاسلام ثم أرسل أصحابه بعد تباعا مهاجرين الى المدينة المنورة (يثرب) ولم يهاجر هو صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن هاجر أصحابه جميعا . فلم يترك أحدا من أصحابه وراءه إلا من حبس أوقت . وترك على بن أبى طالب ليرد الودائع ولم يكن يخشى عليه شيئا . فهو وسط أهله . وهم يستطيعون منعه من الأذى والتعذيب . كما يستطيعون تخليصه عندما يريد اللجوء بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة . فلا يجسه أحد من المشركين . وكان هذا من صفاته كقائد إعلامي ناجح صلى الله عليه وسلم .

وكان الهدف الاعلامي من ارسال المهاجرين الى الحبشة . ثم المهاجرين الى يثرب هو نشر الاسلام والاعلام عنه ، في الطرق التي يسلكونها وفي البلاد التي يذهبون إليها . حيث يرى أهل هذه البلاد أنه لولا تمسك هؤلاء الناس بالحق . ورؤيتهم للحقيقة . ما تركوا أهلهم وأوطانهم وأموالهم وأولادهم . وهاجروا الى هذه البلاد التي لا يعرفونها . وأصبحوا فيها غرباء فقراء . يعلمون ويكذبون ويتعبدون . وأيضا يمارسون المهمة التي خرجوا من بلادهم من أجلها وهي الإعلام عن الإسلام . وكان هذا في حد ذاته مدعاة لأن يتساءل أهل هذه البلاد عن هذا الدين الذي يضحون من أجله كل هذه التضحيات العظيمة .

أما مهمتهم الاعلامية في الطرق التي سلكوها . فهو في لقاءاتهم بالقبائل التي يسيرون بها . أو قوافل التجاره أو غيرها . فالعرب كانت تنتقل أخبارهم أكثر ما تنتقل في هذه الجزيرة العربية عن طريق قوافل التجارة . حيث تناقلت هذه القوافل أخبار هؤلاء المهاجرين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وعرفوا أنهم هاجروا من مكة فآزروا بدينهم . وأنه لولا محبتهم لهذا الدين لما فعلوا ذلك فما هو هذا الدين ؟ . كما عرفوا أن أهل مكة قد أصبحوا غلاظ الأكباد . قساة القلوب . حيث يضيقون الخناق على أهلهم من أجل عقيدة دينيه . وبذلك كان الاعلام إعلام عن الدين . وعن قسوة كفار مكة وجبارتها .

أما خروجهم من مكة ذاتها فقد أثار رقة بعض الكفار الجارية ذاتهم . وقد
أشاردهشتهم . أنهم يعذبونهم ليرجعوا عن هذا الدين . فإذا بهذا الدين أغلى عليهم
من المال والولد والأهل والبلاد . وأثار ذلك تفكيرهم . ودعا الكثيرين منهم الى
مراجعة انفسهم . وأدى ببعضهم إلى الدخول في الاسلام . كما سنرى .

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
DIVISION OF THE PHYSICAL SCIENCES
DEPARTMENT OF CHEMISTRY
530 SOUTH EAST ASIAN AVENUE
CHICAGO, ILLINOIS 60607

أولا : الهجرة الى الحبشه :

كان التخطيط الإعلامى الذى يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام يتسم بالدقه والإحكام ويُعد النظر . فيها هو فى المرحلة السرية يضع خطه إعلاميه للمرحله العلنية من حيث إرسال من أسلم من القبائل المحيطة بمكة — رجال اعلام — إلى أقوامهم لنشر الاسلام . فى ذات الوقت الذى اشتغل فيه بإعداد صف متكامل مترابط من الإعلاميين المسلمين — الذين آمنوا به للجهر بالدعوة .

وهو فى المرحلة العلنية يارس الاعلام داخل مكة وخارجها بنفسه وعن طريق أصحابه . فيضع لذلك خطتين إعلاميتين .

الخطه الأولى : نشر الاسلام فى مكة جهرا وحولها فى الأماكن البعيدة والقريه فى الجزيره العربيه . مثل عرض نفسه على القبائل والذهاب الى الطائف . ومبايعه الأنصار والهجرة الى المدينه . وما تحدثنا عنه فى الفصل السابق ثم بإرسال المهاجرين من أصحابه داخل الجزيره العربيه أيضا . مثل إرسال مصعب بن عمير معلما وداعيا للاسلام فى المدينه . ثم إرسال أصحابه مهاجرين الى يثرب .

أما الخطه الثانيه : فقد كانت تتسم ببعد النظر . حيث هى تمهيد للإعلام الدولى أو العالمى بالاسلام . وذلك بإرسال أصحابه مهاجرين الى دوله أخرى خارج الجزيره العربيه . وتمهيدا لبدء مرحله الاعلام الاسلامى الدولى أو العالمى بعد هجرته الى المدينه .

وبذلك كانت خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعلاميه الاسلاميه مترابطه ومتداخله ومتزامنه ، تخدم الخطه الحالىه منها الخطه المستقبلية ، فخطه المرحله السريه . تخدم خطه المرحله القادمه وهى الجهرية فى ذات الوقت . وخطه المرحله الجهرية التى انتقل إليها زمنيا بعد المرحله السريه تخدم خطه المرحله القادمه وهى العالميه بعد هجرته الى المدينه .

وهكذا يُعَلِّمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال الإعلام في كل مكان أن الإعلام الإسلامي يتسم بالتخطيط الاعلامي المحكم . لتحقيق الأهداف العاجلة والآجلة للاتصال الاعلامي . وأن التخطيط الاعلامي ليس وليد فكر رجال الإعلام في العصر الحديث . وإنما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه وقواعده . وأرسى دعائمه ، وعلمهم الترابط الاعلامي . والتزامن بين الخطوات الاعلامية وبعضها . حتى تكون متنسقة . لا تكرر فيها . ولا تناقض بينها . فكل خطوه تخدم هدفا وتمهد في ذات الوقت للخطوة القادمة . وتفتح لها الطريق . وتعدها المجال .

فالمهجرة الى الحبشه على سبيل المثال . كانت هدفا اعلاميا للمرحلة التي يعيشها المسلمون . للاعلام عن قسوه كفار مكة . وللإعلام عن أهمية الاسلام حتى أن المسلمين تركوا المال والأهل والوطن من أجله . اعلام بكل ذلك للمكيين وللجزيرة العربية كلها . في ذات الوقت الذي كانت فيه الهجرة إلى الحبشه تمهيدا لخطوة اعلامية قادمة . تمت في العهد المدني . وهونشر الاسلام في الدول المجاورة كلها : مثل مصر ودولة الفرس . ودولة الروم والبحرين وغيرها من الدول المحيطة بشبه الجزيرة العربية .

وبذلك كانت هذه الخطوة الاعلامية — الهجرة الى الحبشه — محكمه التخطيط لخدمه هدف عاجل وهدف آجل للإعلام الاسلامي . المحلي والعالمي . وكان من أحكام هذه الخطه الاعلامية النبويه . أنه اختار الحبشه . ولم يبعث أصحابه مهاجرين الى الفرس أو الى الروم أو غيرها . وإنما أرسلهم إلى الحبشه . مع أن طر يقها يعد أصعب من غيره لوجود البحر فيه . وربما كانت طبيعه أهل الحبشه ولغتهم تختلف عن أهل الجزيرة العربية . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الحبشه مع ذلك لعدة أسباب .

أولا : لأن أهلها من أهل الكتاب — النصارى — الذين كانوا يهودون في كتبهم أن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه وانهم ينتظرون بعثته . و يعرفون صفته واسمه وزمانه . ومكانه . فكانوا أقرب للتصديق من غيرهم .

ثانيا : أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم شيئا عن النجاشي ملك الحبشة وعدالته . بدليل انه قال لأصحابه أن بها - أى الحبشة - ملك لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فخرًا مما أنتم فيه .

ثالثا : يذكر بعض الرواه أن وفد النصارى الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة كانوا من الحبشة . وقال البعض انهم من نجران . فإذا كانوا من الحبشة . فهم قد أسلموا وصدقوا . ولم يرجعوا عن الإسلام . لما حاول أبوجهل وعصابته تبكيته وردهم عن الاسلام .

« يقول ابن كثير في تفسيره لقول الله عز وجل في سورة القصص « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتُونَ أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة وما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت . قال ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلت في النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - الى قوله - فاكتبنا مع الشاهدين » (١) .

لكل هذه الأسباب وغيرها أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه مهاجرين إلى الحبشة . ولم يرسلهم إلى بلد آخر أو دولة أخرى . حتى لا تحدث لهم معارضة . أو أذى . مما يعوق مهمتهم الإعلامية في الدولة التي يذهبون إليها ويبدد جهودهم . ويؤدى الى خفض روحهم المعنوية . فقد تركوا الاضطهاد والأذى والتعذيب في مكة ليجدوه في مكان آخر . إن حدث هذا فإنما يؤدى إلى خذلانهم . أما أن يحدث ما حدث في الحبشة من ترحيب النجاشي وبطارقته وأهل الحبشة

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٩٤ .

بهم وبدعوتهم فإن هذا يزيدهم إيماناً بدينهم . ويجعلهم يزدادون ثقة في الرسالة ورسولها صلى الله عليه وسلم . كما يريهم أن أهل مكة في ضلال وعناد وطفیان بالفعل . مما يجعلهم لا يندمون على هجرتهم ولا خروجهم من مكة ولا تركهم لأوطانهم في سبيل هذا الدين .

كما أن تصديق أهل الحبشة للإسلام والمسلمين يؤدي إلى استمرارهم في حملتهم الإعلامية للإسلام . فهو بمثابة رد الفعل . والإعلامي يهجم كثيراً أن يتعرف على رد الفعل الخاص برسائله الإعلامية . وما أثمرت عنه . فإن كانت نتيجتها إيجابية فإن ذلك يشجعه و يدفعه إلى مزيد من العمل الإعلامي . أما إذا كانت نتيجة العمل الإعلامي — أورد الفعل — سلبية فإن ذلك يؤدي إلى تثبيط الحمم وتخفيض الروح المعنوية . وربما كان هذا من الأسباب التي أدت إلى أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يهاجروا إلى الحبشة لا إلى غيرها من الدول .

وقد كانت هجرة الصحابة إلى الحبشة هجرة إعلامية بالإسلام وله بكل المقاييس فلم يكن الهدف منها الفرار بالدين . ولم يكن الهدف منها ناحية الأمن أو التأمين للمهاجرين . فهي كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم . من هذه الزوايا — إعلامية تماماً — فلم تكن هجرة النبي ولا اختفائه في الغار لدواعي الأمن وإنما لدواعي الإعلام كما ذكرنا من قبل .

فلو كانت الهجرة إلى الحبشة الفرار بالدين لهاجر الصحابة جميعاً والرسول صلى الله عليه وسلم معهم حفاظاً على الدين متمثلاً في هؤلاء الرجال . ولكن سئرى أنها بدأت بعدد قليل من المهاجرين . ثم ازداد عددهم . وبقى معظمهم في مكة . فهي إذن لم تكن قراراً بالدين .

ولو كانت الهجرة إلى الحبشة لدواعي الأمن والبعد عن الأذى والتعذيب في مكة . لكان أولى بالهجرة أولئك الذين يعذبون من العبيد والمستضعفين . أما أن يهاجر عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وغيرهم من السادة وذوى المنعة في مكة . وهاجر أبو موسى الأشعري من اليمن إلى الحبشة مباشرة وهو لا يقاسى أذى ولا تعذيباً في بلاده . في ذات الوقت الذي يبقى فيه بلال وهو حبشى أصلاً . ونجاشي وآل ياسر وغيرهم

من المستضعفين الذين يلقون الأذى والعذاب . فهذا يدعونا الى القول بأن المهجره الى الحبشه لم تكن فرارا بالدين ولابعدا عن الأذى والتعذيب . وانما كانت اعلاما بالاسلام . ونشر الرسالته في مكه ذاتها تلك التي خرجوا منها . وفي الطرق التي سلکوها . وفي البلاد التي ذهبوا إليها . وعاشوا بين أهلها ، حتى السنه السابعه من هجرة النبی صلی الله عليه وسلم الى المدينه . ولم يرجعوا فور هجرته الى المدينه . ولو كانت المهجره فرارا أو خوفا لرجع المهاجرون إلى المدينه فور استقرار الأمور بها . حيث استتب الأمن وأصبحت الدوله الاسلاميه قويه منيعه . هزمت المكيين في بدر . وحاصرت اليهود وأصبحت دوله قويه بكل المقاييس والمعاني .

وفي هذا يقول الأستاذ محمد شديد : « الواقع أن هذه الهجرة — الى الحبشه — لم تكن مجرد الفرار والنجاة — إنما كانت أولى محاولات الرسول المتكرره . التي بذلها في البحث عن مكان آمن . عن قاعدة جديدة . يتجمع فيها المؤمنون . وتصلح مركزا جديدا لدعوته يقيم فيها مجتمعه ودولته » (٢) .

ويقول الدكتور رؤوف شلبي أيضا مؤكدا ذلك « وفي هجرة سيدنا جعفر بن أبى طالب في المرة الأولى دليل واضح على أن الهجرة أريد منها كذلك أن يسمع الناس عن الإسلام بالاضافه إلى بعد المسلمين عن مواطن الأذى . إذ أن جعفر بن أبى طالب أخ على بن أبى طالب . وعلى لم يهاجر . وأبوها أبوطالب يدافع عن الدعوة . ما قصر يوما في حمايتها . ولا آذى عليا يوم أن رآه يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خفية . بل قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه » .

وإن فلماذا يهاجر جعفر بن أبى طالب في السنه الخامسة من المبعث ووالده مازال حيا . ومازال منافحا مدافعا عن الدعوة ؟

إن أمر هجرته هو أمر تبليغ الدعوة بالطريقه الذاتيه لها . وهو ابن عم النبی صلی الله عليه وسلم . أعلم الناس به وأعرفهم بأحواله وأحقهم بحمل رسالته . ولهذا كان هو المتحدث مع النجاشي في شأن الفتنه التي تودها قریش . لما أرسلت رسولها في طلب المهاجرين إلى الحبشه » (٣) .

(٢) محمد شديد ، الجهاد في الاسلام (القاهرة : مؤسسه المطبوعات الحديثه ، مجهول السنه) ص ٤٧ .

(٣) رؤوف شلبي ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

وما يذكره البعض من أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة إنما كان لإبعادهم عن الأذى مثل قول ابن اسحاق: «فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ومن عه أبي طالب . وأنه لا يقدر أن يمنهم بما هم فيه من البلاء . قال لهم : لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق . حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه . فخرج المسلمون عند ذلك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلى أرض الحبشة . مخافة الفتنه . وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الاسلام» (١) .

إذا صح هذا الرأي — علماً بأنه رأى مؤرخ — أى ليس نص حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا صح هذا فإنما كان لتشجيع الصحابة على الهجرة . وطماننة نفوسهم وقلوبهم إلى أن البلاد . التى سوف يهاجرون إليها لا عناء فيها ولا تعب ولا مشقة . فهى أرض صدق . وملكها لا يظلم عنده أحد . وهذا وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمسلمون يعلمون صدقه . لا يشكون في ذلك مطلقاً لذا اعتقد أن هذا كان لطمأننة نفوسهم . ولتشجيعهم على الهجرة إلى هذه البلاد التى لا يعرفون أحداً فيها . فهى تجربة جديدة وقاسية بحق — وكان الإقدام عليها . يحتاج إلى تشجيع وحث من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكن نص حديث النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن قال لهم هاجروا فراراً بدينكم . أو ابتعدوا عن الأذى . وإنما هذا رأى كتاب السيرة والمؤرخون . أما نص كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهو «لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق . حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» .

فقد قال «حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» . وربما كان المقصود بكلامه صلى الله عليه وسلم في هذه الجملة أى حتى يجعل الله لكم فرجاً فتنتشر الدعوة بهجرتكم وجهدكم في هذه البلاد . حيث أن انتشارها و بكة وحول مكة كان بطيئاً . وإن فهم منها كتاب السيرة ما فهموا فلا حرج . ولكننا نرى ذلك من

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمى السرجاني ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٥ .

منظور اعلامى . ان هذا كان تخطيطا اعلاميا لنشر الدعوة . والاعلام عنها ، بدليل ان المهاجرين الأوائل لم يكونوا من المستضعفين ولا من العبيد . ولا ممن يؤذون في مكة . وإنما كانوا من ذوى المنعة والعزة في أقوامهم حيث خرج مهاجرا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبی صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو . والزبير بن العوام . ومصعب بن عمير بن هاشم . وعبد الرحمن بن عوف . وأبوسلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة . وعثمان بن مظعون . وعامر بن ربيعة . وامراته ليلى بنت أبى حثمة . وأبوسبرة بن أبى رهم العامري وامراته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو . وأبو حاطب بن عمرو وابن عبد شمس . وأبوسهيل بن بيضاء . ثم خرج جعفر بن أبى طالب وامراته أسماء بنت عميس ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها . منهم من خرج بأهله معه . ومنهم من خرج بنفسه لأهل له معه «(*)» .

وهؤلاء المهاجرون الأوائل الى الحبشة أشراف القوم . وأصحاب العزة والمنعة ، حتى وان لاقى بعضهم الأذى عند دخوله الاسلام . إلا أن ذلك لم يكن بالقسوة والاستمرارية التي كانت تدعو الى الهجرة وترك الأهل والوطن .

فقد كانت الهجرة الى الحبشة إذن اعلاماً عن الاسلام . ونشرا للرسالة وبثا للدعوة ، بصورة محكمة ، تتسم بالتخطيط الدقيق . والتكامل الاعلامى الذى لا مثيل له .

وكما بدأ النبی صلى الله عليه وسلم بأسرته حال أمر الله له بالابلاغ بالدعوة في المرحلة السرية . فدعا خديجة وزيد وعلى وجميعهم دخل الاسلام ، حدث مثل ذلك وعلى ذات المستوى . لما أمره الله عز وجل بالجهار بالدعوة فبدأ بأهله وعشيرته . بدأ ببني عبد المطلب فصنع لهم الطعام عدة مرات ثم دعاهم وبلغهم برسالة . ثم انتقل الى دعوة بطون مكة الأقرب فالأقرب ، وهكذا .

(*) المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

ثم تكرر ذلك في الهجرة الى الحبشة . والتي كانت بداية لمرحلة الاعلام العالمى . فكان من المهاجرين الأوائل صهر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان . وزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وجعفر بن أبى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم . وبذلك ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى بنفسه دائما . حيث كان يبدأ العمل الصعب بنفسه وبأهله ، حتى يكون ذلك دافعا لأصحابه للعمل بحماس وإخلاص . فلا يمكن لأحد أن تحدثه نفسه بشئ من الاعتراض أو التراخي عن العمل ، فهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ما يأمرهم به ، وها هو يدفع أهله أولا لمثل هذه المهمات الصعبة التى يكلفهم بها ، فماذا بعد أن تهاجرا بنته وزوجها الذى هو ابن عمه عثمان بن عفان . وابن عمه جعفر بن أبى طالب . ومعظم المهاجرين الأوائل كانوا من بنى هاشم ومن بنى أمية ومن بنى عبدشمس وكلهم من أولاد عمومة النبى صلى الله عليه وسلم . وسنعرض بعض نماذج التأثير الاعلامى الذى أحدثته الهجرة الى الحبشة في مكة قبل أو أثناء خروج المهاجرين من مكة الى الحبشة . وفي أرض الحبشة ذاتها . حيث كان لقاء المهاجرين بالنجاشى . مؤثرا في المكين الذين جاءوا لردهم الى بلادهم والعودة بهم . ومؤثرا أيضا في النجاشى وبطارقته .

حينما بدأ المسلمون يستعدون للخروج من مكة الى الحبشة بعد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بذلك . بدأ كفار مكة ينظرون إليهم بدهشة وغرابة . ماذا يفعل هؤلاء الناس . هل يريدون الانتحال من مكة وإلى أين ؟

وأشار ذلك فكري هؤلاء المكين المعاندين . وأدى ذلك الى التأثير في بعضهم . وكان دافعا إلى اسلام من أراد الله عز وجل لهم الخير والهداية . وكان من هؤلاء عمر بن الخطاب . والذى كان من القساة على المسلمين في مكة . ولكنه تأثر بمنظر المهاجرين الى الحبشة . وأدى ذلك الى تفكيره في الاسلام .

قال ابن اسحاق : « عن أم عبد الله بنت أبى حشمة قالت : والله إنا لتترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا . إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه . قالت : وكنا نلقى منه البلاء . أذى لنا وشدة علينا . قالت ، فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ، فقلت : نعم والله ، لنخرجن في

أرض الله ، آذيتموننا وقهرتمونا . حتى يجعل الله مخرجاً . فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة . لم أكن أراها . ثم انصرف وقد أحزنه — فيما أرى — خروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا .

قال : أظعمت في إسلامه ؟

قلت : نعم ..

قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

قالت : بأسمائه . لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام» (٦) .

أدخل هذا المنظر الرقة في قلب عمرين الخطاب الذى كان يتسم بالقسوة والغلظة والشدة على المسلمين . والذى كان يؤذيه ويعذبهم . حتى إن عامرين ربيعة يظن أن إسلام حمار الخطاب أقرب من إسلام عمرين الخطاب .

وصل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة . فأقاموا فيها . ورأت قريش أن نجاح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في المقام بأرض الحبشة ، سوف يتبعه قيامهم بنشر دعوتهم هناك . وربما أدى هذا إلى أن يتكون في الحبشة مجتمع جديد يقوم على حماية هذا الدين . وفي هذا نجاح لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم من جانب وهم لا يحبون ذلك . ومن جانب آخر فإن هذا في حد ذاته خطراً يهددهم فالحبشة يذهبون اليها بتجاراتهم ولا يحبون أن ينتشر الاسلام هناك حتى لا يفقدوا سوقاً رائجة لتجارته .

من أجل ذلك أرسلت قريش اثنين من أذكى أبنائها . يحملان الهدايا للملك الحبشة . وقد أحكما جيداً خطة الهجوم على هؤلاء المسلمين بأرض الحبشة .

وسنرى أن رد المسلمين على الدعاية المضادة لهم والتي شنتها عليهم قريش في أرض الحبشة ، كانت سبباً في اعلام النجاشي ملك الحبشة بحقيقة أمر هؤلاء المسلمين ، وحقيقة دعوتهم . وأمرنيهم ، وكان ذلك سبباً في مساندته لهم ، ووقوفه الى جانبهم ، وتأييده لدعوتهم ، بل كان ذلك كما سنرى سبباً في أن يفكر قائد وفد

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

قريش والمتحدث بلسانها ، في الاسلام ، وقال بعض المؤرخين ان الاسلام دخل قلب عمرو بن العاص لما سمع كلام جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي . وهذا شأن دعوته الحق . وهذا شأن تأثير الإعلام الاسلامي .

يقول ابن كثير : « بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية . فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله . ثم قالوا له : إن نفرًا من بني عمنا ، نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟

قالا : في أرضك ، فابعث إليهم ، فبعث إليهم .

فقال جعفر بن أبي طالب : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد .

فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

قال : وما ذاك ؟

قال جعفر : إن الله بعث إلينا رسولا . ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص للنجاشي : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم .

قال النجاشي : فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه .

قال جعفر : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول .

التي لم يمسهما بشر . ولم يفرضها ولد .

قال :

فرفع النجاشي عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقيسيين

والرهبان . والله مايز يدون على ذلك نقول فيه ماسوى هذا ، مرجيا

بكم . وعين جثم من عنده وأشهد أنه رسول الله . وأنه الذي نحمد في

الأنجيل . وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم . انزلوا حيث

شئتم . والله لولا ما أنا فيه من الملك . لأتيت حتى أكون أنا الذي

أحل نعليه .

وأمر بهدية الآخرين فردت اليها « (٧) » .

(٧) ابن كثير ، البدايه والنهايه ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٦٩ .

هكذا كان أمر المسلمين حين حضروا إلى مجلس النجاشي . فقد مارسوا
الإسلام عن الاسلام منذ دخولهم . بالفعل وبالقول . فلم يسجدوا للملك . وكان
هذا غير ما تعود أهل هذه البلاد . فقد تعودوا السجود للملك كنوع من تحيته عند
لقدوم عليه .

أما جعفر بن أبي طالب فلم يسجد وإنما حياه يتحبه الإسلام . وكان هذا
مدعاة للسؤال . فلما سئل عن ذلك أجاب .

إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .

وتذكر بعض الروايات أن طريقه تحية جعفر للنجاش قد أثارت الحديث
مباشرة دون مقدمات ولا كلام :

« ذكر موسى بن عقبه أن امراء النجاش قد أشاروا عليه برؤ هؤلاء المسلمين
بعد أن أخذوا الهدايا من عمرو بن العاص وسمعوا مقالته .

فقال النجاش : لا والله حتى أسمع كلامهم . وأعلم أى شئ هم عليه ؟

فلما دخلوا سلموا ولم يسجدوا له .

فقال : أيها الرهط ألا تحذوننى ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أئانا من

قومكم ؟

فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم ؟

أنصارى أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : أفهود أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : فعلى دين قومكم .

قالوا : لا .

قال : فإدينكم .

قالوا : الاسلام .

قال : وما الاسلام ؟

قالوا : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً .

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا : رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه . بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة . وهبنا أن نعبد الأوثان . وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له . فصدقناه . وعرفنا كلام الله . علمنا الذي جاء به من عند الله . فلما فعلنا ذلك عادتنا قومنا . وعادوا النسيب الصادق ، وكذبوه ، وأرادوا قتله . وأرادونا على عبادة الأوثان . فقررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .
قال : والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى .

قال جعفر : وأما أمر التحية . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام . وأمرنا بذلك بذلك فحييناك بالذي يجيئ بعضنا بعضا .
وأما عيسى بن مريم فعبد الله ورسوله . وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . وابن العذراء التبول .

فأخذ النجاش عودا من الأرض وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود .
فقال عطاء الحبشه : والله لئن سمعت الحبشه لتخلعنك .

فقال : والله لأقول في عيسى غير هذا أبدا . وما أطاع الله الناس فتى حين رآه على ملكي . فاطع الناس في دين الله . معاذ الله من ذلك «(٨)» .

بذلك بدأ المسلمون الإعلام عن دينهم بعززه وكبرياءه . وبأدب ولباقه وكياسه . وقد كان ردهم على سؤال النجاشي عن التحية التي حيوه بها ولم يحيوه كما تعود أهل قومهم . وكان ردهم عليها بعد شرح ملخص ما يأمر به دينهم . فعرضوا في إيجاز وسرعة ووضوح . من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما يأمر به من أمور كريمة . وأخلاق حسنة . ثم عرضوا اعتداء الكفار عليه وعليهم ومعارضتهم . ثم عرفوه أنهم جاءوه طمعا في عدالته كما قال لهم نبيهم . وقد صدق

(٨) المرجع السابق ، ص ٧٣ .

وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى بأنه ملك لا يظلم عنده أحد . حيث لم يرددهم ولم يصدق مقوله مبعوثى كفار مكة مع كونهم يحملون الهدايا . ومع كونهم أحسنوا عرض مطلبهم . ومع أن ذلك قد أثر في البطارقة أو العطاء فطلبوا رد هم ولكنه لعدالته قال : لا والله حتى اسمع كلامهم .

ثم حدثوه عن التحية . فقالوا أن الاسلام يأمر بعدم السجود إلا لله عز وجل . وانهم حيّوه بالتحية التي أمرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحية أهل الجنة . وانهم يحيون بعضهم بعضاً هكذا . وأنه لا بد يجب أن يكون من أهل الجنة . وقد أخر جعفر الاجابة على هذا السؤال مع أنه كان في البداية ليجذب الانتباه الى حديثه .

ثم تحدثوا عن عيسى بن مريم في احترام ومحبة . فعرضوا مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و يقال أن هذا حدث في اليوم التالي . حيث رد كفار مكة في اليوم الأول . فأراد عمرو بن العاص أن يكيد لهم . فعاد في اليوم الثاني فقال للنجاشي إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فاستدعاهم . وسمع منهم مقالتهم في عيسى . و يقال أن جعفر بن أبي طالب قرأ عليه صدر من سورة مريم كما تذكر كتب السيرة .

فأقسم النجاشي انهم صادقون . وسمع لهم بكرم المقام في أرضه وهكذا يغلب إعلام المسلمين والاعلام الإسلامي على الدعاية السوداء التي شنها عليهم كفار مكة . واقام المسلمون بخير دار في الحبشة حتى السنة السابعة من الهجرة .

وقد اهتم النجاشي بأمرهم لما دخل الحرب ضد خصومه وخشى أمره . وأصبح المسلمون لذلك في هم شديد . وتذكر كتب السيرة أن النجاشي جهّز سفناً لهؤلاء المسلمين . وأمرهم أن يكونوا فيها . فإن غلب على أمره فليذهبوا حيث شاء . والله كتب الله له النصر فليعودوا آمين . واهتم المسلمون بدورهم بأمر النجاشي فأرسلوا الزبير بن العوام ليحضر الواقعة على من تكون فنخفوا له قر به فجعلها تحت صدره وعبر النيل عليها . وعاد فقال ابشروا فقد أظهر الله النجاشي . ففرحوا بذلك فرحاً عظيماً . يقولون : فوالله ما فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي . واقاموا عنده في خير دار .

تأثر النجاشي بما سمع عن الإسلام . وتأثر القساوسة وبكوا حتى اخضلت
لحاهم من كثرة دموعهم . وشهد النجاشي شهادته الحق . ولما مات صلى عليه
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الغائب . وهذه شهادته بأنه مات مسلماً .
كان من تأثير الجهد الإعلامي للصحابة أيضاً في هذه الهجرة أن عمرو
ابن العاص نفسه قد راجع نفسه بعد أن سمع ما سمع . فقد كان في مجلس
النجاشي مجبراً على أن يسمع . كلام جعفر . وحديثه عن الإسلام وما يأمر به حتى
إن بعض المؤرخين يذكرون أن هذا الموقف كان من أسباب اسلام عمرو
بن العاص .

وبذلك كانت مهمة الهجرة الى الحبشة التي قام بها الصحابة رضى الله عنهم
مهمة اعلاميه من بديتها الى نهايتها . وقد رجع بعض الصحابة من الحبشة إلى مكة
بعد هجرتهم بوقت لما سمعوا أن مكة قد فتحها الله لرسوله باسلام سادتها وكان من
هؤلاء مصعب بن عمير . ولما علموا بكذب الخبر الذي سمعوه . منهم من عاد الى
الحبشة . ومنهم من توجه الى مهمة اعلاميه أخرى في مكان آخر بعد أن كانت
الهجرة الأولى الى الحبشة وتدرى يا له . وكان هذا هو مصعب بن عمير . حيث
أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في مهمة إعلامية الى يثرب .

ثانيا : إرسال مصعب بن عمير الى (يثرب) المدينة :

كانت المهمة التي أرسل إليها مصعب بن عمير الى يثرب مهمة إعلامية محدده . أى لتوع معين أو وظيفه محدده من وظائف الإعلام . وهى الهدف الرئيسى من إرساله . الى جانب ممارسة الإعلام عن الإسلام بصفه عامه . فهذه مهمة لا يغفل عنها رجل دخل الإسلام وعاش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتعلم منه .

فأما الوظيفة الإعلامية المحدده التي أرسل مصعب إلى يثرب من أجلها . فهى وظيفه التعليم . تعليم القرآن وقواعد الدين لمن أسلموا في المدينة . وذلك إلى جانب ممارسة الإعلام عن الإسلام بصفه عامه لغيرهم في المدينة .

كان مصعب بن عمير قد هاجر الى الحبشة مع الذين هاجروا في البداية . وسمعوا أن الإسلام قد فشأ بمكة . وأن المشركين قد أسلموا وصلّوا . فلما قدموا مكة . وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ومصعب بن عمير . فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحا ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة .

وهكذا كانت هجرة مصعب بن عمير إلى الحبشة بمثابة البعثة التدريبيه له على مفارقه الوطن والأهل . والقيام بأعمال الإعلام من أجل الإسلام . وملاقاة المشقه والمعاناة من أجل ذلك . وهذا يدل على أن مصعب بن عمير قد ذهب في مهمته إلى يثرب وهو يعلم تماما ما يحوطها من مخاطر . وما يحقها من متاعب . ولكنه مصعب بن عمير الذى خرج من الترف والبذخ الى الخشونه وشظف العيش حبّا في الله وحبّا في رسوله صلى الله عليه وسلم .

لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في المرة الأولى على بيعة النساء أرسل معهم عند انصرافهم مصعب بن عمير . وأمره أن يقرئهم القرآن . و يعلمهم الإسلام . و يفقههم في الدين .

ولم يكن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لمصعب اختيارا عشوائيا . وإنما اختار رجل إعلام متكامل الصفات . يصلح لهذه المهمة تماما . فهو من أكابر القوم - قريش - وهو قيد تربي في بيئة تتسم بالنعيم المادى . مما يضى على أخلاقه وسلوكياته دماثة في الخلق . وحسن معاملته . وحسن تصرف .

وكان مصعب بن عمير من أذكى شباب مكة . شبابا وجمالا وأناقته . وحسن مظهر . ثم أسلم وترك عبادة الأصنام . ففضبت عليه أمه غضبا شديدا . وأصررت على كفرها وأصر على إيمانه . وفارق أمه . وفارق النعيم الذى تربي فيه . ونشأ عليه وعاش فيه .

ولم تكن خساره مصعب في فراق أمه إلا خساره مادية . فقد تغيرت حالته من النعومة . الى الخشونة ، ومن طيب العيش إلى شظف العيش . ومن أناته المظهر وحسن الشباب إلى رثائه الثياب . أما النواحي المعنوية فقد ازدادت جمالا على جمالها . ازداد عقلا راجحا . وقلبا خاشعا . و يقينا وإيمانا بالله عز وجل .

« خرج مصعب يوما على بعض المسلمين . وهم جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإ إن بصروا به حتى حنوا رؤوسهم . وغضوا أبصارهم . وذرفت عيونهم دموعا شجيا .

ذلك أنهم رأوه يرتدى جلبابا مرقعا باليا . وعادتهم صورته الأولى قبل إسلامه . حين كانت ثيابه كزهو الحديقة . نضرة وألغا وعطرا .

وتملأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهده ، بنظرات حكيمة شاكرة محبة . وتألفت على شفيته ابتسامته الجلييلة . وقال :

« لقد رأيت مصعبا هذا ، وما بكه فتى أنعم عند أبو به منه ، ثم ترك ذلك حبّا لله ولرسوله » .

اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعظم مهمة في حينها . أن يكون سفيره في المدينة . يفقه الأنصار الذين بايعوا عند العقبة . و يدخل غيرهم في دين الله . و يعد المدينة ليوم الهجرة العظيم .

كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من هم أكبر منه سناً .
وأكثر جاهاً . وأقرب من الرسول قرابه . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار
مصعب الخير . وهو يعلم أنه بكل إليه بأخطر قضايا الساعة . و يلقى بين يديه بمصير
الإسلام في المدينة التي ستكون بعد حين من الزمان قريب ، دار الهجرة ، ومنطلق
الدعوة والدعاة . والمبشرين والغزاة .

وحل مصعب الأمانة مستعينا بما أنعم الله عليه من عقل راجح . وخلق كريم .
ولقد غزا أفئدة أهل المدينة بزهد . وترفعه وإخلاصه . فدخلوا في دين الله أفواجا .

لقد جاء هم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها . وليس فيها سوى اثني
عشر مسلماً . هم الذين بايعوا النبي من قبل بيعة العقبة . ولكنه لم يكذبهم بينهم
بضعة أشهر حتى استجابوا لله وللرسول .

وفي موسم الحج التالي لبيعة العقبة ، كان مسلموا المدينة يرسلون إلى مكة
لللقاء الرسول وفداً يمثلهم وينوب عنهم . وكان عدد أعضائه سبعين مؤمناً ومؤمنة
جاءوا تحت قيادة معلمهم . ومبعوث نبيهم صلى الله عليه وسلم إليهم مصعب
بن عمير .

لقد أثبت مصعب بكيافته وحسن بلائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرف كيف يختار .

فلقد فهم مصعب رسالته تماماً . ووقف عند حدودها . عرف أنه داعية إلى
الله . ومبشر بدينه الذي يدعو الناس إلى الهدى . وإلى صراط مستقيم وأنه كرسوله
الذي آمن به . ليس عليه إلا البلاغ^(٩) .

واجه مصعب بن عمير مهمة صعبة . فهو مجتمع جديد — مجتمع يثرب —
يختلف عن مجتمع مكة . فهم مجاورون لليهود . واليهود يعرفون صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودينه . و يناصبونه العداء . فكيف يواجه مبعوثه — مصعب —
مهمته في هذا المجتمع .

(٩) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، الجزء الأول (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) ص ٤٧ — ٥٠ .

ومن هنا كانت أهميه اختيار مصعب بالتحديد . فهو صاحب خلق كريم . وأصل عريق . وذكاء حاد . وهجرة إلى الحبشه . كانت هي الهجرة الأولى ، وتدريب فيها على خوض الصعاب . ومواجهة المجتمعات الجديده .

ولولا أن مصعب بن عمير كانت له صفات الإعلامى الواقى برسائله المحب لها . لما تحمل كل هذا من أجلها . فذلك الذى تحمل من أجل هذه الرسالة ما ذكرناه من فراق أمه . وفراق النعم وطيب العيش . وحسن المظهر . الى العكس تماما من الناحية المادية . أفلا يتحمل من أجلها . مشقه إلا بلاغ والهجرة . انه صاحب هجرتين . هجره الى الحبشه . وهجرة إلى يثرب لقد تحمل الحياة القاسيه حياته كلها . حتى سقط شهيدا مدافعا عن الاسلام فى أحد . وهو يتصدى للدفاع عن وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى ظن المشركون حين قتلوه أنهم قتلوا محمدا .

« يقول خباب من الأرت :

هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله . ففنا من مضى . ولم يأكل من أجره فى دنياه شيئا — منهم مصعب بن عمير — قتل يوم أحد . فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمره .. فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه وإذا وضعناها على رجله برز رأسه . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجعلوها مما يلى رأسه . واجعلوا على رجله من نبات إلا ذخر » .

ثم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسى — نظرة على برده التى كفن فيها وقال « لقد رأيتك بمكة . وما بها أرق لمة . ولا أحسن لمة منك . ثم ها أنت ذا شعث الرأس فى برده » (١٠) .

كانت هذه صفات الإعلامى الذى أرسله النبى صلى الله عليه الى يثرب قبل هجرته إليها . ولنضرب مثالا لممارسته — رضى الله عنه — للإعلام الاسلامى فى يثرب . بعد أن بعثه النبى صلى الله عليه وسلم معلما وإعلاميا .

(١٠) المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧ .

قال ابن اسحاق: «خرج أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل . ودار بنى ظفر . وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة . فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر، على بئر يقال لها بئر مرق . فجلسا في الحائط . واجتمع إليهما رجال ممن أسلم . وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل . كلاهما مشرك على دين قومه . فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك . انطلق إلى هذين الرجلين الذين قد أتيا دار يناليسفها ضعفاءنا . فازجرهما وإنهما عن أن يأتيا دارينا . فإنه لولا أن أسعد بن زرارة من حيث قد علمت كفيتك ذلك . هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما .

فأخذ أسيد بن حضير حربته . ثم أقبل إليها . فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير . هذا سيد قومه قد جاءك . فاصدق الله فيه .

قال مصعب: إن يجلس أكلمه .

فوقف عليها متشمتا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا . اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع . فإن رضيت أمرا قبلته . وإن كرهته كف عنك ما تكره .

قال: انصفت . ثم ركز حربته وجلس إليها . فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتبلله .

ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين .

قالا له: تغتسل . فتطهر وتطهر ثوبيك . ثم تصلى .

فقال فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق . ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن . سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم . فلما نظر إليه سعد مقبلا . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟

قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا . وقد نيتهما فقالا : نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثه قد خرجوا إلى أسعد بن زرارته ليقتلوه . وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك — أى لينقضوا عهدك .

فقام سعد مغضبا مبادرا . مخوفا للذى ذكر له من بنى حارثه . فأخذ الحربة من يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج إليهما . فلما رآهما سعد مطمئنين . عرف سعد أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما . فوقف عليهما متشكيا . ثم قال لأسعد بن زرارته : يا أبا أما أمامه ، أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى . أتغشانا في دارينا بما نكره .

وقد قال أسعد بن زرارته لمصعب بن عمير : أى مصعب جاءك والله سيد من ورائه من قومه . إن يتبعك هذا لا يتخلف عنك منهم اثنان .

فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع . فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟

قال سعد : أنصفت . ثم ركز حربته وجلس . فعرض عليه الإسلام . وقرأ عليه القرآن .

قالا : فرغنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتهلله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين .

قالا : تغتسل فتطهر ثوبيك . ثم تشهد شهادة الحق . ثم تصلى ركعتين . فقام فآغتسل وطهر ثوبيه . وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين . ثم أخذ حربته . فأقبل عامدا إلى نادى قومه . ومعه أسيد بن حضير . فلما رآه قومه مقبلا قالوا : تخلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به عنكم .

فلما وقف عليها قال : يا بنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟

قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا . وأميننا نقيبه .

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله . ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل . ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة . ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زراره . فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام . حتى لم يسبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون « (١١) » .

هكذا أدى مصعب بن عمير مهمته الإعلامية على خير وجه . فقد اختار أن يذهب مع أسعد بن زراره إلى بستان اثنين من سادة القوم . وقادة الرأي فيهم . وهو يعلم أنه بالإسلام هؤلاء إنما تفتح يثرب كلها . وكانت هذه مشورة أسعد بن زراره . أما دور مصعب فكان في حسن الاستقبال وقوه الاقتناع . وإيجاز الرد في منطق مقنع . حيث قال لأسيد بن حضير مع أنه وقف عليها متشتتا . قال إن يجلس أكلمه . فالكلام وهو واقف غاضب . ولا يثير التفاتا . ولا يسترعى انتباهها . ثم يقول له مصعب : أو تجلس فتسمع . فإن رضيت أمرا قبلته . وإن كرهته . كف عنك ما تكره .

ووجد الرجل أن الكلام مقنعا . حيث فيه احترام لفكره ورأيه . وهو يتسم بالحجة والاقتناع . ولم يناقشه مصعب مناقشه طويلة مثيرة . تثير رد الفعل السيء . وإنما يكلمه بإيجاز وتركيز ووضوح — كما تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن الاسلام . ثم يقرأ عليه القرآن .

و يدخل أسيد بن حضير الاسلام . ويمارس الاعلام عنه فورا . فيرسل سعد بن معاذ بحيله ذكيه . حتى لا يثار ويغضب فيأبى الحضور . ويكون رأيا معاديا قبل أن يسمع .

و يكرر مصعب بن عمير ما حدث مع أسيد . يكرره مع سعد بن معاذ و يدخل

(١١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٣٤-٣٦.

الرجل الاسلام . و يصبح من فوره رجل اعلام بالاسلام . فينتقل إلى قومه في ناديم . فيدعوهم . و ينتشر الاسلام في المدينه .

وهنا نجد الصحابه قد تعلموا الأسس الإعلاميه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد مارسوا الاعلام بصدق . حيث يقول أسعد لمصعب جاءك سيد قومه اصدق الله فيه .

و يطلب منه مصعب الجلوس . و يكلمه باقتضاب وإيجاز ووضوح و يقرأ عليه القرآن . وهو ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يمارس الاعلام عن الاسلام . فالأمر لا يحتاج إلى كثرة الكلام . وإنما الصدق وقوة الاقتناع والإيجاز والوضوح . ثم تعلم العمل كيف يضع إذا دخل الاسلام .

وهكذا تشبثت الأسس الاعلاميه التي علمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسى قواعدها ودعائمها — تثبت جدواها وفائدتها . في استخدام الصحابة لها . حيث أدت إلى انتشار الاسلام في المدينه . ولنرى كيف مارس بقيه الصحابه مهامهم الإعلاميه في هجرتهم إلى يثرب .

ثالثا : هجرة الصحابة الى يثرب :

كانت هجرة الصحابة الى يثرب أحداثا إعلامية متلاحقة ومتكررة . حيث كانت هجره كل مجموعة من الصحابة أو كل فرد منهم حدثا يثير مكه كلها . ويثير الذعر في نفوس كفارها من المستقبل الذى ينتظر المكان الجديد الذى يتجمع فيه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . كما كان كثيره من الأحداث السابقة حين هجره الصحابة الى الحبشه يثير الفكر و يعمل العقل لدى هؤلاء المكين . أو بالأحرى لدى ذوى العقل السليم منهم . ولدى ذوى القلوب الخاليه من الأحقاد والعناد .

قال ابن اسحاق « فلما أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحرب وبإيعة هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه . وأوى إليهم من المسلمين . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين . بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها . والالحاق بإخوانهم من الأنصار . وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا . ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا — جماعات متتالية — وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة . ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة . والهجرة الى المدينة » (١٢) .

وقد كانت هجرة الصحابة إلى المدينة (يثرب) إعلاما عن عدم قبول مكة لرسالة الاسلام . وإعلام بتكوين عاصمة جديدة لهذه الدولة التى ستقوم على هدى من هذه الرسالة . كما كانت إعلاما عن عزم وتصميم المؤمنين بهذه الرسالة على المضى قدما في سبيل نصرتها ورفعتها وحمايتها مهما كلفهم ذلك من ثمن . وإن كان الثمن الوطن والأهل والمال وكل شىء .

والفارق بين الهجرة الى المدينة والهجرة الى الحبشة أن الهجرة الى الحبشة قد قامت بها جماعة من الصحابة كانت مهمتهم إعلامية لهذا الدين وبه . ودون أن

(١٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

تستمر جماعات الصحابة في التتابع إلى الحبشة . فلم يكن الهدف إذن هو تكوين دولة اسلامية في الحبشة وإنما كانت مهمة اعلاميه محدده في ذاتها ومهمه لمهمه الاعلام العالي عن هذه الرسالة لذا قام بها أفراد معظمهم من ذوى المنعة والمكانة والشرف والسيادة في مكة .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أن الحبشة ليست هي مكان قيام الدولة الاسلاميه . بل كان يعلم أنها المدينة (يثرب) كما وضع ذلك لأبي ذر الغفارى حين أسلم في بدايه البعثة وكما ذكرنا ذلك من قبل .

أما الهجرة إلى المدينة . فقد كانت مهمه اعلاميه أكثر اتساعا من مهمه الهجرة إلى الحبشة . حيث هي اعلام عن رفض مكة بصفه نهائيه لقبول هذه الدعوة ، واعلام بأنها لن تكون عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة واعلام عن قسوة كفار مكة وطردها لأعزواكهم وأشرف أبنائها . واعلام أيضا عن قبول أهل المدينة ، وتمهيد لقيام الدولة الاسلاميه وتمركز عاصمتها في المدينة . وكانت مهمة هؤلاء المهاجرين في سبقهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمهيد المدينة وأهلها لهذه المهمة الجليله .

وقد قام الصحابة رضی الله عنهم بهذه المهمة خير قيام . فأتاعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى يثرب . مع أن ذلك كان عززا على نفوسهم أن يتركوا مكة وأهله . وعاداتها . وتقاليدها . ويجمعها بكل ما فيه ومن فيه ، إلى مجتمع آخر . له عادات تختلف عن عاداتهم وتقاليدهم وهم عليه وبين أهله غرباء . وهو عليهم بكل ما فيه ومن فيه غريب .

لقد كان المهاجرون متألمون لمقامهم في المدينة في بداية الأمر . حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا الله لهم أن يحب إليهم المدينة فأصبحت أشد إليهم حبا من مكة ذاتها . حتى أنهم قضوا بقيه أعمارهم فيها ، بل وعاش أولادهم من بعدهم . ولم يعودوا إلى مكة بعد الفتح . ولا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .

وسنضرب مثالا لضيق أهل مكة بالمدينة في بداية الأمر . ولكنهم رضوا ذلك حبا في الله وفي رسوله . لقد ضاق بلال بالمدينة . مع أن بلال ليس من أهل مكة

أصلاً . بل هو عبد حبشي ومع ذلك يضيق بالمدينة و يتمنى العودة الى مكة فكيف بأهل مكة أنفسهم . ومع ذلك يحتسبون ذلك عند الله عز وجل . و يكون هذا إعلاماً وعلامة على تصحيحهم لنصره هذا الدين .

«عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحتمى . فأصاب أصحابه منهم بلاء وسقم . فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت : فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وبلال موليا أبي بكر . مع أبي بكر في بيت واحد . فأصابهم الحتمى . فدخلت عليهم أعودهم . وذلك قبل أن يضرب الله علينا الحجاب . ومنهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك .

فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أذننى من شرك نعلنه
فقلت : والله ما يدري أبى ما يقول . ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له :
كيف تجدك يا عامر فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حشفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالشور يحمى جلده بروقه» (١٣)

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول .

قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت . ثم رفع عقيرته
فقال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بسفح وحولى إذ خروجليل» (١٤)
وهل أذن يوماً مياه مجئة وهل يبدون لى شامة وطفيل» (١٥)

(١٣) طوقه : طاقته - روقه : قرينه .

(١٤) سفح موضع خارج مكة . والأذخر والجليل من نباتات مكة .

(١٥) مجنة : سوق من أسواق العرب في الجاهلية بأسفل مكة . وشامة وطفيل جبلان بكه .

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم . فقلت إنهم ليدنون وما يعقلون من شدة الحمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة . أو أشد . وبارك لنا في مدها وصاعها . وانقل وباءها إلى مهبعة (الجحفة) » (١٦) .

هكذا كان يهذى بلال وهو مريض بحب مكة وسوقها ونباتها وجبالها ويتمنى المبيت ليلة فيها . ورؤيته جبالها . وأماكنها . فكيف بأصحاب مكة أنفسهم الذين تركوا ذكريات الآباء والأجداد وأجدادهم وشرفهم . لقد تركوا ذلك ونفوسهم مليئة بالأسى . غير أن رسالة الإسلام قد ملكت عليهم زمام أنفسهم . وتحكمت في شهواتهم . وفي كل شيء . حتى تركوا كل ذلك حبا في الله ورسوله . وكان هذا في حد ذاته إعلاما عن هذه الدعوة . وكانت هذه من أكبر المهمات الإعلامية التي كلفوا بها . ونفذوها . من أجل هذه الرسالة السمحة . والتي ملأ إعلامهم بها الديننا بأسرها . على امتداد الزمان كله . واتساع الأماكن كلها . فكانوا بذلك سادة رجال الاعلام الاسلامي . وأساتذته الذين مارسوه . وتعلموه من استاذهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم .

وستنضرب أمثله لما تحمله الصحابة من أجل الإعلام بالإسلام في الهجرة . فمنهم من ضحى بابنه وزوجته . ومنهم من ضحى بماله وخرج لا يملك من حطام الديننا شيئا بعد أن كان في مكة من الأغنياء . ومنهم من ضحى بأهله جميعا . ومنهم من ضحى بالجاه والشرف والسيادة وخرج إلى مجتمع المدينة فردا عاديا . ومنهم من خرج بعد قتال عنيف في مكة ومنهم من حبس وعذب قبل هجرته ، وكان كل ذلك في حد ذاته إعلاما عن الإسلام واصرار على تبليغ هذا الدين مهما كان الثمن . وقد فعلوا ذلك ومارسوا هذا الإعلام خالصا لوجه الله عز وجل . ولم يكن همهم السمعة ولا الشهرة ولا الرياء . فكان ثوابهم الجنة ، وخلد الله ذكرهم . وجعلهم روادا وأساتذة تتعلم منهم البشرية إلى يوم القيامة . ويتأسى بهم الصالحون في كل زمان وكل مكان . وجعل سلوكياتهم في حد ذاتها علوما يدرسها أهل العلم والعقل ليستفيدوا بها ومنها في كل مجال .

(١٦) المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

« كان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش . ومن بنى مخزوم . أبو سلمة بن عبد الأسد واسمة عبد الله . هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة . وكان قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض الحبشة . فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا .

قالت أم سلمة : فلما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة في حجرى . ثم خرج بي يقود بغيره . فلما رأيته رجال بنى المغيرة قاموا إليه . فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها . أرايت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه وعصب عند ذلك بنو عبد الأسد . رهط أبى سلمة . فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا .

قالت : فتجاذبوا سلمة بينهم حتى خلعوا يده . وانطلق به بنو عبد الأسد . وحبسني بنو المغيرة عندهم . وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة .

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابني فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح . فما أزال أبكى حتى أمسى . سنة أو قريبا منها . حتى مر بي رجل من بنى عمى . فرأى ما بى فرحمتنى . فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينه ؟ فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها .

قالت : فقالوا لي الحق بزواجك إن شئت . ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني . فارتحل بغيرى . ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى . ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . وما معى أحد من خلق الله ، أتبلغ بن لقيت حتى أقدم على زوجى . حتى إذا كنت بالتنعم — موضع على بعد فرسخين من مكة — لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة . أخا بنى عبد الدار . فقال لي : إلى أين يا بنت أبى أميه ؟ فقلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ فقلت لا والله . إلا الله وبنى هذا .

قال : والله مالك من مشترك ، فأخذ بخطام البعير . فاطلق معى يهوى بى ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه . كان إذا بلغ المنزل أناخ

بى . ثم استأخر عنى . حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى . فحط عنه . ثم قيده فى الشجرة . ثم تنجح عنى إلى الشجرة . فاضطجع تحتها . فإذا دنا الروح قام إلى بعيرى فمدممه . فرحله ثم استأخر عنى . وقال : اركبى . فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه . فقادته . حتى ينزل بى . حتى أقدمنى المدينة . فلما نظر إلى قريه بنى عمرو بن عوف بقاء . قال زوجك فى هذه القرية وكان أبوسلمة بها نازلا . فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة . فكانت أم سلمة تقول : والله أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة . وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة » (١٧) .

من أجل الاسلام . ومن أجل تبليغ الرسالة . ومن أجل إقامة الدولة الاسلامية تحمل أبوسلمة الهجرة إلى الحبشة أولاً . ثم هاجر إلى المدينة : وكانت حادثه هجرته إلى المدينة بما فيها من آلام . خير دليل وأكبر وسيلة إعلام عن تصميم المسلمين على نصر هذه الرسالة . ولو ترك الرجل زوجته . وابنه بعد أن رأى أن ذراعه قد خلعت أمامه . ثم يهاجر إلى المدينة على هذه الحال . وتظل الزوجه— أم سلمه— بكاء صابره محتسبة . متألمة بأكبه . بعيدة عن زوجها الذى هاجر وبعيده عن ابنها الذى أخذته أهل زوجها بعد خلع يده . تظل عاماً كاملاً تبكى حتى يرحمها أحد أبناء عمومتها . وتلحق بزوجه . وكانت هجرتها ذاتها دليل على قسوة أو بالأحرى دليلاً على استمرار قسوة كفار مكة . فقد خلعوا ذراع ابنها . وحبسوها . ثم عندما يتركونها تهاجر لا يصحبها أحد فيصحبها عثمان بن طلحة وهو أحد المسلمين . يصحبها صدقه فى الطريق .

إنه إعلام عن الاسلام بكل ما يستطيع الانسان من قوة وعزيمة وصبر وشجاعة . إيمان . وإعلام قوامه الإيمان الكامل بهذه الرسالة . ولولا ذلك لما تحملت اسرة مثل هذا الأذى والتعذيب والتفريق فى صبر وصمت وإيمان حيا لله وحيا لرسوله صلى الله عليه وسلم . وانتظاراً للمثوبة والأجر من الله عز وجل .

(١٧) المرجع السابق، ص ٥٩، ٦٠.

ومن الصحابة من لاقى الأذى في هجرته . ومنهم من أعاده الكفار من الطريق بحيلة أو خدعه ليرجعوا به . كما فعلوا مع عياش بن أبي ربيعة والذي هاجر مع عمر بن الخطاب .

« قال ابن اسحاق : خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة بعد أن تواعداهما وهشام بن العاص أن يلتقوا في مكان يسمى — التناضب — وقال بعضهم لبعض : أينما لم يصبح عندها فليمض صاحبه . فقد حبس .

فأصبح عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب — وهو المكان الذي تواعدا عليه — وحبس هشام وقتن فافتتن .

فلما قدما المدينة نزلا في بني عمرو بن عوف بقاء . وخرج أبوجهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأُمهما — حتى قدما المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة — فكلما عياش . وقال له : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك . ولا تستظل من شمس حتى تراك . فرق لهما .

فقال له عمر بن الخطاب : ان يريديك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فأحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت . ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش : أبر قسم أُمي . ولي هناك مال فأآخذه .

قال عمر : والله انك لتعلم أني لمن أكثر فر يش مالا . فلك نصف مالي ولا تذهب معها .

فأبى عياش إلا أن يخرج معها . فلما أبى إلا ذلك . قال له عمر أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه . فإنها ناقة نجيبه ذلول فالزم ظهرها . فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها . فخرج معها حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبوجهل : يا أخى والله لقد استغلظت بعير هذا . أفلا تعقبني على ناقتك هذه . قال : بلى ، فاناخ وأناخا التيهول عليها . فلما استنوا بالأرض عدوا عليه فأوثقوه رباطا ، ثم دخلا به مكة . وقتناه فافتتن .

قال عمر فكننا نقول : لا يقبل الله ممن أفتن توبه . وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنزل الله (قل يا عبادي

الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا
إنه هو الغفور الرحيم . وأنيسوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم
العذاب ثم لاتنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن
يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون» (١٨) .

قال عمر بن الخطاب : وكتبها وبعث بها إلى هشام بن العاص .

قال هشام : فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى . أصعد بها وأصوب ولا
أفهمها . حتى قلت : اللهم فهمينا . فالتقى الله في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما
كنا نقول في أنفسنا .

قال هشام : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه . فلحقت برسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة» (١٩) .

قال ابن اسحاق : حدث بعض آل عياش بن أبي ربيعة أن أبا جهل بن هشام
والحارث بن هشام لما دخلا مكة به . دخلا به نهارا موثقا ثم قالوا يا أهل مكة .
هكذا فافعلوا بسفهاؤكم . كما فعلنا بسفينا هذا» (٢٠) .

هكذا واجه الصحابة الصعاب في سبيل مهمتهم الإعلامية التي كلفهم بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة . وقد كان عمر بن الخطاب حريصا على
عودة وتوبه رفيق هجرته هشام بن أبي ربيعة حتى أنه يعرض عليه نصف ماله .
ويفسده له حجج أبي جهل وأخيه . وأنها كاذبان . كل ذلك حتى لا يعود معها .
ولما يرق لها هشام ويريد العودة يعطيه ناقته السريعة ليهرب بها منها إذا ارتاب في
أمرها .

ويقوم أبوجهل بالدعاية السيئة حيث يدخل مكة بهشام موثقا نهارا ويقول
داعيا أهل مكة إلى مثل فعله مع المهاجرين . هكذا فافعلوا بسفهاؤكم كما فعلنا
بسفينا هذا .

(١٨) سورة الزمر (٥٢-٥٥) .

(١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٢ .

(٢٠) ابن هشام ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص ٦٥ .

ثم تنزل آيات التوبه توضح أن الله عز وجل يتوب على من فتن فيرسلها عمر
ابن الخطاب الى هشام بن أبي ربيعه بمكة . و يتلوها هشام و يتوب وهاجر و يلحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك اعلام برفق الاسلام ورحمه الله عز وجل
بالذين أسرفوا على أنفسهم .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى الهجرة بماله وأعطى
أهل مكة كل شيء مقابل أن يتركوه يهاجر . ولم يكن ذلك سفها ولا ضعفا منه .
فهو رجل محارب قادر على ذلك . وهو صهيب . إنما يفعل ذلك اعلاما للعالم كله
الى يوم القيامة أن الاسلام أغلى من المال . ومن النفس ومن كل شيء .

« قال ابن هشام : وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن صهيبا
لما أراد الهجرة . قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا . فكأثر مالك عندنا .
وبلغت الذي بلغت . ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك . والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى . أتخلون سبيلي ؟

قالوا : نعم .

قال : فإني قد جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ربح صهيب . ربح صهيب » .

وفي رواية أن صهيب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أريت دار
هجرة تكم سبعة بين ظهرائي حرتين . فإذا أن تكون هجر أو تكون يثرب » .

قال صهيب : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه
أبو بكر . وكنت هممت معه بالخروج . فصعدني فتيان من قريش .

فجعلت ليلتي تلك لا أقوم ولا أقعد . فقالوا : قد شغل الله عنه ببطنه — ولم أكن
شاكيا — فناموا .

فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت ليردوني . فقلت لهم : إن أعطيتكم
أواقى من ذهب وتخلوا سبيلي . توفون لى . ففعلوا — فتبعهم إلى مكة . فقلت :
احفروا تحت أسكفه الباب . فإن بها أواقى وأذهبوا إلى فلانة . فخذوا الحلتين .

وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . بقاء قبل أن يتحول منه . فلما رأى . قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » .
فقلت : يا رسول الله ما سبقنى إليك أحد . وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام » (٢١) .

ضحى صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه بالمال . وهو الغريب عن مكة .. والذى جاءها فقيرا معدما . لا يملك شيئا وصار تاجرا غنيا ، فلم يكن له سوى المال والتجارة . هو سنده وهو جاهه . المكثون يحتاجون إليه لتجارته لاشيء آخر و يدخل الإسلام في قلبه . فيهاجر مضحيا بالمال . تاركا التجارة . وتاركا كل ماله في هذا المجتمع وهو المال والتجارة . من أجل الإسلام . ومن أجل الحقوق برسول الله صلى الله عليه وسلم . في المدينة ليكون الى جواره . يتعلم منه و يبلغ عنه .

ولما أراد المكثون أن يصدوه عن الهجرة ظنا منهم أنه قد ارتحل بكل ماله . حيث قالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا . فكثير مالك عندنا . وبلغت الذى بلغت . ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك . والله لا يكون ذلك .

عند ذلك يقوم صهيب بدوره الإعلامى . حيث يعلمهم و يعلم الدنيا بأسرها أن هذا الدين وهذه الرسالة أغلى من المال والتجارة وكل شيء . حيث يقول لهم بعد أن أدرك أن ماله هو كل ما يهتمهم . يقول لهم :
أرأيت إن جعلت لكم مالى اتخلوا سبيلى ؟ قالوا نعم . فيدهم على ماله و يعطيهم إياه . فيتركوه يهاجر إلى المدينة .

و يصل صهيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يبارك خطوته الإعلاميه التى قام بها و يؤيدها . و يعلمها للدنيا كلها قائلا « يا أبا يحيى ربح البيع » . أو قال ربح صهيب ربح صهيب » . وهذا إعلام من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أن رساله الاسلام لا يضارها شيء من حطام الدنيا .

(٢١) ابن كثير، البداية، والنهاية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ١٧٣، ١٧٤ .

ولا يقف في سبيل تقدمها غال ولا مرتخص . ولا المال ولا الأهل ولا الولد ولا الوطن ولا النفس ذاتها .

وبذلك قام الصحابة رضی الله عنهم بالمهام الإعلامية التي كلفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومارسوها خير ما تكون الممارسة ، مستفيدين في ذلك بما تعلموه منه صلى الله عليه وسلم من دورس وأسس وقواعد اعلاميه ومستعينين بإيمانهم العميق بالله عز وجل .

فقد رأينا أنهم قاموا بالجهد الإعلامي في المرحلة السريه من بداية البعثة في قبيلة غفار ودوس وجهينه وفي هجرتهم إلى الحبشه . وفي هجرتهم إلى المدينة . ولقد تحملوا الأذى في مكة وصبروا . وتحملوا الهجره والمشقه . ومفارقة الأهل والوطن . إعلاميين يدين الله عز وجل إلى كل مكان . إلى بلادنا يعرفونها . وإلى مجتمعات لا يألّفوها . وكان سلاحهم هو إيمانهم بهذه الدعوة الذي ملك عليهم نفوسهم . وأصبحت هي حياتهم وأصبح الاعلام بها وتبليغها للدنيا كلها هو مهمهم الأول والأخير . وهو شغلهم الشاغل ، لا يثنون عن ذلك شيء . ولا يقلّ عزيمتهم شيء . ولا يقف في سبيل تحقيق غايتهم شيء ، وسنرى في كتاب آخر كيف انهم اكملوا هذا الجهد في المدينة . فحملوا رساله الاسلام وبلغوها وانطلقوا اعلاميين بها وقد حملوا أرواحهم على اكفهم إلى كل مكان عرفوه في الأرض .

وبذلك تكون قد اكتملت الصورة الإعلامية في العهد المكي منذ اعداد النبي صلى الله عليه وسلم لحمل الإعلام بهذه الرسالة العظيمة . وماتطلبه ذلك من صفات زوده الله عز وجل بها منذ ولادته إلى طفولته إلى صباه إلى شبابه . وما كان عليه قبل البعثة من صفات عرف بها في المجتمع المكي . ولقتت إليه جميع اشراف وعبيد ذلك المجتمع . فكان يألّفونه ويحيونه و يقدمونه في كل خير . وكانوا يستسقون به . وكانوا إذا ذبحوا الجذور دعوه لبيدعوهم فيها بالبركه . كما كانوا يلقيونه بالصادق الأمين وكانوا لا يأمنون على ودائعهم واماناتهم الا عنده صلى الله عليه وسلم . حتى بعد بعثته وهم يتناصبونه العدا . كانوا أيضا لا يحفظون ودائعهم واماناتهم إلا عنده . حتى أنه يوم الهجره — هجرته إلى يثرب — ترك على بن أبي طالب ليرد الدائع إلى أهلها من المكيين .

ومن هذا يتعلم القائلون على أمر الإعلام أن الإعلام لا بد له من صفات تؤهله لأن يحبه الناس ، و يقدرونه و يسمعون كلامه ، وبالتالي يؤدي هذا إلى التأثير فيهم والاستجابة لدعوته أو إعلامه . فالجمهور إذا وثق في القائم بالإعلام وأحبه استمع منه . وإن لم يستجب له في العاجل استجاب له آجلا .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مارس الإعلام برسالة الإسلام التي أوحى الله عز وجل بها إليه في مكة مستعينا بإيمانه بربه . وباقتناعه برسالته العظيمة . ومستمدا استمراره من الصفات التي زوده الله عز وجل بها . فكان يمارس الإعلام بفكر متفتح . وقد رأينا أنه في الفترة الأولى من بعثته مارس الإعلام وإبلاغ رسالته إلى أسرته أولا . ثم إلى أصدقائه المقربين المحبين له . أمثال أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وقام هو ومعه هؤلاء المؤمنين به و برسالته . بتبليغ الدعوة سرا في مكة بما يتناسب مع الفترة الزمانية للبعثه . وأيضا بما يتناسب مع المجتمع المكي . فلم يفاجئ هذا المجتمع مرة واحدة بالإعلام عن رسالته جهرا . وإنما بدأ الإعلام بها وتبليغها وشرح قواعدها وأسسها بطريقه سرية . وتحدثنا عن أن هذا الإعلام في هذه الفترة السرية لم يكن معناه أن المجتمع المكي كان يجهل أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا أمر رسالته التي يدعو إليها . وإنما كان الإعلام بمعنى التعليم والأخبار والتوجيه والارشاد إلى هذه الدعوة كان يتم بطريقه سرية في دار الأرقم بن أبي الأرقم والذي كان أول مؤسسه إعلاميه اسلاميه .

ولما ازداد عدد المؤمنين أمرا لله نبيه بالإعلام بأمر الاسلام جهرا . . وكما بدأ المرحلة السرية بأسرته . بدأ المرحلة الجهرية بعشيرته وأهله بدأ ببني عبد المطلب . ومارس الإعلام بنفسه في المرحلة الجهرية في مكة وخارج مكة .

ثم انتقل إلى الإعلام عن الاسلام خارج حدود الجزيرة العربية فكلّف أصحابه بمهام اعلاميه . إلى الحبشه وإلى يثرب . وكما كما دأبه دائما أن يبدأ بنفسه . حيث فعل ذلك في الاعلام في المرحلة السرية . ثم في المرحلة الجهرية فعل ذلك أيضا في مرحله بدء الاعلام الدولي بدأ بابنته وزوجها وابن عمه فكانوا على رأس المهاجرين إلى الحبشه ، ورأينا كيف أن الصحابه رضي الله عنهم قاموا بالجهد الاعلامي خير قيام من أجل رسالة الاسلام العظيمة .

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمنا كيف يكون التخطيط الإعلامى لكل مرحله من مراحل الاعلام . وكيف تحقق المرحلة الحالية دورها لخدمه الوقت الحاضر أى تمارس فيه . وكيف تمهد للمرحلة القادمه وتخدمها . حيث المرحلة السريه مثلا تحقق دورها وتمهد للمرحلة الجهرية . ثم المرحلة الجهرية تحقيق هدفها وتمهد للمرحلة العالميه . وهكذا .

ورأينا كيف أن رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهده الاعلامى وجهده أصحابه . يحقق اهداف الاتصال الاعلامى العاجله والآجله فى ذات الوقت . كما رأينا كيف كانت تصاغ هذه الرسائل بأشكال إعلاميه دقيقه . وتصاغ فى قوالب فنيه جذابه . لاجشوفها ولا تطويل . ولا اختصار ممل . بل هى كلمات مشوقه مفيده . يعجب لها ويحبها كل من سمعها حتى الأعداء أنفسهم .

فكيف إذن يستمد المسلمون أسسهم وقواعدهم ونظرياتهم الاعلاميه من أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق بعقريته الإعلاميه كل البشر فى ذلك . وبز كل من تصدى لهذا المجال .

وسنتحدث فى الفصل القادم والاخير إن شاء الله عن أشكال الاتصال الاعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أرسى قواعد واصول هذه الأشكال . وكيف وظف الوسائل المتاحة فى عهد لخدمه الاعلام الاسلامى فى فنيّه راقيه جذابه . محبيه الى كل من يسمعها . غير محلة بمعنى الرسالة الاعلاميه الاسلاميه ذاتها . كما انها غير غامضه تحتاج الى ايضاح . وهو ما يحاوله أساتذته الاعلام فى العصر الحاضر أن يصلوا إليه فى صياغه أشكال التحرير الإعلاميه .

كما سنرى كيف وظف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الوسائل البسيطه التى كانت متاحة فى هذا المجتمع الصحراوى البسيط . لخدمه أشكال الاتصال التى استخدمها . وكيف استخدم واستفاد من كل ذلك فى نشر الاسلام والاعلام عنه فى كل مكان وإلى كل مكان وعبر كل زمان . وسيوضح لنا ذلك إن شاء الله من خلال حديثنا عن أشكال ووسائل الاتصال الإعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم فى مكه .

أشكال الاتصال الإعلامي

- بين وسائل الاعلام وأشكال الاتصال الإعلامي في العهد المكي
- أولاً : الإتصال الذاتي .
- ثانياً : الإتصال الشخصي والجمعي .
- أ — الاتصال الشخصي .
- ب — الاتصال الجمعي .

بين وسائل الإعلام . وأشكال الإتصال الإعلامى فى العهد المكى .

حينما نتحدث عن وسائل الإعلام يتبادر إلى الأذهان ما نرى وما نسمع من الأجهزة التى تنقل إلينا الرسائل الاعلامية . على تنوع أشكالها . واختلاف أنواعها . وتنوع قوالبها الفنية التى تمت صياغته المادة الاعلامية وثبها عن طريقها وهذه الوسائل الموجودة فى العصر الحديث . لم توجد بمثل هذه الكثرة وهذا التنوع إلا نتيجة للمخترعات العلمية الحديثه والمتطوره . . التى كانت نتيجة لجهود الكثيرين من العلماء . بعد اختراع الطباعة . واكتشاف الموجات الصوتية على اختلافها واكتشاف طرق امكانيه نقل الصورة . وهكذا .

وإذا كان هذا هو المفهوم السائد لدى الكثيرين فى هذا العصر . إلا أن لفظ وسيلة الإعلام يحتاج الى تحديد ودقه أكثر . حتى يمكننا أن نفهم أهمية الوسيلة . والدور الذى تلعبه فى نقل الرسالة الاعلامية . ذلك أن الوسيلة فى حد ذاتها مع كونها محايدة إلا أن تلقى الرسالة الاعلامية يختلف فهمه لدى المستقبل من وسيلة إلى أخرى .

وفى هذا يقول إدوارد واكين « أن هناك فرقا بين أن يقرأ الموضوع الواحد فى جريده أو مجله أو كتاب . أو أن تشاهده فى السينما أو على شاشة التليفزيون . أو أن تسمعه من الراديو . فوسائل الإتصال ليست وسائل سلبية فى نقل الرسائل . كما أنها ليست صناديق فارغة محشوة بالمواد التى منها تتألف . ففحوى الوسيلة تتغير بتغير الناقل . ولكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها المختلف فى معالجة الرسالة . ومعنى اختلاف المعالجة أن الرسالة الفعلية التى يتلقاها الجمهور تختلف وتفاوت .

وهذا يفسر قول مارشال ماكلوهان أن « الوسيلة هى الرسالة » ذلك أن كل وسيلة من وسائل الاتصال لها تأثير معين على ما ينقل بواسطتها . أما القول بأن رسالة ما تؤثر بذاتها وبتمامها من الوسائل المختلفة . فهو غير صحيح . لأن الرسالة تختلف باختلاف الوسيلة . وبكل وسيلة من وسائل الاتصال أسلوبها الخاص فى

تنظيم فحواها وفي نقله وتوصيله . وكل وسيلة هي « لغة » من اللغات تستخدم رموزاً مميزة في توصيل رسائلها الى الجمهور» (١) .

وعلى هذا فلا يمكننا أن نحدد أهمية وسيلة الإعلام إلا إذا تعرفنا على أهميتها ودورها في خدمه المجتمع الذي تعمل فيه . فإذا كانت وسيلة الإعلام جماهيرية فإنها تنقل الرسائل الإعلامية بصورة تختلف عن غيرها من وسائل الإعلام المحدودة التي تنقل الرسائل الاعلاميه الى عدد محدود من البشر أو في رقعه مكانيه محدده .

وبذلك نجد أن وسائل الإعلام قد تنوعت مهمتها على اختلاف العصور ففي الوقت الذي كانت توجد وسائل إعلام محدوده كانت مهمتها في نقل الرسائل الاعلامية تختلف عن طريقه صياغه ونقل الرسائل الاعلامية في عصور التقدم التي وصل إليها العلم الحديث .

« وفي ذلك يرى ماكلوهان أن التاريخ الأنساني قد مر بأربع مراحل هي :

١ — المرحلة الشفوية كلية ، مرحلة ما قبل التعلم . أى المرحلة القبلية :

Totalgoral, Preliterate 'I'ribalism.

٢ — مرحلة كتابة النسخ : Cadification by script التي ظهرت بعد هومر في اليونان القديمة واستمرت الى عام .

٣ — عصر الطباعة من سنة ١٥٠٠ إلى سنة ١٩٠٠ تقريباً .

٤ — عصر وسائل الاعلام الإلكترونية : من سنة ١٩٠٠ تقريباً الى الوقت الحالى . وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر ما تساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل .

وهذا الأسلوب في دراسة التطور الإنساني . ليس أسلوباً جديداً . أو مبتكراً تماماً . فيشير ماكلوهان إلى أنه مدين لمؤلفات عديدة برأيه هذا .

وباختصار يدعى ماكلوهان أن التغير الأساسى في التطور الحضارى منذ أن تعلم الإنسان أن يتوصل . كان من الاتصال « الشفهى » إلى الاتصال

(١) ادوارد واكين ، مقدمه الى وسائل الاتصال ، ترجمه وصيغ فلسطين (القاهرة : مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٨١) ص ٣٥ ، ٣٦ .

«السطرى» - المطبوع - ثم الى الاتصال «الشفهى» - الالكترونى - مرة أخرى . ولكن بينما استغرقت التغيير من الشفهى الى السطرى قرونا . تم الرجوع مرة أخرى إلى الشفهى فى حياة الفرد الواحد» (٢) .

إذا كان ماكلوهان وهو من أساتذة الإعلام فى العصر الحديث يرى أن الوسيلة هى الرسالة . فقد رأى اللغويون والشعراء العرب . أن الرسول هو الرسالة . واستخدموا هذا المعنى فى أكثر من موضع .

فيرى صاحب تهذيب الصحاح أن الرسول هو الرسالة ويستشهد فى ذلك بقول الشاعر:

ألا أبلىغ أبا عمرو رسولا بأنى عن فتاحتكم غنى (٣)

ويقول ابن منظور صاحب لسان العرب : الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر . فن أنث جمه أرشلاً .

وتراسل القوم : أرسل بعضهم الى بعض . والرسول الرسالة والمرسل قال أبو ذؤيب .

أليكنى إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر (٤)

وقد قدم الأستاذ الدكتور محمد السيد بحثاً قيمياً فى هذا المجال فى كتابه المسئولية الإعلامية فى الاسلام حيث ذكر أنه «عندما يطنى الاهتمام بركن من أركان العملية الإعلامية ينسب إليه ركن آخر يبل يذوب فيه . ويتركز الإهتمام على الركن الأهم وفق ظروف العصر . لقد رأى مارشال ماكلوهان أن الوسيلة تحمل الرسالة . وأطلق صيحته الوسيلة هى الرسالة . وكان ذلك تعبيراً عن أهمية الرسالة

(٢) جيهان رشدى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤ .

(٣) محمود بن أحمد الزنجابى ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤ .

(٤) ابن منظور ، مرجع سابق ، ص ١٦٤٤ .

عنده . ونقيض هذا التركيز كان العرب الأقدمون يركزون على المضمون فاطلقوا اسم الرسول على الرسالة . وهم يروون في ذلك القول بيت أسامة بن لؤى :
بَلِّغُوا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا أَن نَفْسِي إِلَيْهَا مُشْتَاكَةٌ
(رسولاً) : فعولاً . بمعنى رسالته . حيث جعل الشاعر الرسول هو الرسالة و يضيفون قول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحْتُ عندهم بليلى ، ولا أرسلتهم برسول
أى برسالة . وإنما سمو الرسالة رسولاً إذا كانت كتاباً . أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر ونحوه .

ويمكننا القول بأن الوسيلة ليست الآلة أو الجهاز . ولكنها الهيكل ، والمُنتج . (بضم الميم وتسكين النون وفتح التاء) أى الهيكل وحالة الإنتاج . بمعنى أن محطة الإرسال بدون عمل وبدون أجهزة راديو (استقبال) أو أجهزة تليفزيون ليست وسيلة إعلام . والمطبعة بدون ورق ومادة صحفية وبدون جريدة أو مجلة ليست وسيلة إعلام . ولكنها عندما تدور دورتها الإعلامية هنا يتحقق معنى الوسيلة .

ونجد أن كلمته منبر مثلاً تدلنا في العرف الإسلامى على البناء الخشبي ذى الدرجات المعدودات في المسجد . وهذا المنبر يقف عليه الخطيب في يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة في وقت الظهر وفي وقت العيدين أيضاً .

هذا المنبر في العرف الإسلامى وسيلة اتصال . أى وسيلة إعلام إذا كان الناس في المسجد . وإذا حضر الخطيب وإذا ألقى خطبته من فوقه وفي غير ذلك مثله مثل سجادة الصلاة . جزء من أثاث المسجد .

وكلمة منبر تدلنا في العرف الشقافى على معنى التعبير عن الرأى . فالصحابه منبر من منابر التعبير عن الرأى . واجتماعات المجالس الشعبية الوطنية وما شابه ذلك . ولكن تصبح الوسيلة وسيلة إعلام وليست جهازاً أو آلة لابد أن تكون في العمل . أى في التنفيذ . أى في حالة الدوران . أى في التشغيل .

وهنا يُطرح سؤال : هل الخطبة هي وسيلة الإعلام ؟ أم المنبر هو وسيلة الإعلام ؟

الجواب : وما هو التناقض في ذلك ؟

الخطبة وسيلة إعلام إذا أُلقيت من فوق المنبر في المسجد . أو إذا أُلقيت في نفسها بألفاظها في مظاهره أو في البرلمان أو في مجلس الأمن .

والمنبر في المسجد ومنصة الخطب في القاعات الوطنية والدولية وسائل إعلام عندما تعمل . وشبيه بهذا القول . السؤال : هل الفيلم وسيلة إعلام ؟ أم دار عرض السينما هي وسيلة الإعلام ؟ ما الفرق ؟ الفيلم في التلفزيون وفي نوادي المشاهدة وفي قوافل العرض في الريف والبادي وسيلة إعلام . ودار السينما في أثناء العرض وسيلة إعلام» (٥) .

وهذا العرض المنطقي العلمي المقنع للأستاذ الدكتور محمد السيد يكشف الضموض عن ما يشوب فهم البعض لمعنى وسائل الإعلام . فوسيلة الإعلام بناءً على ذلك هي كيفية نقل المعلومة أو الرسالة الإعلامية . سواء تم ذلك بطريقة شفوية مباشرة أو تقليدية أو بدائية . أو تم ذلك بطريقة مكتوبة أو مطبوعة أو مصورة ، أو تم ذلك عن طريق الوسائل الشفهية الحديثة من راديو وتلفزيون وسينما وخلافه غير أن لكل وسيلة من هذه الوسائل أثرها في عملية نقل الرسالة ذاتها .

و يرجع ذلك التأثير المتعكس من الوسيلة على الرسالة الى أن كل وسيلة يعمل فيها فرد أو أفراد لهم طريقة تفكيرهم . يصبون رسائلهم الإعلامية في كود معين . كما أن تلقى هذه الوسيلة يتم في ظروف معينة . فالظروف التي تستقبل فيها الرسالة عبر الاتصال الشفهي التقليدي المواجهي تختلف من حيث مدى الاهتمام أو التركيز والحرص على ذلك من طرفي الاتصال . عنها في حالة تقبل رسالة مماثلة عبر أجهزة الراديو أو التلفزيون أو الصحف . حيث قد ينشغل المستقبل بشيء آخر مثلاً . كما أن عملية نقل الرسالة عبر الوسيلة ذاتها يتأثر بالوسيلة من حيث إمكانيه صياغة الرسالة . والتعبير عنها . وإمكانيه التشويش عليها . ونحو ذلك . مما يجعل

(٥) محمد السيد محمد : المسؤولية الإعلامية في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٧ - ٦٩ .

للموسيلة تأثيرها على الرسالة . ومن هنا يمكن الاتفاق مع قول ماكلوهان بأن الوسيلة هي الرسالة . كما أنه يمكن الاتفاق مع القائلين بأن الرسول هو الرسالة أيضا من حيث عملية تأثير أحد اطراف عملية الاتصال على الأخرى وبالتالي تذوب فيها أو تطبعها بطابعها .

وبناء على ذلك كله فن الصعوبة المكان أن نذكر أن العهد المكي من حياة الدعوة الاسلاميه . والذي مارس فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الإعلام بالرسالة بعقريه فذه . من الصعوبة أن نحدد وسائل معينه يمكن أن نسميها بوسائل الاعلام الخاصه بهذا العهد . حيث أنه لم تستخدم في هذا العصر أو هذا العهد سوى الوسيلة الشفهيه . فالوسائل المكتوبه أو المطبوعه لم تستخدم في هذا العهد للإعلام عن الاسلام في مكة . كما أن الوسائل الحديثه لم تكن قد ظهرت بعد .

ومع كونه لم تستخدم سوى الوسائل الشفهيه البدائيه إلا أنه تم الإعلام عن الاسلام بخطط إعلاميه عبقرية وفذه كما رأينا أدت إلى انتشار الاسلام وذيوعه وأدت إلى الإعلام به في كل مكان . وعلى امتداد الزمان إلى يوم القيامة .

وتأسيسا على ذلك فإذا كان بعض أساتذة الإعلام الذين كتبوا في مجال الاعلام الاسلامي قد ذكروا أن الخطبه أو اللقاءات والندوات أو المسجد أو القرآن الكريم أو القصصيده الشعرية . أو القدوة الحسنه أو غيرها هي وسائل الاعلام في هذا العصر ، إلا أننا لا نوافق معهم في ذلك . حيث كل هذه لم تستخدم هذه الطرق الاتصاليه سوى وسيلة الاتصال الشفهيه .

وانما الذي يمكن أن نتحدث عنه في هذا العهد هو أشكال الاتصال الاعلامي التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم للإعلام عن الاسلام . وكيفيه توظيف هذه الوسيله البدائيه والاساسيه المتاحة في عصره — وهي الوسيله الشفهيه في صورة هذه الأشكال الاتصاليه المختلفه والمتنوعه . لخدمه دعوته . وللإعلام بها . وفي مكة وخارج مكة في العهد المكي . بنفسه وعن طريق تكليف أصحابه رضى الله عنهم بمهمات إعلاميه . في مكة وخارج مكة في العهد المكي أيضا .

بذلك فلن نتحدث عن وسائل الإعلام النبوي في العهد المكي . لأنه كما ذكرنا لم تكن هناك سوى وسيلة الاتصال الشفهيه ، انما سوف نتحدث عن

أشكال الاتصال الاعلامى التى استخدمها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى العهد المكى من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة . وسنضرب الأمثلة على كيفية استخدامه لكل شكل من هذه الأشكال الاتصالية الاعلاميه .

والا اتصال فى حد ذاته له معنى متسع أكثر من مفهوم الاعلام أو الاتصال الإعلامى . ولن نتطرق الى الخوض فى سرد هذه المفاهيم . حيث أن هذا يختص به أنواعا أخرى من البحوث الإعلاميه . وانما سنكتفى بالأخذ بآراء أساتذه الاعلام الذين يقسمون الاتصال الاعلامى . إلى أربعة أنواع هى :

أ- الاتصال الذاتى .

ب-الاتصال الشخصى .

ج- الاتصال الجمعى .

د- الاتصال الجماهيرى .

فأما الاتصال الذاتى فسوف نتحدث عنه بصفته أساسا لكل من الاتصال الشخصى والجمعى- ولننرى مدى حث الإسلام عليه ، فهو ليس شكلا من الأشكال التى تم عن طريقها نشر الاسلام بصورة مباشرة أو ملموسة . مثل الاتصال الشخصى والجمعى . وانما سنتحدث عنه لأهميته فى تكوين الفكر لدى القائم بالاتصال . ولد التلقى للرسالة الاعلاميه ، فهو مهم فى صياغة الرسالة وفى تلقى الرسالة . أى لدى المرسل والمستقبل على حد سواء . كما أنه هو الأساس لكل عمليات الاتصال الأخرى . حيث تبنى عليه . ومن جهة أخرى فإن الاسلام قد حث على إعمال الفكر ودعا إلى التفكير . بل ومن أسس إعداد النبى صلى الله عليه وسلم للقيام بأعباء الإعلام الإسلامى تعليميه كيفية التفكير عن طريق تحييب الخلاء إليه والتحنث والتعبد على انفراد فى غار حراء .

أما الاتصال الشخصى والاتصال الجمعى . فسوف نتحدث عنها لأنه قد تم نشر الرسالة وتم الجهد الاعلاسى عن الاسلام عن طريق هذين الشكلين من أشكال الاتصال الإعلامى . وسنضرب الأمثلة الداله على استخدام كل منهما . وسوف نجد أن العهد المكى من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة لم

يستخدم الاتصال الجماهيري . وإن كان قد أرسى دعائم الإعلام الدولي . لذا فلن نتحدث عن الاتصال الجماهيري . لعدم استخدامه في هذه الفترة .

وقد أخذنا بهذا التقسيم لأشكال الاتصال الإعلامي لاتساعه بالتسلسل المنطقي المقنع . ذلك أن الاتصال الذاتي هو أساس يبنى عليه الاتصال الشخصي . كما أن الاتصال الجمعي لا يستغنى عن الاتصال الشخصي . وكذلك لا يستغنى الاتصال الجماهيري عن هذه الأشكال الثلاثة السابقة . كما أن الاتصال الشخصي والجمعي تستخدم وسيلة الاتصال الشفهي وهي التي كانت متاحة في العهد المكي من حياة الدعوة الإسلامية .

أولاً : الاتصال الذاتى :

ليس الحديث هنا عن الاتصال الذاتى باعتباره شكلاً من أشكال ممارسة الإعلام في العهد المكي من حياة الدعوة الإسلامية . ولكن باعتباره الأساس الذى تركز عليه العمليات الاتصالية الإعلامية الأخرى . كالاتصال الشخصى والجمعى والجهاميرى .

« فالأصل الذاتى هو ما يحدث داخل الفرد ، حينما يتحدث الفرد مع نفسه ، وهو اتصال يحدث داخل عقل الفرد ، ويتضمن أفكاره وتجاربه ومذكراته . فى هذه الحالة : المرسل والمتلقى شخص واحد . فالفرد قد يناقش مع نفسه ما إذا كان سيقترأ أولاً يقرأ كتاباً من الكتب ، أو يشاهد برنامجاً فى التلفزيون ، أو يسمع حديثاً فى الراديو . ومن المهم أن نعرف أن الاتصال الذاتى يتضمن الأنماط التى يطورها الفرد فى عملية الإدراك . أى الأسلوب الذى يلاحظ الفرد بمقتضاه و يقيم أو يعطى معنى للأفكار والأحداث والتجارب المحيطة به .

وأغلبنا بنا لطبع يهتم بما يحدث داخله . وما يحدث داخل الآخرين . فنحن نهتم بمعرفة ما يحدث فى العالم من حولنا وكيف نضفى المعانى على الأشياء التى نلاحظها . كما نهتم بمعرفة الأسلوب الذى نفكر بمقتضاه . وكيف نشعر ونلاحظ ونفسر . وأخيراً كيف نستجيب الى الظروف المحيطة بنا » (١) .

وهذا النوع من الاتصال — الاتصال الذاتى — لم يغفله الاسلام . وإما هو الأساس الذى تركز عليه أيضاً عملية الإيمان بهذه الرسالة — وقد كان من أسس إعداد النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وفى بداية البعثة . هو عملية تعليمه كيفية التفكير السليم . وإعداده برجاجة العقل التى تحدثنا عنها من قبل . ذلك أن الاسلام دعوة تقوم على أعمال الفكر والتأمل . والاقناع العقلى .

(١) جيهان رشدى ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

و يعتبر الإتصال الذاتى من أقدم أنواع الاتصال . وإن لم يكن معروفا بهذا الاسم من قبل . إلا أن الإنسان قد عرف طريقه وكيفية التفكير قبل أن يتعلم كيفية الاتصال بغيره من البشر . لأن الله عز وجل قد خلق الإنسان مزودا بالعقل . مهيبا لعملية التفكير . فهو بفطرته كائن مفكر . وما يحاوله البشر من عمليات البحث في هذا المجال ما هو إلا محاولة تفهم للكيفية التى يتم بها التفكير وإعمال العقل . كما أن الحث على التفكير ليس محاولة إيجاد شيء غير موجود أصلا وهو التفكير . وإنما هو لتنشيط هذا التفكير حتى يسبق العمليات الاتصالية المختلفة التى يجب أن تتم بناء عليه . فطريقه الرد على تحية إنسان آخر . أو طريقه إلقاء التحية في حد ذاته . يتوقف في صياغته من حيث الكلمات — كثرتها وقلتها — ومن حيث إلقائها — في بشاشه أو بطريقه مقتضيه — إنما تتم أساسا بناء على ما يجرى الإنسان من تفكير و بناء على ما يشعر به تجاه الشخص الذى يرد تحيته . أو الذى يحثيه .

وقد أعد الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعقل راجح ، وتفكير متزن . شهد له المجتمع المكى كله . وقد رأينا صورا من ذلك في حضوره المواطن الهامه التى كان يحضرها أشراف القوم مثل حلف الفضول . ورأينا أيضا فرحة أشراف مكة به لما كان أول قادم عليهم حينما كانوا في معرض الاحكام إلى أول داخل عليهم ليحكم بينهم فيمن يحمل الحجر الأسود فيضعه مكانه وهم يعيدون بناء الكعبة فلما كان الداخل عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فرحوا وقالوا : هذا الأمين ارتضينا . مما يدل على رجاحة عقله أيضا في هذا المجال . ما حكم به في هذا الموقف . حيث بسط رداءه ووضع الحجر عليه وأمر رؤساء القبائل أن يحملوه من أطراف الرداء . ثم رفعه بيده الشريفه ، ووضع مكانه . وبذلك حسم النزاع بحكمه ..

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء . وهو جو صاف كان ينقطع فيه للعباده والتفكر في هذا الكون . وكيفية خلقه وترتيبه وتنظيمه . ومن يذهب الآن إلى غار حراء . في ذلك الجبل المترامى الأطراف . والبعيد قليلا عن مكة . المرتفع ارتفاعا شاهقا . والمطل على المسجد الحرام . حيث الجالس فيه يستطيع أن يرى الكعبة بعينه المجردة . ذلك المكان الذى يعاني

الإنسان مشقه في الوصول إليه . سواء في الذهاب الى مكان الجبل ذاته أو في الصعود الى قمته . ثم النزول قليلا من منحدر في الجانب الجنوبي لقمة الجبل لير وسط الأحجار في ممر ضيق يصل طوله إلى بضعة أمتار . ثم يصل إلى ذلك الغار الضيق المتسع . حيث يلمس فيه راحة نفسه لحدود لها . والذي لا يتسع لأكثر من شخص واحد ليجلس أو ينام فيه . يمارس حياته اليومية في أضيق الحدود الممكنة . وهو مع كل ذلك جوصاف . لكثرة ارتفاعه . ولبعد عن المجتمع المليء بالعادات الدنيوية قليلا . ولكونه يظل على المسجد الحرام في ذات الوقت . وسط هذا الجو تعلم النبي صلى الله عليه وسلم التفكير الصافي . المتمهل المتأنى المنظم . حيث أرشده الله عز وجل إلى هذا المكان . وكان النبي صلى الله عليه وسلم خريصا على مداومة التعبد في هذا الغار . رغم وعورة الطريق المؤدى إليه . ورغم مشقه الصعود إليه . وقد نزل الوحي عليه في هذا الغار .

وكان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات تثير التفكير . وتدعو إلى التأمل . حيث نزلت عليه أولا آيات «اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .» .

وكان في هذه الآيات دعوه واضحة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأن يفكر في خالق هذا الكون . وأن يعلم من هو . إنه الذي خلق الإنسان من علق . إنه الذي علم الإنسان ما لم يعلم . فهذا الكون إذن له خالق . ومنظم وقد أوحى إليه وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يفكر في أمر هذا الملك . الذي أتاه في صورة مثيرة للفكر . فهو وإن كان قد ذعر منه إلا أنه ذهب إلى زوجته وقص عليها ما حدث . وذهبت بدورها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الباحث في الأديان . فأعلمهم أنه الوحي وأن محمدا هو نبي آخر الزمان .

وهكذا كانت بداية الوحي في طريقته داعية إلى التفكير . وكانت الرسالة أو الآيات التي حملها الملك . فيها دعوة للفكر . وفيها إعلام بالعلم بأن الله عز وجل هو الخالق والمنظم لهذا الكون . وهو المعلم للإنسان ما لم يعلم . وهو الملهم له بالفكر الصائب .

ثم توالى أحداث الوحي وكلها دعوته الى التفكير، حتى نزلت سورة المزمل وسورة المدثر. وفيها إعداد روحى للنبي صلى الله عليه وسلم. وتعليم للتفكير والعبادة. وقيام الليل. وفيها تعليم لطهارة القلب وطهارة الثوب. وطهارة البدن. وفيها مع ذلك تخفيف عنه صلى الله عليه وسلم من مشقة قيام الليل التى فعلوها على أنفسهم لما أمر الله عز وجل بقيام الليل. ثم فيهما اخبار بما كان من فعل قوم فرعون وغيرهم من المكذبين والعصاة والمعاندين. وهكذا كان القرآن تعليماً للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته كيفية التفكير وإعمال العقل للوصول الى الإيمان الصحيح المقنع.

لذا نجد آيات القرآن تدعو الناس الى يوم القيامة الى التفكير في الملكوت وفي خلق السموات والأرض. حتى يكون الإيمان عن اقتناع وتفكير منطقي سليم وقد ضرب الله المثل بأبى الأنبياء إبراهيم. وكيف أنه وصل الى الإيمان بالله عز وجل عن طريق التفكير المنطقي السليم. وأنزل الله آيات القرآن تتلى الى يوم القيامة وتبين طريقته في التفكير. قال تعالى «واذا قال إبراهيم لأبيه أزرأنتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك في ضلال مبين. وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الأقلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي، فلما أفل قال لن لم يهدينى ربي لأكون من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت. قال يا قوم إنى برىء مما تشركون. إنى جهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» (٧).

هكذا رأى سيدنا إبراهيم بفطرته السليمة وقلبه النقي أن الأصنام لا تضر ولا تنفع. وأن عبادتها ضلال مبين. ثم سأل نفسه: فإذا يعبد إذن؟ بدأ يفكر.. وبين الله عز وجل أنه قد أرشده الى التفكير السليم فأراه ولفت نظره الى ملكوت السموات والأرض. وليكون اقتناعه يقينياً منطقياً. لذا بدأ يفكر في هذا الملكوت.. هل خلقه الكوكب.. لقد غاب الكوكب.. وهل يغيب الخالق عن

(٧) سورة الأنعام (٧٤ - ٧٩).

خالقه؟ .. هل خالقه القمر.. لقد غاب القمر.. وهل يغيب الخالق عن خلقه؟ .. هل خالقه الشمس.. لقد غابت الشمس.. إذن للكون خالق آخر.. اقتنع إبراهيم بوجوده.. وتوصل إليه بفكره السليم ونظرته الثاقبه.. وأصبح من ذلك في يقين.

ولما كان الاقتناع نتيجة تفكير.. واقتناع.. دافع إبراهيم عن ما اقتنع به.. وسجل القرآن ذلك.. قال تعالى «وحاجته قومه . اتحاجوني في الله وقد هذان . ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً افلا تذكرون» ويزيد إبراهيم في تأكيد ذلك ويسجل القرآن ذلك فيقول الله عز وجل «وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً . فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (٨) ثم يبين الله عز وجل أنه قد ألهمه هذا الفكر الصائب . وهدهد بهديته الى الحق فيقول عز وجل «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم» (٩).

وقد أمر القرآن الكريم أهل مكة بالتفكير في أمر الرسالة وصاحبها . فبعد أن بين جزاء المكذبين في سورة الأعراف وهى من السور المكية . يدعوهم الى اعمال الفكر مرة أخرى . قال تعالى : «والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدى متين . أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين . أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون» (١٠)

. ويبين الله سبحانه وتعالى لأهل مكة في سورة سبأ وهى مكية أيضاً يبين لهم ما حدث من تكذيب السابقين لرسولهم وما حدث لهم . ثم يذره من ذلك بدعوتهم الى التفكير . فرادى وجماعات . قال تعالى : «وكذب الذين من قبلهم

(٨) سورة الأنعام (٨١-٨٢) .

(٩) سورة الأنعام (٨٣) .

(١٠) سورة الأعراف (١٨٢-١٨٥) .

وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير. قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» (١١).

وهنا نجد أن القرآن عقب الإنذار والتخويف من عقاب التكذيب . يقدم الموعظه بالتفكير في أمر محمد صلى الله عليه وسلم . أنه ليس مصابا بما ادعوه عليه من الجنون ونحوه ، والتفكير في أمر رسالته أيضا فما هو إلا نذير بين يدي عذاب شديد .

و يبين الله سبحانه وتعالى أيضا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته كلها أنه يجب التفكير في أمر هذه الرسالة . والتفكير والمساءلة عن الرسائل السابقة أيضا لمعرفة حقيقة هذه الرسالة وما تدعو إليه . قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (١٢) .

وهكذا تعددت الآيات الداعية الى التفكير في القرآن الكريم سواء في السور التي نزلت في مكة أو في السور التي نزلت في المدينة . قال تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (١٣) وقال تعالى : « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (١٤) وقال تعالى : « قل هل يستوى الأعمى والبصير . أفلا تتفكرون » (١٥) . وقال تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١٦) . وقال تعالى : « و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (١٧) ومدح الله عز وجل من عباده المؤمنين لكونهم يتفكرون فقال : « الذين يذكرون الله قياما

(١١) سورة سبأ (٤٥ ، ٤٦) .

(١٢) سورة النحل (٤٣ ، ٤٤) .

(١٣) سورة الأعراف (١٧٦) .

(١٤) سورة يونس (٢٤) .

(١٥) سورة الأنعام (٥٠) .

(١٦) سورة الجاثية (١٣) .

(١٧) سورة الحشر (٢١) .

وقعمودا وعلى جنوهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار» (١٨) .

وهكذا يعلمنا القرآن كيفية التفكير و بين أهميته . و يدعو إليه في مختلف السور والآيات . وفي مختلف مراحل الدعوة . حيث يدعو المكذبين والمعاندين الى التفكير . كما يدعو المؤمنين أيضا الى التفكير حتى يزداد إيمانهم . وفي هذا دلالة على أهمية التفكير . وأهمية الاتصال الذاتي . وتأثيره في اقتناع الانسان . حتى يصوغ رسالته التي يوجهها إلى الآخرين في مختلف أشكال الاتصال الأخرى بناء على ما اقتنع به من تفكير .

وقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم هذا النوع من أنواع الاتصال في حوارهِ مع المشركين ومع أعداء دعوته . والمكذبين لها . فتراه يحاورهم بالمنطق والاقناع . فمنهم من يقتنع في ذات الوقت كما حدث مع الحصين بن عمران . ومنهم من يفكر ثم يدخل الاسلام قلبه كما حدث مع عمر بن الخطاب . ومنهم من يفكر و يوقن تماما أن ما يقوله محمد هو الحق ولكنه يمنع العناد واللجاج كما حدث لأبي جهل بن هشام وغيره من كفار مكة .

ومن هذا يتضح لنا أن الاسلام لم يفعل الاتصال الذاتي . وان الإعلام الاسلامي اعتمد على إثارة تفكير الفرد . حيث هو الوحدة الأساسية والأولى للمجتمع وحيث هذا التفكير يؤدي الى الاقتناع . مما يؤدي الى ممارسة أشكال الاتصال الأخرى بدقه وحساس واقتناع مما يجعلها قوة مؤثرة . وهذا بدوره يجعل الإعلام الاسلامي قائما على أسس متينة وقواعد صلبة . ويجعله بناء متماسكا قويا شامحا على مر العصور وفي كل مكان على وجه الأرض الى يوم القيامة .

(١٨) سورة آل عمران (١٩١) .

ثانيا : الاتصال الشخصي والجمعي .

المقصود بتعبير الاتصال الشخصي هنا هو عملية الاتصال التي تحدث بين فردين أو بين مجموعة محدودة من الأصدقاء أو الأشخاص مثلا . متواجدين في مكان واحد و يتحدثون أو يتبادلون وجهات النظر في موضوع معين . أو يجمعهم حوار أو نقاش معين . ولذلك اطلق عليه الاتصال الشخصي لكونه يتم بصورة مباشرة بين شخصين أو أكثر قليلا .

وفي هذا تقول الأستاذة الدكتور جيهان رشتي : « الاتصال بين فردين أو الاتصال الشخصي هو العملية التي تحدث يوميا . حينما نعطي ونتلقى أوامر . أو ندخل في مناقشه أو نتبادل التحيات . ولا تختلف عملية الاتصال الذاتي عن عملية الاتصال الشخصي كثيرا . بل قد لا يمكن فصلها تماما . فالإتصال ليس مجموعة من الوظائف المنفصلة التي لها حدود محدودة . ولكنه ينطوي على شبكات متداخلة ومتفاعله وليس لها بداية أو نهاية .

والإتصال الشخصي يحدث حينما يكون هناك تفاعل بين نظامين ذاتين أو أكثر . فأنت حينما تتحدث إلى صديق تعتبر نظام ذاتي . و يعتبر صديقك أيضا نظام ذاتي . ولكن النظامين يتفاعلان ليكونا نظام للاتصال الشخصي . وكل نظام ذاتي يتأثر عندما يتفاعل مع النظام الآخر» (١٩) .

و يقسم بعض أساتذة الإعلام الإتصال الشخصي إلى اتصال شخص مواجهة أو مباشر . واتصال شخصي غير مباشر . كالاتصال الشخصي بالتليفون ونحو ذلك و يعتبر الاتصال الشخصي هو أكثر أنواع الاتصال تأثيرا . حيث يقوم المرسل بالتأثير المباشر عن طريق التعبير أو حركات الوجه أو الابتسامه أو نحوه على المستقبل ، والذي قد يتأثر أيضا نتيجة الكثير من العوامل . منها على سبيل المثال عملية الاستحياء من المرسل أو القائم بالاتصال .

(١٩) جيهان رشتي ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

كما أن المرسل في عملية الاتصال الشخصي يمكنه أن يتعرف على رد فعل المستقبل في ذات الوقت . مما ينتج عنه تعديل الرسالة التالية — والتي قد تكون جملة أو كلمه أو طريقته تعبير— وبالتالي يدفع هذا عملية الاتصال الى دوام الاستمرار . وقد يؤدي الى توقفها أيضا إذا حدث العكس . .

ومن أجل هذه الأسباب يعتبر الاتصال الشخصي من أقوى وسائل الاتصال الاعلامي . وأكثرها تأثيرا . كما أنه الأساس للأشكال الاتصالية التالية فكما أن الاتصال الشخصي قائم على الاتصال الذاتي كما ذكرنا . فإن الاتصال الجمعي والاتصال الجماهيري يعتمدان أيضا بصورة مباشرة على الاتصال الشخصي .

أما الاتصال الجمعي فهو عملية الاتصال بين فرد ومجموعة من الأفراد كالخطبة أو إلقاء البيان أو نحو ذلك . و يعتبر هذا الشكل هو الشكل الاتصالي الاعلامي التالي مباشرة للاتصال الشخصي . والذي يقع بينه وبين الاتصال الجمعي . وتقل فيه عملية التعرف على رد الفعل عن الاتصال الشخصي . كما أنها أكثر ظهورا من الاتصال الجماهيري . وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشكل الاتصال الاعلامي في ممارسته للاعلام عن الاسلام على جبل الصفا وفي الأسواق ومواسم الحج وسنضرب أمثله لذلك بعد أن نضرب أمثله لممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصي .

اعتمد الاعلام عن الدعوة الاسلاميه في عهدها المبكى على الاتصال الشخصي بصورة مباشرة وأساسيه . حيث نجد أنه بعد أن أمر الله عز وجل بالتفكير والاقتناع أمر نبيه بممارسة الاعلام عن الدعوة . وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم جهده الاعلامي في مكة سرًا لمدة ثلاثه سنوات . ثم جهرا لمدة عشرة أعوام بعدها . داخل وبخارج مكة . بنفسه وعن طريق أصحابه . واستخدم في هذا الجهد الاعلامي الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي .

وقد كان استخدام النبي صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصي مثلا يحتذى حيث مارس هذا الشكل الاتصالي الاعلامي بعبقرية فذّه ، يجب أن يستفيد منها رجال الاعلام في كل زمان وكل مكان . حتى يكون جهدهم الاعلامي مؤثرا ونافعا ومفيدا . ومؤديا الى الاستجابة المطلوبه .

فليس حديثنا عن الاتصال الشخصي أو الجمعي إذن هنا على اعتبار أنها أشكال اتصالية اعلامية قد اخترعت أو اكتشفت في ذلك العهد أو ذلك العصر. وإنما هذه الأشكال الاتصالية موجودة في طبيعة البشر بصورة فطرية خلقهم الله عز وجل مزودين بها. فقد خلقهم وزودهم بالعقل ليفكر. وباللسان لينطق. وبذلك فالأشكال الاتصالية والشخصية والجمعية ليس من الأشكال الاتصالية التي اخترعها البشر في أي عصر من العصور وإنما هي فطرية. والمخترعات أو الاكتشافات إنما هي قاصرة على وسائل الاتصال الجماهيرية. من مطابع ووسائل الكترونية وغيرها.

ويعتبر ممارسة الاعلام عن طريق هذه الوسائل إنما يتم بالصورة الفطرية الأولى في معظم اشكاله. لذلك ذكر ماكلوهان أن الاتصال قد بدأ شفهيًا ثم تطور إلى الاتصال المطبوع ثم إلى الشفهي مرة أخرى لكن عن طريق الوسائل الإلكترونية والتي تنقل الاتصال الشفهي من الصورة الشخصية إلى الصورة الجماهيرية.

أما حديثنا عن استخدام أشكال الاتصال الشخصي والجمعي كأشكال اتصالية اعلامية في العهد المكي من حياة الدعوة. فالمقصود منه الاستفادة من كيفية استخدام هذه الأشكال البسيطة لخدمة أهداف عظيمة. وللإعلام بأكبر وأعظم رسالة عرفتها البشرية. إلى كل زمان وكل مكان إلى يوم القيامة. وحتى تكون هذه الممارسة أسوة لنا وقدوة. حتى يمكننا أن نمارس الاعلام بمثل هذه الصورة المتطورة والمتقدمة والتي لم تكن متاحة في ذلك العصر.

فليس معنى استعراضنا لممارسة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأشكال الاتصال الشخصي والجمعي أن نقف عند حد هذه الممارسة. فالإسلام لا يعرف الجمود. ولا يقف ضد التطور العلمي. وإنما المقصود منه أنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد استطاعوا توظيف تلك الوسائل البسيطة المتاحة في عصرهم ونشروا بها الإسلام بهذه الطريقة. التي أدت إلى تغير المجتمع من حيث أخلاقياته وقيمه وعاداته وتقاليده. وليس فقط نشر الإسلام كمقيدة دينية.

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يمثل هذه الوسائل البسيطة غير صورة المجتمعات التي عاشوا فيها. وانتقلوا إليها إلى أفضل صورة. وأحسن

خلق وأصبحت مجتمعات متماسكة متآلفة . فما بال عصرنا الذى توجد فيه الوسائل المتقدمة والمتطورة والسريعة والحديثة . إننا يجب أن نستفيد من كيفية ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الإعلام بالإسلام وأخلاقياته وروحه من خلال الوسائل الحديثة المتطورة والسريعة . لتكون الاستفادة بصورة أعم وأكثر انتشارا وفائدة . وهذا هو جوهر الإعلام الإسلامى وهذا هو الهدف منه . الذى نبغى أن يتحقق . حيث نتحدث عن ما يجب أن يكون عليه الإعلام فى الدولة الإسلامية . الممارسة الإعلامية بالوسائل الحديثة مستفيدين بالأسس والقواعد التى أرساها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

لذلك سوف نضرب أمثله لاستخدام وممارسة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه للاتصال الشخصى أولاً ثم للاتصال الجمعى كأشكال اتصاليه إعلاميه .

١- الاتصال الشخصى :

اعتمد النبى صلى الله عليه وسلم فى إبلاغ دعوته والإعلام عنها على الاتصال الشخصى المواجهى أو المباشر . سواء فى التعريف بها . أو التحدث عنها . أو فى تعليم أصولها وقواعدها . أو فى بثها ونشرها إلى المجتمع المكى وخارجه . كما اعتمد أصحابه رضى الله عنهم فى هذه الفترة من حياة الدعوة أيضاً على الاتصال الشخصى المباشر فى الإعلام عن الدعوة كما فعل أبو بكر الصديق وأبوذر الغفارى والطفيل بن عمرو الدوسى وعثمان بن عفان وغيرهم ممن قاموا بمجهود الإعلام عن الإسلام فى هذه المرحلة .

وفى ذلك يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم امام فى كتابه أصول الإعلام الإسلامى « كان الطابع العام للإعلام فى صدر الإسلام طابعاً شفهياً . يعتمد على الاتصال المباشر وجهها لوجه . وهو اتصال ناجح . لأنه يتلافى سلبيات وسائل الإعلام الحديثه غير المباشره . وبخاصة فى مجال الاقتناع . حيث يبدى المستقبل فى الإعلام المعاصر مقاومة وعزوفاً عن التعرض للمادة الإعلامية . وانتقالاً إلى وسائل إعلامية أخرى قد تكون أكثر عناية بالجوانب الترفيهيه مثلاً . وذلك يؤدى فى نهاية المطاف إلى التأثير الإعلامى .

أما الاتصال الشفهي بما يتسم به من حوار وإقناع وإشارة وتنوع وتبادل أطراف الحديث وتقديم للحجج والبراهين أو دحضها . ومحاولة التغلب على كافة أساليب الاحتجاج . حتى يبلغ الاقتناع ذروته . فإنه يجعل من المخاطبة والمحادثة خير الوسائل المؤدية إلى أعلى المستويات في التبليغ والاحاطة والاقتناع .

أضف إلى ذلك أن الاتصال الشخصي يتم عادة في الجماعات صغيرة العدد . حيث يعرف الناس بعضهم بعضا . فيتناقشون ويتحدثون ويتبادلون الرأي والمشورة . ويدركون انطباعات أحاديثهم على بعضهم البعض . على عكس الاتصال الإعلامي الحديث . فهو يتم من جانب واحد ولا يتيح للقارئ أو المستمع أو المشاهد طريقة سهلة لكي يوجه الأسئلة . أو يعقب أو يستوضح ما غمض عليه .

والإتصال الشخصي المباشر له ميزة كبرى في اختيار الأشخاص أو الفئات التي يتحدث إليها . و يوجه جهوده وفقا لذلك . فيتسم بالألفة ، ورفع الكلفة وتبادل المصلحة . وتحقيق التعارف وتوثيق الصلات . وتوضيح الغامض وتثبيت الحقائق وإجلالها . وترتيب لقاءات دورية . ومتابعة الحديث وتنويعه .

فلم يكن غريبا أن يكون أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته هو الاتصال الشخصي في المرحلة السرية الأولى . وكذلك في المرحلة العلنية (٢٠) .

وكانت طريقته الاتصال الشخصي تكاد تتكرر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة في المرحلة السرية ثم في المرحلة الجهرية بصوره تكاد تكون يومية ، بل وتكرر مرات في اليوم الواحد . فهو لا يكل ولا يمل من أن يلتقى بزعماء مكة يناقشهم ويحاورهم ويدعوهم . ويجيب على تساؤلاتهم . ويُعلمهم بأمر رسالته .

وقد كان أول اتصال شخصي من أجل رسالة الاسلام تم بين النبي صلى الله عليه وسلم وأسرته . حيث دعا زوجته خديجة . ومولاه زيد بن حارثة وابن عمه

(٢٠) إبراهيم امام ، اصول الاعلام الاسلامي (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٥) ص ٥٧ ، ٥٨ .

على بن أبي طالب الذي تربى في بيته . والذي أراد أن يستشير أبا طالب في هذا الأمر فرفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . فاسلم على الفور واستجاب لدعوه محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم مارس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاتصال الشخصي مع أبي بكر صديقه في الجاهلية . ومارسه أبوبكر بدوره مع عثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم وغيرهم . وبدأ الاسلام ينتشر والنبي صلى الله عليه وسلم قائم بهذا الاتصال يُعلم من أسلم . و يدعو غير المسلمين الى الاسلام .

مارس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاتصال ايضا مع كفار مكة وقد رأينا نماذج من هذا الاتصال في حوار مع عتبة بن ربيعة . وما كان عليه هذا الحوار من مستوى إعلامي راق . وما اتسم به من اقناع وقوه حجه . ما يضر به النبي صلى الله عليه وسلم من مثل في حسن القدوه والأسوه في أدب الاستماع وحسن الانصات حتى لعدوه المعاند له . ثم رده عليه بما أثاره انتباهه وأثار تفكيره . وجعله يطلب من قومه الذين هم أعداء محمد ودعوته أن يكفوا عنه وأن يخلوا بينه وبين ما هو فيه . وقد تكرر مثل هذا الحوار كثيرا وطويلا بين النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلتين السريه والعلنيه في مكة وبين زعماء مكة وسادتها وقد وضعنا ذلك من قبل .

وقد حدث الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وساده ثقيف أيضا — الشلاشه — والذي كان مثلا يحتذى في الصبر على الحوار وتحمل رد المعاندين ولو كان قاسيا . ولما رفضوا دعوته طلب منهم أن يكتموا هذا الأمر . وقد رأينا ما حدث له صلى الله عليه وسلم حينما ذهب الى الطائف .

ورأينا من قبل أيضا الاتصال الشخصي أو الحوار دارين النبي صلى الله عليه وسلم والطفيل بن عمرو والدوسى وعمرو بن عبسه السلمى وحسين بن عمران وكل موقف من هذه الموافق يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في حوار ومناقشته للأفراد والمجموعات المعانده وغير المعانده . كان على المستوى الإعلامى العبرى الذي يجب أن انتأس به في قيامنا بالاعلام .

وقد مارس الصحابة رضی الله عنهم أيضا هذا الشكل من أشكال الاتصال الإعلامي . فرأينا كيف قام أبو بكر بمثل هذا الجهد في مكة . كيف قام جعفر بن أبي طالب بالقاء البيان الخاص بالإعلام بمجهر الدعوة الإسلامية أمام النجاشي . وكيف دارا هذا الحوار . بطريقته تتسم باللباقة والذكاء والدقة التي أدت الى التأثير في النجاشي وبقارقه . بل وفي عمرو بن العاص نفسه والذي ذهب للعودة به .

ورأينا أيضا كيف قام مصعب بن عمير بهذا الجهد في يثرب وكيف تحدث الى أسد بن حضير وسعد بن معاذ حديثا شيقا ذكيا أدى الى التأثير في كل منهما وكان نتيجة استجابتهما ودخولها الاسلام . بل ودخول الاسلام الى دور الأنصار كلها بسبب ذلك .

وهكذا مارس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاتصال الشخصي للإعلام عن الاسلام في الفترة المكية من حياة الدعوة بصورة يجب أن نتعلمها ونمارسها ونمارسها الإعلاميون في كل زمان ومكان لما فيها من فن إعلامي راق ومتميز .

ب - الاتصال الجمعي .

الاتصال الجمعي شكل من أشكال الاتصال الإعلامي . أكثر اتساعا من الاتصال الشخصي حيث هو عبارة عن قيام فرد بالاتصال بمجموعة من الناس . لا يبلغهم برسالة معينة أو شرح وجهه نظر معينة . وقد يستخدم وسيلة معينة لنقل صوته إليهم وقد لا يستخدم حسب الظروف المكانية المتاحة .

ومن أمثلة هذه النوع من أنواع الاتصال خطبة الجمعة أو الخطبة السياسية أو المؤتمر الصحفي مثلا أو اللقاءات الجماهيرية أو نحو ذلك مما له صفة الاتساع أكثر من الاتصال الشخصي . وأن كان هذا النوع يعتبر ضمن ما يسمى بالاتصال المباشر . كما أنه يدخل غالبا كنوع من أنواع الاتصال الشخصي . حيث يصنفه كثير من أساتذة الاعلام ضمن أنواع الاتصال الشخصي . ويميل البعض الى اعتباره شكلا اتصاليا قائما بذاته . حيث هو أكثر اتساعا من الاتصال الشخصي .

في ذات الوقت الذي يستخدم فيه الصورة المباشرة أو الشخصية من صور الاتصال .

ويختلف الاتصال الجمعي عن الاتصال الشخصي في أن العملية الاعلامية التي تتم عن طريقه تنقل الرسالة إلى عدد أكبر من الجمهور المستقبل مما يجعل للإعلام عن طريقه فائدة أكبر وتأثيراً أكثر من الاتصال الشخصي . وهو في ذات الوقت يعتمد على الاتصال الشخصي والاتصال الذاتي . فالقائم بالاتصال يفكر قبل أن يتحدث . كما أن المستقبل يفكر فيما يصل إليه من معلومات قبل أن يتأثر بها و يستجيب لها . كما أنها تستخدم الاتصال الشخصي من حيث الشكل العام للعملية الاتصالية ذاتها .

أما عملية رد الفعل أو رجع الصدى في الاتصال الجمعي فإنها تتم بصورة أقل من حدوثها أو إمكانيه التعرف عليها من خلال عملية الاتصال الشخصي . ذلك أن القائم بالاتصال في الاتصال الجمعي . وإن كان يقوم بالاتصال مباشرة بمن يتحدث إليهم إلا أنه لا يستطيع أن يلاحظ جميع المستقبليين التركيز الذي يمكن أن يحدث في عملية الاتصال الشخصي . كما أن الجمهور المستقبل في الاتصال الجمعي قد تمنعه بعض الموانع الخاصة من التساؤل عن شيء فاته أن يفهمه مثل الخشبة من المتحدث لمنصبه السياس أو قدره الاجتماعي . أو بعده المكاني . أو عدم قدرة بعض على التحدث أو التساؤل . نتيجة لمرضه أو لكونه يستحي أن يسأل مثلاً . كل هذه العوامل تؤدي إلى عدم التعرف تماماً على رد الفعل الخاص بالعملية الاتصالية التي تتم من خلال الاتصال الجمعي .

وكما كان القائم بالاتصال في عملية الاتصال الجمعي محبوساً بالمدى المستمعين له وكما كانت رسالته واضحة . و يتم القاؤها بصورة بسيطة وسهلة وبقدر ما يكون القائم بالاتصال أيضاً على علم ووعي بجمهوره وخصائصه . كلما توافرت هذه الشروط كلما أمكن التعرف على رد الفعل الخاص بالعملية الاتصالية . مما يؤدي إلى تعديل الرسائل أو زيادتها أو نقصها أو إيضاها مثلاً . مما يؤدي إلى التأثير وبالتالي الاستجابة .

وقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم الاتصال الجمعى فى مكة كشكل من أشكال الاتصال الإعلامى برسالاته . إلى جانب الاتصال الشخصى . ولم يكن لأى شكل من أشكال الاتصال وقت محدد أو شروط محده . وإنما كان يتم ذلك وفقا للظروف الاتصالية التى تتم فيها الممارسة الإعلاميه الإسلامية . فإذا اقتضت الظروف القيام بالاتصال الشخصى ثم ذلك . وإذا اقتضت الأحوال القيام بالاتصال الجمعى تم ذلك . المهم هو أن يتم الاعلام عن الرساله وبها فى كل وقت وفى كل حين .

وكما كانت ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصى تتسم بالمرونه والذكاء ، والدقه . ورأينا أنها كانت مثالا للممارسة الاعلامية العقريه الفذه النادره . كذلك أيضا مارس النبي صلى الله عليه وسلم الاتصال الجمعى بكفائه عليه . وضرب المثل الأعلى للإعلاميين فى كل زمان وكل مكان . وأرس قواعد وأسس ممارسة هذا الفن الإعلامى بأساليب راقية جذابه مرنه .

وكان اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم فى ممارسته للاتصال الجمعى قائما على صفاته كإعلامى قدير . الى جانب معرفته التامه لأسلوب ونفسه الجماهير التى يقوم بالاتصال بها . ومعرفته أيضا بالمجتمع الذى يمارس الاعلام فيه . وتكوينه وتركيبه وما يصلح له من أساليب . وما يؤدى الى الاستجابه أو عدم الاستجابه لدى هؤلاء المكيين المعاندين . الذين خلقوا سادة بطبيعتهم . كما أن البيئه الصحراوية تركت بصماتها على نفسياتهم وعلى تكوينهم وطريقه تفكيرهم .

حينما أمر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوه لما نزلت الآيه «**وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني برىء مما تعلمون**» (٢١) .

عندما نزلت هذه الآيه علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه مأمور من ربه بأن يمارس الإعلام جهرا عن رسالة الله عز وجل ، وأن يبلغ ذلك الى المجتمع المكى

(٢١) سورة الشعراء (٢١٤-٢١٦) .

علانيه . وأن يقوم بشرح هذه الرسالة لكل هذا المجتمع . عند ذلك وجد النبي صلى الله عليه وسلم أن أسلوب الاتصال الشخصي لا يكفي لأداء هذا الدور . فاتجه بفطرته السليمة الصافية الى الاتصال الجمعي .

وقد سبق أن سردنا قصه جمع النبي صلى الله عليه وسلم لبنى عبد المطلب مرارا على الطعام . ثم ابلاغهم وقد كانوا أربعين رجلا يز يدون رجلا أو ينقصون رجلا .

وهنا نجد أن قيام شخصيات تحدث الى أربعين شخص بأخذه صورة الاتصال الجمعي . وقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشكل الاتصالي الإعلامي بفنائه وحكمه حيث جمعهم أولا على الطعام ، ثم سقاهاهم . ثم بدأ يتحدثهم عن أمر رسالته . وعندما قاطعه عمه أبو لهب اللعين لم يواجه ثورته برد غاضب . وإنما ترك الأمر مباشرة ودعاهم الى الطعام في اليوم التالي . وحدث ما حدث . فدعاهم للمرة الثالثة . ولما تكرر هذا الأمر ثلاث مرات رد جمهور المستمعين — وهم بنو عبد المطلب — بعضهم على بعض فردت صفيه نبت عبد المطلب على أبي لهب . ورد أبو طالب معلنا حماية محمد صلى الله عليه وسلم دون الاستجابة لدعوته . ورد عى بن أبي طالب معلنا الاستجابة والمؤازرة .

وهنا نجد أن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في ممارسة هذا الشكل الاتصالي الإعلامي . ومعرفته لنفسية جمهوره هذا . أن دعاهم الى الطعام في بيته ليكون ذلك عوناً له على التحدث إليهم . وضماناً لعدم انصرافهم عند بداية الحديث . ثم عدم مواجهته لثوره وغضب أبو لهب بغضب ولا ثوره . ولو فعل ذلك لأثار أعمامه ولكنه بأدبه وحسن خلقه . جعل من بقيه أعمامه محايدين ومؤيدين . فمن لم يؤيد دعوته . أصبح محايداً وأعلن حمايته من قبائل العرب . وهكذا كان رد الفعل في صالح محمد صلى الله عليه وسلم وفي صالح دعوته ورسالته .

ثم اتجه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى المجتمع المكي . فصعد الصفا . وهو جبل عال في مكة . وندي على بطون قریش كلها . حتى اجتمعت إليه . وقالوا محمد على الصفا يهتف . فجاءوه بين من حضر بنفسه ومن أرسل رسوله يستطلع له الخبر .

وقد اهتم المكيون نبذاء محمد لعلمهم بأنه رجل جاد . لا يقف على الجبل
و يناديهام ارلا لأمر هام يهمهم جميعا . ثم يشهدهم على أنفسهم ويختبر مدى ثقتهم
فيه وتصديقهم له سائلا : أرايتم لو اخبرتكم أن خيلا بسفع هذا الجبل نريد أن تغير
عليكم . اكنتم مصدقني . قالوا : نعم ما جزينا عليك كذبا قط . أوقالوا : أنت
عندنا غيرتهم . فيخيرهم بأمر رسالته .

وتجد الأساليب الاعلامية الراقية والعقريه تتجلى في مثل هذا الموقف . فهو
يقف على الجبل . وهو المكان المرتفع المطل على مكة ليسمعه الجميع . سابقا بذلك
مهندس الالكترونيات في العصر الحديث والذين يضعون محطات الارسل في أعالي
الجبال ليصل صوتها الى أماكن أبعد .

ثم يبادر المجتمع المكسي . رغم علمه بثقتهم فيه والا لما اجتمعوا— مع ذلك
يبادرهم بسؤال مثير مخيف يتفق مع طبيعة البيئه . ويختبر مدى تصديقهم له بالفعل
ومدى ثقتهم فيه . وهو لو أن خيلا ستغير عليهم من سفح الجبل .. أيصدقون ذلك ؟
فيجيبون على الفور نعم .. أنت عندنا غير متهم أو مت جربنا عليك كذبا قط .

وبعد أن جمع هذا الجمع يمثل هذه الصورة . ويمثل هذه السرعة . ووضع أساسا
من الشقه بينه وبينهم . ومهد للظروف الاتصاليه الصالحه . والمناخ الملائم .. يبدأ
اتصاله .. أو بث رسالته عن هذا الدين بعث به ومحدث رد الفعل بعد ذلك ..
أبوهل يكدب .. قائلا : تبالك سائر هذا اليوم الهذا جمعنا .. وتنصرف قرش
بعد أن تسمع . و يتركهم ليتصل كل منهم بذاته قائلا لهم . فإني نذير لكم بين
يدى عذاب شديد .

وهو بهذا يتركهم لعملية التفكير فهو يعلم انهم أهل مجتمع تربى على الحره
ولا يحبون فرض الرأى عليهم . ويرجعون الاقتناع كأنهم هم أهل الرأى وانهم
اقتنعوا بإرادتهم . وكان لهذا صده وتأثيره في المجتمع حيث بدأت الدعوة تنطلق .

مارس النبي صلى الله عليه وسلم الإعلام أيضا عن طريق الاتصال الجمعى
في عرض نفسه على القبائل في الأسواق ومواسم الحج . حيث كان يقف وسط
جموع القبائل و ينادى على الناس « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » .
وكان يتحدث إلى كل قبيله طالبا نصرتها وحمايتها ليس من أجل النصرة والحماية

ذاتها فقد كان يعلم يقينا أن الله عز وجل ناصر دينه . ومظهر أمره . غير أنه كان يطلب منهم ذلك لإثارة التنافس فيهم لمعرفة بنفسياتهم فهم أهل البادية وأهل الصحراء وهو خير بهم وعلى درايه كامله بالمداخل النفسيه الى تصلح لأن يبدأ منها ليثبت رسالته واعلامه .

ولأدلى على ذلك من أن بنى عامر بن صعصعة قد وافقوا على نصرته وحمايته بشرط أن يكون لهم الأمر من بعده . ولو كان الأمر يتعلق بطلب الحماية والنصرة لذاتها لوافق على ذلك . ولكن لأن الأمر كان يتعلق بالدعوة ذاتها . رفض النبي صلى الله عليه وسلم شرطهم هذا . وقال لهم الأمر لله يجعله حيث يشاء .

وقد تحدثنا من قبل عن عرض النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه الكرمه ورسالته الطاهره على القبائل في مواسم الحج . وفي أسواق العرب وأماكن تجمعاتها . وما يمنا هنا هو أن تبين أن هذا في حد ذاته كان اتصالا جديا حيث كان يقف النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في هذه القبائل مبينا أبعاد دعوته . وماتأمر به وما تنهى عنه ، حتى ينتقل هؤلاء خير هذه الدعوة إلى قبائلهم وإلى من يلقونه .

وقد كان رد الفعل الخاص بهذه الممارسة الاعلاميه لهذا الاتصال الجمعي وسط هذه القبائل واضحا . فقد رد بعض رؤساء القبائل بأن هذا إن لم يكن دينا فهو خلق حسن . وهؤلاء هم بنو عامر بن صعصعة يهودون فيخيلون شيئا كبيرا لهم بما حدث فيصيح قائلا . اين كان عقلكم عنكم يا بنى عامر . هل لها من تلاف ؟ هل لذنا باها من مطلب .

ثم هؤلاء هم الأنصار يستجيبون و يكتب الله لهم السعاده ، و يذهبون اعلاميين الى قريتهم و يهودون في العالم القادم مبايعين على بيعه النساء كما ذكرنا من قبل و يأخذون معهم مصعب بن عمير معلما لهم . و يهودون في العام الثالث بعدد كبير و يبايعون بيعه العقبة الثانيه على النصرة . و يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنا منكم وأنتم منى . تصبح المدينه بذلك عاصمه للدولة الاسلاميه الحمديه . ومركزا للاعلام بها دعنا الغ كل مكان في العالم .

كان من نماذج الاتصال الجمعى التى مارسها النبى صلى الله عليه وسلم
ايضا فى مكة . اخباره بحديث الاسراء والمعراج حيث . أخبر عنه أولا بطريق
الاتصال الشخصى لما أخبر به أبوجهل بن هشام . فجمع له أهل مكة . فانتقل
الاتصال من الشكل الشخصى الى الجمعى .

واستنكر الكثيرون من أهل مكة هذا الحديث . فساق لهم الأدله . حيث
وصف لهم بيت المقدس وصفا تفصيليا دقيقا . لا يدع مجالا لشك فى أنه قد رآه
وزاره . من الداخل والخارج . وصدقه فى وصفه هذا من رآوا بيت المقدس من
أهل مكة . بل وناقشوه وحاوروه وسألوه بده . فأجابهم بده أكثر وكان هذا دليلا
على صدقه صلى الله عليه وسلم .

والأكثر من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ساق الأدله المادية لأهل مكة
عن عيربنى فلان . وأنه رآها فى مكان كذا . وأنهم ضل لهم بعير فى مكان كذا .
وأن قافله كذا تطلع عليهم الليلة . وبالفعل تصل القافله .

ولا يهمنى الوصف أو السرد التاريخى لما حدث فى حادث الإسراء والمعراج
ولكن يهمنى أن نوضح أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مارس الاعلام عن طريق
الاتصال الجمعى وسط جموع المكذبين والمعاندين . حتى يمثل هذا الحدث
الغريب الذى لا يصدق عقل بشر إلا إذا كان قد ملئ ايمانا برسالة محمد صلى
الله عليه وسلم . وملئ يقينا بقدره الله عز وجل . كما حدث من أبى بكر رضى
الله عنه حينما أخبروه بذلك : فأجاب على الفور قائلا : أن كان محمد قد قال ذلك
فقد صدق لذا سُمى بالصديق من هذا اليوم .

وكان من نتائج ذلك أن بدأ البعض يفكر فى دعوه محمد صلى الله عليه
وسلم ، فهو يخبر بأشياء غريبه جدا . ومع ذلك يجهر بها بمثل هذه الطريقه .
يتحدث عنها بالشرح والتفصيل ويحجب على الأسئلة للجميع . ويبرهن على صدق
كلامه بأدله وأمثله واقعيه ثببت بالفعل صدقها ، ولايتأتى لكاذب أن يجهر وثببت
أمام سادة قريش بمثل هذه الطريقه بشىء كاذب لم يحدث . لا بد أن محمدا صلى
الله عليه وسلم صادق . ولا بد أن دعوته هذه بالفعل رساله من عند الله ، ولم
لا تكون ؟ إنه يتركهم لعملية الاتصال الذاتى لتأخذ مجراها .

هذه مجرد نماذج لممارسه النبي صلى الله عليه وسلم للاتصال الشخصي والجمعي شقناها للدلالة على عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم الاعلامية . ولنستمد منها كيفية ممارستنا للاعلام الاسلامي مع استخدام الوسائل الحديثه . فكما ذكرنا من قبل : الوسيله محايد ولا ترفض ما يقدم لها . وليس معنى الاعلام الاسلامي العوده الى البدائيه أو رفض المستحدثات . بل أن الاسلام يراها خلاها كوسائل أما المضمون أو الرساله . فن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما الاتصال الجماهيري كشكل من أشكال الاتصال بعض النظر عن رسائله المعروفة حديثا— فلم يتم ممارسة الاعلام عن طريقها في مكة ، إنما التهيئة لها بإرسال رسال الصحابة الى الحبشه لتدريبهم على القيام بالاعلام الدولي بعد ذلك .

وسوف نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينه قد مارس الاعلام بمختلف أشكاله وفنونه وأساليبه . وضرب لنا المثل الأعلى في ذلك . وأرس قواعد الاعلام الاسلامي . وهذا ما سنتحدث عنه في الكتاب القادم أن شاء الله حول الممارسة الإعلاميه للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينه .

خاتمه

بعد ان تحدثنا عن كيفيه ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للإعلام الإسلامى فى مكة ، كرسالة كلفه الله عز وجل بالاعلام بها . على امتداد الزمان الى يوم القيامة . والى كل مكان فى العالم . والى البشرىه جميعها . على اختلاف اجناسها وألوانها . تعدد لغاتها . حيث أن هذه الرساله هى الرسالة الخاتمه .

يجب أن نعلم أن الله تعالى قد اهتم البشر ووجههم طرق اكتشاف أجهزه الإعلام الحديثه ليستفيدوا منها فى سبل الخير . لامن أجل نشر الفساد . ولامن أجل استخدامها لبث المضامين الساقطه . ولالمعانى السيئه . التى تدعو إلى الرزيله وتثير الفتن . تؤدى إلى التسك بالماديه البحته . والى العقيده بأن البشر يستطيعوا أن ينظموا بأنفسهم ولأنفسهم ما يشاءوا من أشياء .

وانما يجب أن يعلم الناس جميعا أن وسائل الاعلام الحديثه من نعم الله عز وجل على عباده التى هداهم الى اكتشافها . ووجههم إليها . فإن أساءوا استخدامها فسوف ينقلب ذلك و بالا عليهم . كما يحدث الآن فى كثير من دول العالم . حيث أصبح التقدم العلمى ذاته وبالا على أصحابه . وأصبح يتسبب فى حدوث الكوارث التى يحار العلماء من مكتشفى هذه الأشياء ذاتها فى تفسير أسباب حدوثها . حيث لا يجدون سببا ماديا ظاهرا يؤدى الى ذلك وهم فى ذات الوقت لا يؤمنون إلا بالماديات التى يرونها بأعينهم وتقتنع بها عقولهم لصغيره . ومن امثله ذلك انفجار المفاعلات الذريه وانتشار الأمراض والأوبئه التى لا علاج لها . حتى إنهم يفكرون الآن فى إعدام من يصاب بها على الفور . وهذه مجرد أمثله على ما يحدث من جزاء سوء استخدام المخترعات الحديثه .

أما وسائل الاعلام فإن إساءة استخدامها لبث المضامين الفاسده . فإنه يؤدي فوق ذلك . الى انتشار الأمراض المعنويه . مثل تفش السلبيه والاستهتار والأزمات النفسيه . وتقطع الصلات الأسريه والعائليه وبين افراد المجتمع وبعضهم البعض . وعدم الولاء للمجتمع مما ينتج عنه الاقدام على الانتحار الجماعي والتفكير في اختراع وسائل الخراب والفساد ، والدمار العالمى وغيرها .

وليس هناك من أسباب تفسير حدوث ذلك سوى امتلاء وسائل الإعلام بالرسائل والمضامين المادية البحتة . التي لا تعرف شيئاً عن الروحانيات ولا الأديان . علماً بأن عقلاء المفكرين من مواطني الدول الأوربيه قد عرفوا ذلك وأعلنوها صريحاً أنه لاجل ولاخلاص من كل ذلك إلا بالعودة الى الروحانيات ودراسة الأديان . والعودة عن الماديه وسيادتها . ومن أمثال هؤلاء . كارليل وروجيه جارودى . إذ يرى جارودى « أنه يمكن للإسلام أن يكون حمزة لنضال ضد كل ألوان الاستلاب والتسخير الواقع على الإنسان بمحنة ضرورات خارجه مزعومه تبعده عن جوهره و يقول إنه رغم العثرات والسقطات في مذاهبنا المسيحية والاشتراكية . فإن المذاهب . تبقى حميره للحوار . مشروعات المستقبل ، وإن لم تكن قد نجحت في تجنب انزلاق الغرب مع العالم كله إلى الهلال بسبب طغيانه المادى . فالمشكلة مشكلة كونيه . ولن يكون الحل إلا حلاً كونياً (أى بالاسلام) (١) .

وهكذا يجب أن نعود إلى الاعلام الاسلامى نتملاً بمضامينه ووسائلنا الاعلاميه هذا ما يجب أن يكون . وهذا هو الهدف من دراسة ممارسة النبى صلى الله عليه وسلم للاعلام الاسلامى . ممارسة اصحاحه لتكون بنراساها ذيالنا . فهو الاسوه والقدهو التى لا تخطىء . والتى ثياب الانسان على الناس بها . والاقتداء بطريقها حيث هي خير طريق . بها يستفيد الانسان في دنياه وفي آخرته .

وسوف نتعرض في الكتاب لقادم أن شاء الله تعالى لممارسه النبى صلى الله عليه وسلم للاعلام وفتونه واساليبه . وتأخذ تطبيقات على ذلك . حيث تعرضنا

(١) روجيه جارودى ، ما بعد به الاسلام ، ترجمه قصى آتاس وميشيل واكيم ، الطبعه الثانيه (دمشق : دار انويه . ١٩٨٣) ص ١٤ .

للاعداد والممارسة العامة في مكة في هذا الكتاب . وسوف نتعرض للممارسة والتطبيقات الاعلامية في المدينة في الكتاب القادم أن شاء الله .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد طلاب الاعلام . ودارسيه وممارسيه في البلاد العربية والبلاد الاسلاميه وكل مكان في العالم . حيث الاعلام الاسلامي للناس كافة عامه . وليس للمسلمين فقط .

وحسبي أن من اجتهد لدين الله فأخطأ فله أجر . فإن أصاب فله أجران . والله من وراء القصد وهو المستعان .

مراجع البحث

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية .

- ١- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل .
— البدايه والنهايه ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٨ .
— تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربى ، القاهره (م.ت) .
- ٢- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك .
— سيره النبى ، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد ، دار التحرير،
القاهره ، ١٩٧٣ .
— السيره النبويه ، تحقيق محمد فهمى السرجانى ، المكتبة
التوفيقية ، القاهره ، ١٩٧٨ .
- ٣- البخارى ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل .
— متن صحيح البخارى ، مطبعة دار احياء الكتب العربيه ،
القاهره (م.ت) .
- ٤- الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير .
— تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهره (م.ت) .

ثالثا : المعجم العربية .

- ١- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري .
— لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة، (م.ت) .
- ٢- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر .
— مختار الصحاح ، دار التنوير العربي ، بيروت (م.ت) .
- ٣- محمود بن أحمد الزنجاني .
— تهذيب الصحاح ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

رابعا : كتب عربية .

- ١- إبراهيم إمام .
— أصول الإعلام الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
 - الاعلام والاتصال بالجماهير . الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
 - ٢- آدم عبد الله الألوي .
— تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
 - ٣- أديب مروه .
— الصحافة العربية . نشأتها وتطورها (مجهول الناشر) بيروت ، ١٩٦١ .
- ٢٩٨

- ٤- جلال الدين الحمامسى .
- من الخبى الى الموضوع الصحفى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٥- جلال مظهر .
- محمد رسول الله ، مكتبه الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٦- جيهان رشتى .
- الأسس العلميه لنظريات الإعلام ، الطبعة الثانيه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- ٧- حافظ محمود .
- الإعلام العربى والإعلام الصهيونى ، القاهرة ، المنظمه العربيه للتربيه والعلوم والثقافه ، ١٩٧٣ .
- ٨- حسنين عبد القادر .
- الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، الطبعة الأولى ، مكتبه الانجلى ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ٩- خالد محمد خالد .
- رجال حول الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ١٠- رءوف شلى .
- الدعوة الإسلامية فى عهدى المكى ، مجمع البحوث الاسلاميه ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ١١- سعيد حوى .
- الرسول ، الطبعة الرابعه (مجهول البلد والناشر) ١٩٧٧ .
- ١٢- عباس محمود العقاد .
- عبقرية محمد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- ١٣ — عبد الحليم محمود .
— القرآن والنبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ١٤ — عبد العزيز شرف .
— فن التحرير الإعلامي ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ،
القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ١٥ — عبد الغفار عزيز ، وآخرون .
— لمحات في السيره النبويه ، الفاروق الحديثه للطباعه والنشر ،
القاهرة ، ١٩٨٢ .
- ١٦ — عبد اللطيف حمزه .
— الاعلام في صدر الإسلام ، الطبعة الثانيه ، دار الفكر العربي ،
القاهرة ، ١٩٧٨ .
- ١٧ — عبد الوهاب كحيل .
— الحرب النفسيه ضد الاسلام في عهد الرسول في مكه ، رسالة
ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب جامعه أسيوط ، ١٩٨٠ .
- الاعلام الإسلامى في مجتمع الرسول في المدينه ، رسالة دكتوراه
غير منشوره ، كلية الآداب جامعه أسيوط ، ١٩٨٣ .
- الأسس العلميه والتطبيقية للاعلام الاسلامى ، الطبعة الأولى ،
عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ١٨ — عمر أبو النصر .
— قصة العرب قبل الإسلام ، مكتب عمر أبو النصر للتأليف
والترجمة والصحافه ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ١٩ — عون الشريف قاسم .
— نشأه الدولة الاسلاميه على عهد رسول الله ، الطبعة الثانيه ، دار
الكتب الاسلاميه ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨١ .

- ٢٠- محمد حسين هيكل .
— حياة محمد ، الطبعة الرابعة عشر ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٧٧ .
- ٢١ محمد سيد محمد .
— المسئولية الإعلامية في إسلام ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار
الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٣ .
- ٢٢- محمد شديد .
— الجهاد في الإسلام ، مؤسسة المطبوعات الحديثه ،
القاهرة (م.ت) .
- ٢٣ — محمد عزه دروزه .
— سيرة الرسول ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،
القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٢٤- محمد علي الصابوني .
— النبوة والأنبياء ، دار الفتح الاسلامي ، الاسكندرية ،
١٣٩٠ هـ .
- ٢٥ — محمد علي الهاشمي .
— شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم ، الطبعة الثالثة ، عالم
الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٢٦ — محمد يوسف الكاندهلوى .
— حياة الصحابة ، (مجهول الناشر والبلد) ١٣٧٨ هـ .
- ٢٧ — محيى الدين عبد الحميد .
— الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
١٩٨٠ .

٢٩- وليم الميرى .

- الأخبار. مصادرها ونشرها، مكتبه الأنجلو، القاهرة، ١٩٦٨ .

خامسا : كتب مترجه .

١- إداورد واكين .

- مقدمه إلى وسائل الاتصال ، ترجمه وديع فلسطين ، مطابع الأهرام
التجاريه ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٢- روجيه جارودى .

- ما يعد به الإسلام ، ترجمه قصى أناس وميشيل واكيم ، الطبعة
الثانيه ، دار الوثيق ، دمشق ، ١٩٨٣ .

الموضوع

الصفحة

الإهداء

مقدمه

١٨ - ٩

الفصل الأول : صفات الرسول قبل الوحي ٣٨ - ١٩

أولاً : الصفات المميزه لمحمد منذ ولادته وأثناء رضاعته ٢١

ثانياً : الصفات المميزه لمحمد في صباه وشبابه في مكة وخارجها ٢٩

الفصل الثاني : إعداد الرسول لأن يكون إعلامياً قديراً ٨٦ - ٣٩

أولاً : الإعداد قبل البعثة ٤١

١ - رجاءه العقل ٤٣

٢ - حسن الخلق ٤٧

٣ - الصدق والأمانة ٥٤

٤ - الشجاعة ٥٩

٥ - نسبه وأصلاته ٦٣

ثانياً : الإعداد في بداية البعثة ٦٧

١ - تهيئة البيئه المناسبه والمناخ الملائم ٦٨

٢ - الإعداد الشخصى للرسول في بداية البعثة ٧٧

الفصل الثالث : الأهمية الإعلاميه للأنبياء والرسل ١٢٢ - ٨٧

أولاً : محمد النبى الرسول ٨٩

ثانياً : الأهميه الاعلاميه للأنبياء والرسل بالنسبه للبشر ٩٣

ثالثاً : الفارق بين النبى والرسول ٩٩

رابعاً : صفات الأنبياء والرسل ١٠٤

خامساً : العلاقه الاعلاميه بين نبى ونبأ ورسول ورساله ١٠٩

٣٠٣

الفصل الرابع : الرسول رجل اعلام قدير في مكة	١٢٣ - ١٧٨
أولاً : نشر الاسلام جهد إعلامي	١٢٥
ثانياً : الرسول يمارس الاعلام سرا في مكة	١٣١
ثالثاً : الرسول يمارس الإعلام جهراً في مكة	١٥١
الفصل الخامس : الرسول يمارس الاعلام خارج مكة في العهد المكي	١٧٩ - ٢١٨
— أساليب النبي في ممارسة الإعلام بنفسه خارج مكة في العهد المكي	١٨١
أولاً : استقبال وفد النصاري	١٨٥
ثانياً : ذهاب النبي الى الطائف	١٨٩
ثالثاً : الرسول يعرض نفسه على القبائل في الأسواق ومواسم الحج	١٩٧
رابعاً : الرسول يقابل وفد الأنصار و يبايعهم	٢٠٣
خامساً : أحدث الهجرة النبويه إعلام عن الدعوة	٢١١
الفصل السادس : الرسول يرسل أصحابه في مهمات اعلاميه خارج مكة في العهد المكي	٢١٩ - ٢٦٠
— أهمية اولئك الصحابه في مهمات اعلاميه خارج مكة	٢٢١
أولاً : الهجرة الى الحبشه	٢٢٥
ثانياً : ارسال مصعب بن عمير الى يثرب (المدنيه)	٢٣٩
ثالثاً : هجرة الصحابه الى يثرب	٢٤٧
الفصل السابع : أشكال الاتصال الاعلامي التي استخدمها النبي في مكة	٢٦١ - ٢٩٢
— بين وسائل الإعلام وأشكال الاتصال الاعلامي في العهد المكي	٢٦٣
أولاً : الاتصال الذاتي	٢٧١
ثانياً : الاتصال الشخصي والجمعي	٢٧٩
أ- الاتصال الشخصي	٢٨٢
ب- الاتصال الجمعي	٢٨٥
خاتمه	٢٩٣ - ٢٩٦
مراجع البحث	٢٩٧ - ٣٠٢

رقم الايداع
٨٧/٣٧٩٦